



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الخسارة

أسبابها وسبل الوقاية منها

(دراسة قرآنية موضوعية)

إعداد

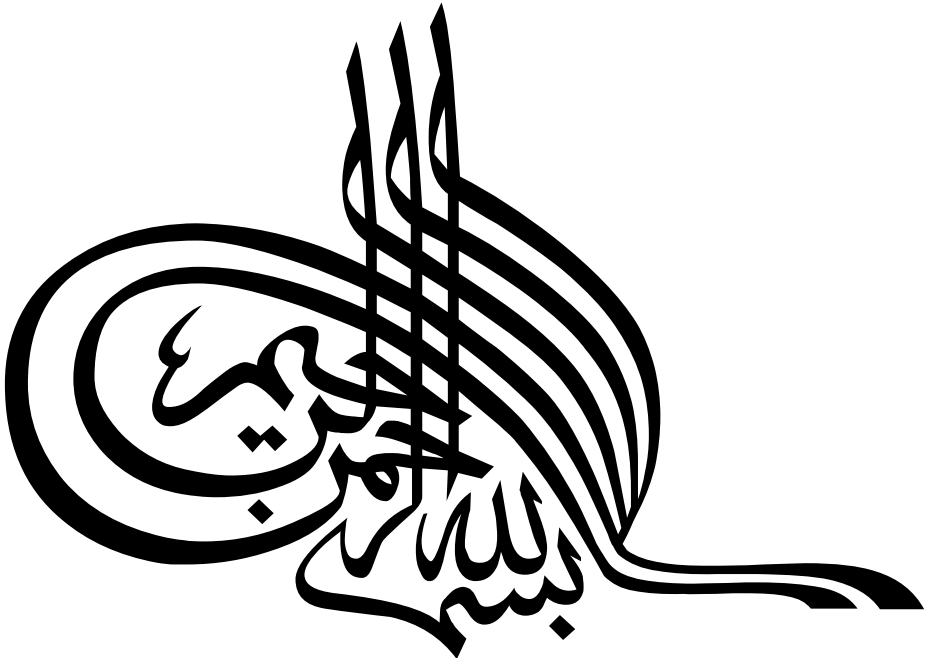
الطالبة /سمية عبد السلام حمدان اللوح

إشراف

الأستاذ الدكتور /عبد السلام حمدان عودة اللوح

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

[الكهف: ١٠٣-١٠٥]

وقال تعالى :

﴿ ... قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

[الزُّمَر: ١٥]

إهداء

- * إلى جامعتي الإسلامية الغراء ، وإلى علمائها الأجلاء .
- * إلى أرواح شهداء فلسطين ، الذين سطروا بدمائهم أروع ملاحم البطولة
والفداء ، دفاعاً عن شرف الأمة .
- * إلى القابعين في سجون الاحتلال ، المضحين بحريتهم في سبيل نشر الدين ،
وتحرير الأمة من الطغيان .
- * إلى المجاهدين المخلصين أينما حلُّوا وارتحلوا ، المرابطين على ثغور الوطن ،
الساهرين على أمن الأهل .
- * إلى أمي الغالية التي ما بخلت عليّ بعطفها وحنانها ودعائها بظهر الغيب .
- * إلى أبي قدوتي وأسوتي في طلب العلم ، والسعي إلى العلا .
- * إلى زوجي الذي كافح معي لإنهاء الرسالة ، وكان عوناً لي ، وسنداً حتى
النهاية ، وهو صابر محتسب .
- * إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء ، وأقاربي جميعاً بلا استثناء ، الذين شجعوني
للسير قدماً في طريق طلب العلم وأهله .
- * إلى كل من أحببتهم وأحبوني صديقاتي في الله .
- * إلى كل مسلم ومسلمة يطلب النجاة من الخسارة ، والفوز برضوان الله والجنة .
- * إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر وتقدير

يقول الله ﷻ : ﴿... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾^(١) ، ويقول عليه الصلاة والسلام :

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)^(٢) ، فحفظاً لنعمة ربي ، واتباعاً لسنة نبيي ﷺ أتقدم بخالص الشكر والعرفان ، لمن كان لهم الفضل في خروج هذا الجهد المتواضع بهذه الصورة إلى حيز النور ، سواءً بالكلمة الطيبة ، أو بالملاحظة أو النصيح والإرشاد ، والمساعدة والتوجيه ، ومن منطلق الاعتراف بالفضل لأهل الفضل ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى المرابي الفاضل ، وأستاذي ، ومشرفي ، ووالدي الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح - حفظه الله ورعاه - الذي بذل أقصى جهده معي ، ووفر وقته في نصحي وإرشادي ، وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه وتذليله العقبات لي مهما بلغت ، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضلين :

حفظه الله

فضيلة الدكتور / رياض محمود قاسم

حفظه الله

وفضيلة الدكتور / زهدي محمد أبو نعمة

اللذين وافقا على مناقشتي لهذه الرسالة ؛ لإثرائها بمعلوماتها القيمة ، وملاحظاتها السديدة ، حتى تخرج هذه الرسالة في أجمل حلة ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، كما لا أنسى أن أشكر كلية أصول الدين عميداً ، وأكاديميين ، وإداريين ، وأخص بالذات من كان لهم فضل عليّ فضل التدريس والتعليم ، وكذلك عمادة الدراسات العليا ، والمكتبة المركزية التي سهّلت لي الحصول على المراجع المطلوبة ، والعاملين فيها وأخص بالذكر أبو بكر فؤاد على مساعدته لي .

كما وأخص بالشكر والدتي العزيزة على فضلها الكبير بتربيتي تربية إسلامية ، وتنشئتي على حب العلم والتعلم ، ودعائها المتواصل لي بظهر الغيب ، وأخص بالشكر

(١) سورة إبراهيم - الآية (٧) .

(٢) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك - ص (١٨٤٨) - رقمه (١٩٥٤) - قال الترمذي : حديث حسن صحيح - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة .

الخالص ، والعرفان الجزيل زوجي الدكتور محمد خليل اللوح - حفظه الله - على صبره ،
ودعمه ، وتشجيعه لي .
ولا أنسى خالتي أم وسام ، وعمي أبو خليل على ما وفراه لي من الوقت المناسب ،
لإنجاز هذه الدراسة .
وأشكر الأخ الفاضل عبد الله أبو موسى على جهده معي في طباعة هذه الرسالة ،
والأخ الدكتور زكريا الزميلي الذي أتحنفي بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية ،
فجزاهم الله خير الجزاء .
ولا أنسى إخوتي وأخواتي وأقاربي وزميلاتي ، وكل من قدم لي نصحاً ،
أو إرشاداً ، أو مساعدة .
وفي الختام أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة سواء بالدعم العلمي ،
أو المعنوي ، وهم كثر لا أستثني منهم أحداً .

المقدمة

الحمد لله الذي حذرنا من الخسارة وأسبابها ، وبيّن لنا سبل الوقاية منها في الدنيا والآخرة .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد :
فإن الخسارة من أخطر ما يهدد الإنسان في أعماله ، وفي نفسه ، وأهله ، في عاجل أمره وآجله ، ومن رحمة الله بنا أن بيّن لنا خطورة الخسارة في الدنيا والآخرة ، وحدد لنا الأسباب المؤدية إليها سواء بسبب ضلال السعي في الحياة الدنيا ، أو بالكفر والجحود ، أو بسبب خلل في الطاعة والاتباع .

ومن رحمة الله بالعباد أيضاً أن كشف لهم عن سبل الوقاية من الخسارة بما يحقق الفلاح والفوز ، سواء كان ذلك من خلال الإيمان بالله وتوحيده ، أو من خلال الأعمال الصالحة من عبادات ومعاملات ، وأخلاق وسلوكيات ، وقربات ، وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أو من خلال ترك المنهيات كاجتناب الشرك ، والفساد ، والظلم ، والشح ، وأكل الربا ، أو من خلال فعل الأمور ، من طاعة الله ورسوله ، وصبر ومصابرة ، وتقوى الله ، والتوبة إليه ، وذكر الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد وقفت على آيات كثيرة متعلقة بهذا الموضوع ، سواء أكانت هذه الآيات نصاً صريحاً في الخسارة وأسبابها ، وقد بلغ عددها اثنتين وستين آية ، أم كانت بألفاظ أخرى تؤدي إلى النجاة من الخسارة ، وذلك من خلال آيات تتعلق بالفلاح والفوز ، وقد بلغ عددها تسعاً وستين آية ، وهناك آيات تتبع للموضوع مما جعل العدد يزيد على ثلاثمائة آية ، سواء أكانت هذه الآيات مكية أم كانت مدنية ، مما دفعني إلى اختيار هذه الدراسة ، والتي بعنوان :
(الخسارة : أسبابها وسبل الوقاية منها - دراسة قرآنية موضوعية) .

أهمية الموضوع :

تبرز أهمية الموضوع في أنه يبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم ، ولا يخفى على أحد أن شرف العلم من شرف المعلوم ، كما تبرز أهميته في بيان الخسارة التي يقع الناس فيها ، ويغفلون عنها ، وأهمها خسارة الآخرة ، وذلك لانشغالهم بملذات الدنيا وشهواتها ، وتمثل أهميته في جمع الآيات التي تبين مدى رحمة الله بعباده من خلال تحذيرهم من الوقوع في الخسارة بميادينها ، وبيان عاقبة الخاسرين ، وأسباب خسارتهم ، وكل ذلك من أجل الوقاية من الوقوع فيها ، إضافة إلى آيات تبين سبب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

أسباب اختياره :

- ١ - غفلة الكثير من الناس عن أسباب الخسارة ، وانشغالهم بالحياة الدنيا .
- ٢ - استجابة لتوجيه أستاذي المشرف أ.د. عبد السلام اللوح - حفظه الله - بالبحث في هذا الموضوع ؛ وذلك لأنه لم يتناوله أحد من قبل بالبحث ، حسب بيان مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث ، وحسب دليل الدراسات الجامعية بالجامعة الإسلامية .
- ٣ - رغبتني وحبني في كسب الثواب والأجر ببيان طريق الوقاية من الوقوع في الخسارة ، ليحذر الناس ذلك .
- ٤ - حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم ، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ، وفي إطار دراسة تفسيرية موضوعية .
- ٥ - تشجيع الباحثين والدارسين على البحث في كتاب الله ﷻ ؛ لأنه الأولى بالعناية والدراسة ، وبذل كل جهد ممكن من أجل توضيحه للناس ؛ لأنه دستور الله الخالد .

أهداف البحث وغاياته :

- ١ - ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث .
- ٢ - بيان ميادين الخسارة وأسبابها بياناً واضحاً ، تنبيهاً وتحذيراً للناس من الوقوع فيها .
- ٣ - بيان الوقاية والعلاج الشافي لكثير من نواحي الخلل والانحراف والوهن في واقع المسلمين .
- ٤ - افتقار المكتبة الإسلامية إلى رسالة علمية محكمة تتناول الموضوع من جميع جوانبه في إطار دراسة تفسيرية موضوعية .
- ٥ - المساهمة في النهوض بالتفسير الموضوعي من خلال الاهتمام بموضوعات القرآن المختلفة ، وموضوع الخسارة واحد منها .

الجهود السابقة :

من خلال البحث عن هذا الموضوع في مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ، وبالبحث في دليل الدراسات الجامعية في الجامعة الإسلامية بغزة ، فقد تبين لي أنه لم يكتب في هذا الموضوع من الناحية القرآنية ، بينما وجدت كتباً ومجلات تتحدث عن الخسارة من الناحية (البحرية - الجوية - السياسية - التجارية - الخ) وعنوان بحثي يتعلق بالناحية القرآنية .

منهجية البحث :

سأعتمد في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي ، وذلك حسب منهجية التفسير الموضوعي .

أما طريقتي في البحث فهي كما يلي :

١- جمع الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة الخسارة ومشتقاتها ، وما يتبعها من ألفاظ الفوز والفلاح .

٢- توزيع الآيات القرآنية على فصول البحث ، ومباحثه ، ومطالبه ما أمكن .

٣- الرجوع إلى أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة ، وتفسير الآيات المتعلقة بموضوع الدراسة .

٤- بيان معاني المفردات اللغوية بالرجوع إلى مصادرها الأساسية .

٥- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث ، وتخريجها من مصادرها ، مع ذكر حكم العلماء عليها ما أمكن .

٦- عمل مقدمة مختصرة قبل الحديث عن أي فصل أو مبحث أو مطلب .

٧- عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية .

٨- ترجمة للأعلام غير المشهورين التي قد ترد في البحث ما أمكن .

٩- توثيق النصوص المنقولة في الهامش حسب الأصول .

١٠- إعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والأعلام ، والمصادر

والمراجع ، والموضوعات ، وذلك لتسهيل الانتفاع بهذه الدراسة .

وتحقيقاً لأهداف البحث وغاياته فقد جعلت الدراسة من مقدمة ، وثلاثة فصول ،

وخاتمة ، ومجموعة فهارس ، وذلك على النحو التالي :

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث وغاياته ، والجهود

السابقة ، ومنهجية البحث ، وهيكلته .

الفصل الأول

تعريف الخسارة وميادينها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الخسارة لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الخسارة لغة

المطلب الثاني : الخسارة اصطلاحاً

المبحث الثاني : الخسارة ومشتقاتها في السياق القرآني

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المكية

المطلب الثاني : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المدنية

المبحث الثالث : ميادين الخسارة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : خسارة الأنفس والأهل

المطلب الثاني : خسارة الدنيا والآخرة

المطلب الثالث : خسارة الأعمال

الفصل الثاني

أسباب الخسارة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ضلال السعي في الحياة الدنيا

وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول : استحباب الدنيا على الآخرة

المطلب الثاني : الانشغال بالأموال والأولاد

المطلب الثالث : الظلم والضلال عن الهدى

المطلب الرابع : نقض العهود وقطع الأرحام والفساد في الأرض

المطلب الخامس : قتل النفس والأولاد

المطلب السادس : فقدان مغفرة الله ورحمته

المطلب السابع : اتخاذ غير الإسلام ديناً

المطلب الثامن : الإيمان بالباطل

المطلب التاسع : عدم الغفلة عن مكر الله

المطلب العاشر : التهاون في كسب الحسنات

المطلب الحادي عشر : تحريم الحلال والخوض في محارم الله

المبحث الثاني : الكفر والجحود

وفيه ثمانية مطالب :

- المطلب الأول : الكفر بالله ولقائه
المطلب الثاني : الكفر بالإيمان
المطلب الثالث : الكفر بالآخرة
المطلب الرابع : الجحود بآيات الله
المطلب الخامس : الجحود بالبعث
المطلب السادس : الكيد بالأنبياء
المطلب السابع : الصد عن سبيل الله
المطلب الثامن : الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم
المبحث الثالث : خلل في الطاعة والاتباع
وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : عدم طاعة الله وعبادته
المطلب الثاني : طاعة الكافرين وموالاتهم
المطلب الثالث : اتباع الشيطان وحزبه
المطلب الرابع : اتباع سوء الظن بالله

الفصل الثالث

سبل الوقاية من الخسارة

- وفيه أربعة مباحث :
المبحث الأول : تحقيق الإيمان والتوحيد
وفيه خمسة مطالب :
المطلب الأول : الإيمان بالله وآياته ورسالته
المطلب الثاني : الإيمان بالبعث والحساب
المطلب الثالث : الإيمان بالغيب والقدر
المطلب الرابع : إخلاص النية لله
المطلب الخامس : دوام الاستقامة
المبحث الثاني : القيام بالأعمال الصالحة
وفيه خمسة مطالب :
المطلب الأول : أداء العبادات
المطلب الثاني : حسن المعاملات

المطلب الثالث : الجهاد بالمال والنفس واللسان

المطلب الرابع : التزام الأخلاق والسلوكيات الصالحة

المطلب الخامس : فعل القربات

المبحث الثالث : نماذج من اجتناب المنهيات

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : اجتناب الشرك بالله

المطلب الثاني : اجتناب الفساد

المطلب الثالث : اجتناب الظلم

المطلب الرابع : اجتناب أكل الربا

المطلب الخامس : اجتناب الشح

المبحث الرابع : الالتزام بالمأمورات

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : طاعة الله ورسوله

المطلب الثاني : الصبر والمصابرة

المطلب الثالث : تقوى الله

المطلب الرابع : التوبة إلى الله

المطلب الخامس : ذكر الله

المطلب السادس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المراجع والمصادر
- فهرس الموضوعات .

الفصل الأول

تعريف الخسارة وميادينها

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : تعريف الخسارة لغة واصطلاحاً .
- المبحث الثاني: الخسارة ومشتقاتها في السياق القرآني .
- المبحث الثالث: ميادين الخسارة في ضوء القرآن الكريم .

المبحث الأول

تعريف الخسارة لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الخسارة لغة .
- المطلب الثاني : الخسارة اصطلاحاً .

المبحث الأول

تعريف الخسارة لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: الخسارة لغة

خسر: "الخاء والسين والراء أصل واحد ، يدل على النقص ، فمن ذلك الخُسْر والخُسْرَان ، كالكُفْر والكُفْرَان ، والفُرْق والفُرْقَان ، ويقال خَسَرْتُ المِيزَانَ وَأَخْسَرْتُهُ ، إذا نقصته " (١) .

والخُسْرُ والخُسْرَان انتقاصُ رأس المال ، وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال خَسَرَ فلان ، وإلى الفعل فيقال خَسَرْتُ تجارتَهُ (٢) ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ (٣) ، وكرة خاسرة : غير نافعة .

ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر ، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب ، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين ، قال تعالى : ﴿ ... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٥) .

يجوز أن يكون إشارة إلى تحري العدالة في الوزن، وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون به الميزان يوم القيامة خاسراً، فيكون ممن قال فيه : ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ (٦) .

وكلا المعنيين يتلازمان ، وكل خسران ذكره الله - تعالى - في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير ، دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية، والتجارات البشرية . (٧)

وَخَسِرَ خَسِيراً وَخُسِرَ وَخُسِرَ وَخُسِرْنَا وَخَسَارَةٌ وَخَسَاراً فَهُوَ خَاسِرٌ وَخَسِرٌ ، كله : ضلَّ والخَسَارُ والخَسَارَةُ : الضلال والهلاك، وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (٨)، أي عقوبة بذنبه ، وأن يَخْسِرَ أهلهُ ومنزلهُ في الجنة، قال تعالى :

(١) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - ١٨٢/٢ ، مجمل اللغة - ابن فارس - ٢٨٩/٢ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف - محمد المنياوي - ص ٣١٢ .

(٣) سورة النازعات - الآية (١٢) .

(٤) سورة الزمر - الآية (١٥) .

(٥) سورة الرحمن - الآية (٩) .

(٦) سورة الأعراف - الآية (٩) .

(٧) انظر : المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - ص ١٤٧، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف

الألفاظ - للسمين الحلبي - ص ١٥٥ ، تهذيب اللغة - محمد الأزهرى - ١٦٢/٧ .

(٨) سورة العصر - الآيتان (١-٢) .

﴿... خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١) وفي الحديث : (ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل الجنة منزله)^(٢) ، فذلك قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٣) .
 وقوله تعالى : ﴿... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٤) وقوله : ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥) ، المعنى : تبين لهم خسرانهم لما رأوا العذاب ، وإلا فهم كانوا خاسرين في كل وقت .

والتَّخْسِيرُ : الإهلاك ، والخَنَاسِيرُ : الهلاك ، ولا واحد^(٦) .
 قال صاحب مجمع اللغة : "الخَنَاسِيرُ : الضَّلَالُ ، والهَلَاكُ ، والغَدْرُ ، واللُّؤْمُ ، الخَنَسَرَى : الخَنَاسِيرُ ، الخَيْسَرَى : الضلال ، والهلاك ، واللوم ، والغدر ، ورجل خنسري خاسر ، الذي لا يجيب إلى الطعام لئلا يضطر إلى أن يكافئ داعيه بمثل صنيعه"^(٧) .
 وقد ذكر عبد الله البستاني : "إن الخاسر : الهالك ، والضال ، والمغبون في تجارته . الخاسرة : الأموال أو الأفعال التي لا طائل ورائها ، الخسير : الضال عن الطريق ، الخناسرة : الخونة والجبناء وضعاف الناس ، والغدر ، الخنسرى : اللؤم ، والضلال ، والغدر ، والهلاك ، الخنسير : اللئيم"^(٨) .
 وذكر صاحب كتاب " الوجوه والنظائر " معنى الخاسر على خمسة أوجه ، وهي على النحو الآتي :

" العجز - الغبن - الضلال - النقص - العقوبة " .

فوجه منها : خاسرون يعني : عاجزين ، لقوله تعالى : ﴿لَعْنٌ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾^(٩) ، يعني : إذا لعجزة .
 وكقوله تعالى : ﴿وَلَعْنٌ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾^(١٠) ، يعني لعجزة .

-
- (١) سورة الحج - الآية (١١) .
 (٢) سنن ابن ماجة - كتاب الزهد - باب صفة الجنة - ص ٧٢٠ - رقمه ٤٣٤١ - قال الألباني : صحيح .
 (٣) سورة المؤمنون - الآية (١٠) .
 (٤) سورة غافر - الآية (٧٨) .
 (٥) سورة غافر - الآية (٨٥) .
 (٦) انظر : لسان العرب لابن منظور - ١١٥٦/٢ ، والمصباح المنير - للفيومي - ص ١٨١ ، تاج العروس من جواهر القاموس - للزبيدي - ١٧٦ / ٣ .
 (٧) المعجم الوسيط - ٢٤٢/١ .
 (٨) الوافي "معجم الوسيط للغة العربية" - ص ١٧١ .
 (٩) سورة يوسف - الآية (١٤) .
 (١٠) سورة المؤمنون - الآية (٣٤) .

والوجه الثاني : الخاسرون يعني : المغبونين ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾^(١) ، يعني : الذين غبنوا أنفسهم ، فصاروا إلى النار وغبنوا أهاليهم

في الجنة ، يعني : الأزواج والخدم ، فصاروا بغيرهم لغيرهم .

والوجه الثالث : الخسران يعني : الضلال ، لقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾^(٢) ،

يعني ضل ضلالاً مبيناً ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾^(٣) ، يعني

لفي ضلال .

الوجه الرابع : الخسران يعني : النقصان ، لقوله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُخْسِرِينَ ﴾^(٤) يعني من المنقصين ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا

الْمِيزَانَ ﴾^(٥) يعني : ولا تنتقصوا الميزان .

الوجه الخامس : الخاسرين يعني : في العقوبة ، لقوله تعالى : ﴿ لَئِن أَسْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) يعني : في العقوبة^(٧) .

وقد أضاف الفيروز أبادي وجهين آخرين على ما سبق وهما :

الوجه السادس : "الهلاك لقوله تعالى : ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٨) ، أي الهالكين ، وقوله :

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^(٩) ، أي الهلاك البين .

الوجه السابع : ضد الريح لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١٠) ، " (١١) .

والملاحظ أن معنى الخسارة لغة يدور حول العجز والنقص والضلal والهلاك والغبن

والعقوبة وضد الريح .

(١) سورة الزمر - الآية (١٥) .

(٢) سورة النساء - الآية (١١٩) .

(٣) سورة العصر - الآية (٢) .

(٤) سورة الشعراء - الآية (١٨١) .

(٥) سورة الرحمن - الآية (٩) .

(٦) سورة الزمر - الآية (٦٥) .

(٧) الوجود والنظائر - الدامغاني - ص ٢٠٢ - باختصار .

(٨) سورة الأعراف - الآية (٢٣) .

(٩) سورة الحج - الآية (١١) .

(١٠) سورة المنافقون - الآية (٩) .

(١١) بصائر ذوي التمييز - ٥٣٩/٢ .

المطلب الثاني : معنى الخسارة اصطلاحاً

وبالنظر في الكتب والمراجع التي هي مظنة التعريف الاصطلاحي ، وذلك قدر جهدي واستطاعتي ومنها كتاب " شرح المقاصد " للتفتازاني ، وكتاب " التعريفات للجرجاني، وكتاب " عمدة الحفاظ " ، للسمين الحلبي، وغيرها ، فلم أجد تعريف للخسارة اصطلاحاً، وعليه فإنني ومن خلال المعنى اللغوي السابق ، ومعاني الآيات التي وردت فيها لفظة الخسارة اجتهد في تعريف اصطلاحى لكلمة الخسارة ، فأقول: (هي ضلال السعي وفقدان الأموال والأهل في الدنيا والآخرة ، والوقوع في الهلاك والضللال) أو (هي فقدان الأعمال والأموال والأهل والأجر والثواب في الدنيا والآخرة بسبب ضلال السعي والانحراف عن دين الله).

المبحث الثاني الخسارة ومشتقاتها في السياق القرآني

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المكية .
- المطلب الثاني : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المدنية .

المبحث الثاني

الخسارة ومشتقاتها في السياق القرآني

إذا نظرنا للفظ "خسر" ومشتقاتها في الآيات المكية والآيات المدنية نجد أنها وردت أربعاً وستين مرة ، وفي اثنتين وستين آية ، منها ثلاث وأربعون آية مكية ، وثمانية عشرة آية مدنية ، وقد جاءت هذه الآيات في ثلاث وثلاثين سورة من كتاب الله تعالى ، منها اثنتان وعشرون سورة مكية ، وإحدى عشرة سورة مدنية .

وقد جاء هذا اللفظ القرآني لخسر بعدة صيغ ، وسوف نعرض كل ذلك إن شاء الله

في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المكية (١)

الكلمة المشتقة	اسم السورة	رقم الآية	مرات التكرار
خَسِرَ	الأنعام	٣١ ، ١٤٠	٢
	يونس	٤٥	١
	غافر	٧٨ ، ٨٥	٢
خَسِرُوا	الأنعام	١٢ ، ٢٠	٢
	الأعراف	٩ ، ٥٢	٢
	هود	٢١	١
	المؤمنون	١٠٣	١
	الزمر	١٥	١
	الشورى	١٤	١
	الجاثية	٢٧	١
يَخْسِرُونَ	المطففين	٣	١
خَسِرَ	العصر	٢	١
خَاسِرُونَ	الأعراف	٩٠ ، ٩٩ ، ١٧٨	٣
	يونس	١٤	١
	النحل	١٠٩	١

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ٢٨٥ .

١	٣٤	المؤمنون	خَاسِرِينَ	
١	٥٢	العنكبوت		
١	٦٣	الزمر		
٣	١٤٩ ، ٢٩ ، ٢٣	الأعراف		
١	٩٥	يونس		
١	٤٧	هود		
٢	٦٥ ، ١٥	الزمر		
٢	٢٥ ، ٢٣	فصلت		
١	٤٥	الشورى		
١	١٨	الأحقاف		
١	١٢	النازعات		خَاسِرَةٌ
١	٨٢	الإسراء		
١	٣٩	فاطر		
١	٢١	نوح		
١	١٥	الزمر		
١	٢٢	هود	الأخسرُونَ	
١	١٠١	الكهف	الأخسرِينَ	
١	٧	الأنبياء		
١	٦٣	هود	تَخْسِير	
١	١٨٠	الشعراء	المُخْسِرِينَ	

المطلب الثاني : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المدنية (١)

الكلمة المشتقة	اسم السورة	رقم الآية	مرات التكرار
خَسِرَ	النساء	١١٥	١
	الحج	١١	١

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ٢٨٥ .

١	٩	الرحمن	تَخَسَّرُوا
١	٩	الطلاق	خُسْرًا
٢	١٢١ ، ٢٧	البقرة	خَاسِرُونَ
١	٣٧	الأنفال	
١	٦٩	التوبة	
١	١٩	المجادلة	
١	٩	المنافقون	
١	٦٤	البقرة	
٢	١٤٩ ، ٨٥	آل عمران	خَاسِرِينَ
٤	٥٣ ، ٣٠ ، ٢١ ، ٥	المائدة	
١	١١	الحج	
١	١١٩	النساء	خُسْرَانَا

ومن خلال الاطلاع على الجدول الشامل للخسارة ومشتقاتها في الآيات المكية والآيات المدنية يمكن الوقوف على الملاحظات الآتية :

- ١ - عدد المرات الواردة للفظه خسر ومشتقاتها في الآيات المكية حوالي خمس وأربعين مرة في ثلاث وأربعين آية ، وقد ذكرت هذه الآيات في اثنين وعشرين سورة مكية .
وأما في العهد المدني فكان عدد المرات الواردة للفظه خسر ومشتقاتها تسع عشرة مرة ، في ثماني عشرة آية ، وقد ذكرت هذه الآيات في إحدى عشرة سورة .
 - ٢ - الآيات في العهد المكي التي تحمل لفظه خسر ومشتقاتها أكثر من الآيات الواردة في العهد المدني، مما يوحي بأن الناس في العهد المكي لم يكن قد استقر الإيمان في قلوبهم ، ولم يتحللوا بعد من عادات وتقاليد الجاهلية ، فلذلك ضيعوا كثيراً من ثواب الأعمال في الدنيا والآخرة ، وكان انحرافهم عن الصراط المستقيم وانغماسهم في ملذات الدنيا وشهواتها، اقتضى مزيداً من الخسارة لهم ، لذلك جاءت الآيات المكية بنسبة أكثر نظراً لحالهم .
- أما في العهد المدني فقد غرس الإسلام في قلوبهم حقيقة الإيمان ، وغلبت عليهم الاستقامة على دين الله ، وتجنبوا انحراف السعي مما اقتضى أن تقل وتضمحل خسارتهم ، لذلك جاءت الآيات المدنية بنسبة أقل نظراً لحالهم أيضاً ، والله أعلم .

٣- الناظر للتصارييف الواردة في العهد المكى والعهد المدنى يلاحظ أنها تدور حول الفعل الماضى ، والفعل المضارع ، واسم الفاعل ، وصيغة المبالغة ، وصيغة أفعال التفضيل ، والمصدر ، أما صيغة الأمر فلم ترد مطلقاً ، وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - لم يأمر الناس بالخسارة فى أى ميدان من ميادينها ، بل يحذرنا منها ويتوعدنا عليها بالعذاب فى الدنيا والآخرة .

٤- وبالنظر إلى لفظ "خسر" ومشتقاتها نجد أنها قد جاءت بعدة صيغ ، وسنتعرض لتلك الصيغ سواء فى الآيات المكية أو المدنية ، وذلك ببيان نوع المشتق سواء أكان مجرداً أم متصلاً بالضمائر ، وهى على النحو التالى :

١. خَسِرَ : فعل ماضٍ مجرد ، مبنى على الفتح .
٢. خَسِرُوا : فعل ماضٍ متصلٌ بواو الجمع "الفاعل" .
٣. يَخْسِرُ : فعل مضارع ، مرفوع بالضممة .
٤. يُخْسِرُونَ : فعل مضارع ، متصلٌ بواو الجماعة ، ومرفوع بثبوت النون ؛ لأنه من الأسماء الخمسة .
٥. تُخْسِرُوا : فعل مضارع ، متصلٌ بواو الجماعة ، ومجزوم أو منصوب بحذف النون .
٦. خُسْرٌ : مصدر ، مجرد من الضمائر .
٧. خُسْرًا : مصدر ، منصوب بالفتحة .
٨. خَاسِرُونَ : جمع لاسم الفاعل ، مرفوع بالواو .
- ٩- خَاسِرِينَ : جمع لاسم الفاعل ، منصوب أو مجرور بالياء .
١٠. خَاسِرَةٌ : اسم فاعل ، متصل بتاء التأنيث .
١١. خُسَارًا : مصدر ، منصوب بالفتحة .
١٢. الخُسْرَانُ : صيغة مبالغة على وزن "فعلان" لتأكيد الخسارة .
١٣. خُسْرَانًا : صيغة مبالغة على وزن "فعلان" منصوبة بالفتحة .
١٤. الأَخْسِرُونَ : جمع لصيغة أفعال التفضيل من "أخسر" مرفوعة بالواو .
١٥. الأَخْسِرِينَ : جمع لصيغة أفعال التفضيل من "أخسر" منصوب أو مجرور بالياء .
١٦. تَخْسِيرٌ : صيغة مبالغة على وزن "تفعيل" لتأكيد الخسارة .
١٧. المُخْسِرِينَ : جمع لاسم الفاعل ، مجرور أو منصوب بالياء .

وبعدما تعرفنا على الآيات الشاملة للخسارة وميادينها ، ومن خلال النظر فى واقعنا المعاصر ، وما يدور فيه نجد أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين موضوعنا "الخسارة" وواقعنا

المعاصر ، وما يحصل في هذا الواقع أكبر دليل على هذا الارتباط ، وذلك مما نراه من لهفة الناس ولهتهم وراء متاع الدنيا وشهواتها الذي لا فائدة منه .

يقول أحمد عسّاف : "فالدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة ، وهي سائرة سيراً عنيفاً ، ومرحلة ارتحالاً سريعاً ، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحس عند انقضائها ، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن الظاهر ، تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة

وقيل : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ، ازداد عطشاً حتى يقتله" (١) .

وقيل : "من عرف أن الدنيا كالتلج يذوب ، والآخرة كالدر يبقى ، قويت رغبته في بيع هذه بهذه ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٢) ، " (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٤) .

ولننظر في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته ، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا ، ولا تفريط في حقوق النفس ، قال رسول الله ﷺ : (ليأتين على أمتي ما أوتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة) ، قال : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : (ما أنا عليه وأصحابي) (٥) .

"إن لا بد من الزهد فيها ، فالزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، وبينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات ، ومن زهد في كل شيء سوى الله تعالى ، فهو الزاهد الكامل ، ومن زهد في الدنيا مع رغبته في الجنة ونعيمها ، فهو أيضاً زاهد ،

(١) بغية الطالبين من إحياء علوم الدين - ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) سورة النساء - الآية (٧٧) .

(٣) المرجع السابق - ص ٣٤١ .

(٤) سورة النحل - الآية (٩٦) .

(٥) سنن الترمذي - كتاب الإيمان عن رسول الله - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة - ص ١٩١٨ - رقمه ٢٦٤١ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

ولكنه دون الأول ، وليس من الزهد ترك المال ، وبذله في سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب ، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة" (١) .
ومن فضيلة الزهد قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ ﴾ (٢) .

يقول رسول الله ﷺ : (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة) (٣) .

وما يحصل من النزاعات والخلافات على المكانة العالية والأمور الدنيوية ، وانغماس الناس في مشاكل الحياة التي يتعرضون لها جعلتهم يغفلون عن القيام بالأعمال التي تقربهم من الله ، إذ يخسر الناس أعمالهم بسبب ضلال سعيهم في الدنيا ، وذلك بالابتعاد عن صراط الله المستقيم الذي أمرنا باتباعه وارتكاب المعاصي والذنوب ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

ومع ذلك نجد الناس ينحرفون عن هذا الصراط ويضل سعيهم ، مما يترتب عليه خسارة الأعمال ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٥) .

"الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله - تعالى - تسقط العبد من عينه سبحانه ، ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغفلة ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاده يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وهو الله، وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثم خزي دائم وندم ملازم ، وبكاء متواصل ، وأسف على ما كان مع طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذر العتاب ، فأف للذنوب ما أقبح آثارها وأسوأ أخبارها" (٦) .

(١) انظر : بغية الطالبين من إحياء علوم الدين - أحمد عساف - ص ٣٤٠ .

(٢) سورة الحجر - الآية (٨٨) .

(٣) سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الهم بالدنيا - ص ٦٨٣ - رقمه ٤١٠٥ - قال الألباني : صحيح .

(٤) سورة الأنعام - الآية (١٥٣) .

(٥) سورة الكهف - الآيات (١٠٣-١٠٤) .

(٦) موارد الظمان لدروس الزمان - عبد العزيز محمد السلطان - ٨٧/٥ - نقلاً عن ابن الجوزي .

إذن يا عباد الله لا بد من التوبة من الذنوب فهي مفتاح السعادة في هذه الدنيا وفي دار
القرار ، ومن غفل عن ذلك نهايته الخسارة والهلاك في الدنيا والآخرة .
ونسأل الله الهداية والرشاد لأمتنا ؛ لأن ذلك فيه النجاة والصلاح لها .

ملاحظة :

لن يكون البحث دائراً على الآيات المكية والمدنية المتعلقة باللفظ القرآني لخسر
ومشتقاتها فقط ، وإنما ستكون لنا وقفة مع آيات الفلاح والفوز التي تؤدي بنا إلى النجاة من
الخسارة ، وقد بلغ عددها تسعاً وستين آية ، سواء أكانت مكية أم مدنية ، إضافة إلى آيات
أخرى يقتضيها البحث والدراسة مما سيصل بالآيات على أن تتجاوز ثلاثمائة آية كما سيظهر
في فهرس الآيات القرآنية .

المبحث الثالث

ميادين الخسارة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول: خسارة الأنفس والأهل .
- المطلب الثاني: خسارة الدنيا والآخرة .
- المطلب الثالث : خسارة الأعمال .

المبحث الثالث

ميادين الخسارة في ضوء القرآن الكريم

إن القرآن الكريم قد أشار إلى مجموعة من أنواع الخسارة ، مثل كل نوع فيها ميداناً ، وإن هذه الخسارة التي ذكرها كتاب الله لهي الخسارة الحقيقية ، وهي المصيبة الكبرى ، والطامة العظمى ، سواء وقعت هذه المصيبة في الدنيا أو في الآخرة ، أو وقعت فيهما معاً ، وبيان ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : خسارة الأنفس والأهل

إن أخص ما يملكه الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، وأقرب شيء إليه ، هي نفسه التي بين جنبيه ، وأهله المقربون إليه من زوجة وأبناء وأحفاد وأرحام ، فإذا خسر نفسه أو أهله فقد خسر أخص شيء وأقربه إليه ، وعلى ذلك فإن خسارته سواء في نفسه أو أهله ، وسواء في حياته أو في آخرته ، فإنها هي المصيبة العظمى والطامة الكبرى ، لكن كيف يمكن أن يخسر الإنسان نفسه ؟ وكيف يمكن أن يخسر أهله ؟ وما أسباب هذه الخسارة ؟ هذا ما ستوضحه الآيات مع تفسيرها :

* قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

تتحدث الآية الكريمة عن قدرة الله في الخلق فهو الخالق والمالك والمتصرف به ، وعن قدرته على بعث الخلائق ، ولكن أبى الظالمون إلا جحوداً ، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق فأوضاعوا في معاصيه ، وتجروؤوا على الكفر به ، فكانت النتيجة أنهم خسروا دنياهم وأخراهم ، وحكموا على أنفسهم بالهلاك لمخالفة الفطرة الأولى وستر العقل السليم ، فهم بسبب خسارتهم لأنفسهم بإهمال العقل ، وإعمال الحواس ، والتقيد بالتقليد لا يؤمنون ، فصاروا كمن يُلقى نفسه من شاهق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة . (٢)

يقول سيد قطب : "هذه الآية ذات المد العالي والإيقاع الرهيب ، تجيء في أعقاب الحديث عن التكذيب والإعراض والسخرية والاستهزاء ، وما ختم به هذا الحديث ، وما تخلله

(١) سورة الأنعام - الآية (١٢) .

(٢) انظر : نظم الدرر - للبقاعي ٥٩٥/٢ ، تيسير الكريم الرحمن - للشيخ عبد الرحمن السعدي - ص ٢١٤ ، روح البيان في تفسير القرآن - لإسماعيل حقي - ١٤/٣ .

من التهديد المخيف ، مع توجيه الأنظار والقلوب إلى الاعتبار بمصارع المكذابين المستهزئين ، فيأتي بعد هذا التعرض لحقيقة الألوهية ، ممثلة في الملك والفاعلية ، وفي القدرة والقهر ، كل ذلك لا لمجرد التقرير اللاهوتي أو الفلسفي النظري السلبي ، ولكن لتقرير مقتضيات هذه الحقائق من توحيد الولاية والتوجه ، وتوحيد الاستسلام والعبودية .

فيأتي موقف المواجهة للبيان والتقرير ، ثم المفاصلة ، ومن ثم يبدأ بتوجيه الرسول لهذه المواجهة مواجهة المشركين ، الذين يعرفون أن الله هو الخالق ، ولكنهم أغلقوا فطرتهم وعطلوها دون رؤية هذه الحقيقة ، فعدلوا به من لا يخلق ، فيجعلون له شركاء مع الله في تصريف حياتهم ، مواجهتهم بالسؤال عن الملكية بعد الخلق لكل ما في السموات والأرض ، وبالتالي لن يخسر في هذا اليوم إلا الذين لم يؤمنوا في الدنيا ، وهؤلاء لن يخسروا شيئاً ويكسبوا شيئاً ، هؤلاء خسروا كل شيء ، فقد خسروا أنفسهم كلها فلم يعودوا يملكون أن يكسبوا شيئاً ، ولم تعد لهم نفس تؤمن ! وهو تعبير دقيق عن حالة واقعة ، إن الذين لا يؤمنون بهذا الدين مع عمق ندائه وإيحائه للفطرة بموحيات الإيمان ودلائله ، هؤلاء لا بد أن يكونوا قد فقدوا قبل ذلك فطرتهم ، وأجهزة الاستقبال ، والاستجابة الفطرية في كيانهم معطلة مخربة ، فهم في هذه الحالة قد خسروا أنفسهم ذاتها" (١) .

* وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

في هذه الآية نعود إلى مواجهة المشركين المكذابين بالقرآن الكريم ، والمكذابين بالرسول ﷺ والمكذابين بكل شيء ، وما ينالونه من العذاب الشديد ، فهي تقرر معرفة أهل الكتاب بهذا القرآن ، أو بصحة رسالة محمد ﷺ أو بمعرفته هو بحليته وبعته على ما هو مذكور في التوراة والإنجيل ، فيعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وهم يدرسون هذا الدين دراسة دقيقة عميقة ، وينقبون عن أسرار قوته ، وعن مداخلة إلى النفوس ومساربه فيها .

لما قدم النبي ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام : إن الله تعالى أنزل على نبيه ﷺ أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة ؟ قال عبد الله بن سلام : نعرف نبي الله بالنعمة الذي نعتة الله إذا رأيناه فيكم ، كما يعرف أجدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان ، وأيم الله الذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني فقال له :

(١) انظر : في ظلال القرآن - ١٠٤٧/٢ - ١٠٥٣ .

(٢) سورة الأنعام - الآية (٢٠) .

كيف؟ قال عبد الله: عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا، فأشهد أنه هو، فأما ابني فأني لا أدري ما أحدثت أمه فقال: قد وفقت وصدقت وأصبحت.

وإذا كانت كثرتهم لم تؤمن به بعد وضوح الآيات فذلك لأنهم خسروا أنفسهم، فهم لا يؤمنون، شأنهم في هذا شأن المشركين، الذين خسروا أنفسهم فلم يدخلوا في هذا الدين (١).

وقيل: إن الله ختم الآية ببيان خسارتهم لأنفسهم، وإركاسهم أنفسهم في الفساد، وبسبب ذلك لا يؤمنون أي لما سبق لهم من القضاء بالشقاء الذي خسروا به أنفسهم، ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن، فكيف يشهد؟ فبينت هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو في الحقيقة ميت (٢).

يقول الماوردي: "أنهم خسروا أنفسهم" فيها تأويلان:

"أحدهما: أنهم خسروا بالكفر منازلهم وأزواجهم في الجنة؛ لأنه ليس أحد من مؤمن ولا كافر إلا وله منازل وأزواج، فإن أسلموا كانت لهم، وإن كفروا كانت لمن آمن من أهلهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).
والثاني: معناه غبنوها فأهلكوها بالكفر والتكذيب" (٤).

* وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٥).

الإشارة هنا في هذه الآية إلى الجاحدين المنكرين الذين يفترون على الله ﷻ، اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله ﷻ، وزعموا شفاعة الآلهة لهم، فخسروا سعادة الدنيا والآخرة لتبديلهم الهداية بالضلالة، وخسروا راحة أنفسهم وسعادتها، وزُجوا في نار جهنم، فكان مصيرهم أعظم خسارة لهم (٦).

"الذي يخسر نفسه لا يفيد شيئاً مما كسب غيرها، وأولئك خسروا أنفسهم فأضاعوها في الدنيا، لم يحسوا بكرامتهم الآدمية التي تتمثل في الارتفاع عن الدينونة لغير الله من العبيد، كما تتمثل في الارتفاع عن الحياة الدنيا والتطلع مع المتاع بها إلى ما هو أرقى

(١) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٦٠/٢، صفوة التفاسير - محمد الصابوني - ٣٨٤/١، مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الطبرسي - ٢٤/٤.

(٢) انظر: نظم الدرر - للبقاعي - ٦١٩/٢، زهرة التفاسير - محمود أبو زهرة - ٢٤٦٦/٧.

(٣) سورة المؤمنون - الآية (١١).

(٤) النكت والعيون - ١٠٠/٢.

(٥) سورة هود - الآية (٢١).

(٦) انظر: المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢١/١٢، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٦٩٤/٧.

وأسمى ، وذلك حين كفروا بالآخرة ، وحين كذبوا على ربهم غير متوقعين لقاءه ، وخسروا أنفسهم في الآخرة بهذا الخزي الذي ينالهم ، وبهذا العذاب الذي ينتظرهم" (١) .

وضاع وبطل وغاب عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الآلهة لهم ، فتلفتوا فلم يجدوها ، أو توهموا أنها تتفعمهم فلم تُجدهم ، فهي لا وجود لها في ذاتها ، وإن وجودها كالآلهة إنما هو في أوهامهم وافتراءهم (٢) .

* وقال تعالى : ﴿... لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٣) .

ذكر صاحب "روح البيان في تفسير القرآن" أن "لا جرم" في الآية الكريمة فيها ثلاثة

أوجه وهي على النحو التالي :

"الأول : أن لا النافية لما سبق ، وجرم فعل بمعنى حق ، والمعنى : لا ينفعمهم ذلك الفعل ، أي : حق (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) .

الثاني : أن جرم بمعنى كسب ، أي : كسب ذلك خسرانهم ، فالمعنى : ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم .

الثالث : أن لا جرم بمعنى : لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون ، وأياً ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر" (٤) .

ويقول محمد رضا في تفسيره : "كلمة (لا جرم) تفيد التحقيق والتأكيد لما بعدها ، قال

الفراء : هي في الأصل بمعنى : لا بد ولا محالة ، ثم كثرت فحولت إلى معنى القسم وصارت بمعنى "حقاً" ، ولهذا تجاب باللام نحو : لا جرم لأفعلن كذا ، أي حقاً أنهم في الآخرة لأشد الناس خسراناً" (٥) .

وفي الآية تأكيد وإثبات لما يناله هؤلاء الجاحدون المنكرون في الآية السابقة من

العذاب الشديد ، والخسران الأكيد ، حيث أكد الله - سبحانه وتعالى - في الآية بأنهم لا محالة يوم القيامة أشد الناس خسراناً ، وأنهم بلغوا في الآخرة أقصى درجات الخسارة ؛ لأنهم آثروا الحياة الفانية على الباقية ، واشتروا الضلالة ، ولذا جاء جمع "الأخسرون" ففعل التفضيل يدل على أقصى درجات الخسارة ، لا خسارة فوقها أو مثلها ، بل هي فوق كل خسارة (٦) .

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٨٦٨/٢ .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم الشهير "بتفسير المنار" - محمد رضا - ٧٥/١٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٦٩٤/٧ .

(٣) سورة هود - الآية (٢٢) .

(٤) روح البيان - إسماعيل حقي - ١٢١/٤ .

(٥) تفسير المنار - ٥٧/١٢ .

(٦) انظر : زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٦٩٤/٧ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٢/١٢ .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (١) .

لقد ذكرت لفظة الوزن والموازن في مواضع كثيرة من القرآن ، ومنها الآية التي بين أيدينا والتي سنتناولها بالشرح والبيان .

"موازينه" جمع ميزان ، وأصله موزان ، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وقيل : إن الموازين جمع موزون ، لا جمع ميزان ، أي فمن رجحت أعماله الموزونة ، يعني أراد بالموازن الأعمال الموزونة ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ، والأول أولى (٢) .

فإن قيل : "إن الميزان واحد ، فلماذا كان التعبير بالجمع بكلمة "موازينه" ؟

فنقول : إنه لتعدد الأعمال الموزونة ، يكون كل صنف منها قد ثقل فيها ميزانه ، فيكون قد ثقلت موازينه ، وكذلك يقال فيمن خفت موازينه" (٣) .

وقيل : لأن المراد بها جميع الموزون ، وقيل : أراد به الميزان ، وقد ذكر باسم الجماعة ، كما يقال : خرج فلان إلى مكة على البغال (٤) .

(ومن خفت موازينه) : أي علت كفة أعمالهم لخفتها ، فأولئك بسبب هذا خسروا أنفسهم ، فيقول ابن عباس : توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان ، فيؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه حتى يقع في النار ، "وخسروا أنفسهم" هي كناية عن أن العذاب ينزل ولا يخفف عنهم (٥) .

يقول محمد أبو زهرة : "وخسران نفوسهم في هذا يشير إلى معان ثلاثة ، وهي على

النحو التالي :

أولها : أنهم هم الذين كانوا بأعمالهم في الدنيا عاملين على خسارتها ، فلم تكن الخسارة لاحقة بهم من غيرهم .

ثانيها : أن العذاب خسارة للنفس أي خسارة ، وأنهم هم الذين جلبوا لها هذه الخسارة الخالدة .

(١) سورة الأعراف - الآية (٩) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٠٨/٤ ، فتح القدير - الشوكاني - ٢٧٠/٢ .

(٣) زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٧٨٩/٥ .

(٤) انظر : بحر العلوم - نصر السمرقندي - ٥٣٢/١ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٠٨/٤ ، بحر العلوم - نصر السمرقندي - ٥٣٢/١

الوسيط في تفسير القرآن المجيد - علي النيسابوري - ٣٥٠/٢ .

ثالثها : أنهم كانوا يحسبون في ضلالهم في الدنيا أنهم يكسبون بخطرستهم وكبريائهم واغترارهم بمظاهر القوة ، فبين الله تعالى أنهم الأخسرون أعمالاً ، وذلك عند ميزان الأعمال بميزان الخير والشر ، لا بميزان الغرور والاستكبار .

وهذه الخسارة التي خسروا بها أنفسهم بسبب أنهم كانوا مستمرين طول حياتهم الدنيوية مكذبين بآياتنا الدالة على وحدانية الله - سبحانه وتعالى - وأضاف الله الآيات إليه لعظم تكذيبهم ؛ لأنهم يكذبون الآيات المنسوبة إليه ، فتكذيب أكبر من في الوجود ، ومنشئء الوجود ، أكبر تكذيب وأكبر ظلم" (١) .

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها ذكرت النار فبكت ، فقال رسول الله ﷺ : (ما يبكيك؟) فقالت : ذكرت النار فبكيك ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : (أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حتى يقال : (هاؤم اقرؤوا كتابيه) حتى يعلم أين يقع كتابه : أفي يمينه أم في شماله ، أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم) (٢) .

* قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءَهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣) .

هذه الآية تضمنت التحذير من التكذيب بآيات الله ورسله ، ومن انتظار تأويل هذا الكتاب ، فهذا هو تأويله كما ذكرته الآية ، حيث لا فسحة لتوبة ، ولا شفاعة في الشدة ، ولا رجعة للعمل مرة أخرى (٤) .

لقد كفر المشركون والكفار من أهل الكتاب ، وانتظروا تحقيق ما يدل عليه من بعث وحساب وعقاب وثواب ، لذا ذكر الله تلك الآية ، فهؤلاء يوجه الله إليهم سؤالاً استنكارياً لنفي الوقوع ، فقال : "هل ينظرون إلا تأويله" والنظر هنا بمعنى الانتظار ، أي لا ينتظرون إلا تأويله يعني معرفة المآل والعاقبة ، فهؤلاء ينظرون ما وعدوا به من

(١) زهرة التفاسير - ٢٧٨٩/٥ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في ذكر الميزان - ص ٧١٤ - رقمه ٤٧٥٥ - قال الألباني : ضعيف .

(٣) سورة الأعراف - الآية (٥٣) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٢٩٤/٨ .

العذاب والنكال والجنة والنار ، قال الربيع : لا يزال يجيء من تأويله أمر ، حتى يتم يوم الحساب ، حين يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فيتم تأويله يومئذ ، فينكر الناسون ، ويتبته الغافلون ، ويرون عياناً ما أنكروه في الدنيا جهاراً ، ويقرون الآن بالحق الذي أنكروه ، فينصتون على أن الرسل جاءوا بالحق ، أي الأمر الثابت الذي لا يرد ولا ينكر ، وأحسوا بغفلتهم عنه في الدنيا ، وأن العذاب واقع بهم لا محالة ، فأصبحوا حينئذ يتمنون الخلاص بكل ما يمكن من أحد أمرين : إما شفاعاة الشافعين ، وإما الرجوع إلى الدنيا لإصلاح العمل ، وتجديد السلوك والمنهج الذي يرضي الله تعالى ، فلم ينالوا ما تمنوا ، وبالتالي ختم الله الآية بتسجيل الخسارة عليهم ، وتخلي أوليائهم عنهم وأكد الله خسارتهم بقيد ، فقد خسروا في ذات أنفسهم إذ ضلوا ، والضلال خسارة للنفس ، وخسروا أنفسهم فأوقعوها في الهلاك الذي يكون يوم تأويله ، وخسروا الحق فكانوا من المبطلين ، وخسروا أيضاً أولياء لهم يناصرونهم ، ولذا غابوا غيبة منقطعة لا يعرفون أين هم ، وهم الأوثان التي كانوا يفترونها ، فخسروا خسراناً مبيناً^(١) .

وقيل : (قد خسروا أنفسهم) "أي فلم ينتفعوا بها ، وكل من لم ينتفع بنفسه فقد خسرها ، وقيل : خسروا النعم وحظ أنفسهم منها"^(٢) .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾^(٣) .

في هذه الآية يبين جزاء المكثرين من الأعمال السيئة فيقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أي موازين أعماله الحسنة أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها ، وهي أعماله السيئة كذا قيل ، وهو مبني على اختلافهم في وزن أعمال الكفرة . فهو لاء ضيعوها بتضييع زمان استكمالها ، وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها ، وبالتالي خسروا أنفسهم بزجها في نار جهنم ، وهم مستقرون خالدون فيها^(٤) . وقد تقدم الكلام في نظير هذه الآية في سورة الأعراف ، وتم الحديث عنها بشكل مفصل^(٥) .

(١) انظر : زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٨٦٠/٦ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - وهبة الزحيلي - ٢٢٨/٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ١٤٠/٧ .

(٣) سورة المؤمنون - الآية (١٠٣) .

(٤) انظر : روح المعاني - للأوسى - ٩٩/١٧ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٨٣/٥ .

(٥) انظر : صفحة (٢٠) .

* وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١) .

ابتدأ الله هذه الآية بالتهديد والتوبيخ لهؤلاء الذين يعبدون غير الله بعدما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما هو واضح في الآية التي سبقت هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (٢) .

حيث إن الخطاب في تلك الآية موجه إلى النبي ﷺ أي قل لهم : الله أعبد لا غيره استقلالاً ولا اشتراكاً ، مخلصاً له عبادتي مبتعداً عن الشرك والرياء ، ولذلك رتب عليه قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ وهذا الأمر للتهديد والتوبيخ والتوبيخ .

يعني فاعبدوا ما شئتم أيها المشركون ، من دون الله الأصنام والأوثان فسترون عاقبة شرككم وكفركم (٣) .

ثم أمر الله رسوله أن يذكر للمشركين حالهم يوم القيامة فقال : قل لهم أيها الرسول : إن الخسران الذي لا خسران بعده ، هو خسران النفس بإهلاكها في النار ، وإضاعته بالضلال ، وخسران الأتباع الذين أضلوهم وأوقعوهم في العذاب السرمدي يوم القيامة إذ أوقعوهم في هلكة ما بعدها هلكة ، وخسروا أهليهم ؛ لأنهم أضلوهم فصاروا إلى النار (٤) .

يقول النسفي في كتابه : "ولقد وُصف خسرانهم بغاية الفظاعة وذلك في قوله : ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ، حيث بدأ صدر الجملة بحرف التنبيه ، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر ، وعرف الخسران ونعته بالمبين ، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً ، وبالدرجات دركات" (٥) .

فهذا هو الخسران الواضح الظاهر البين وهو خسرانهم في الدنيا والآخرة .

* قال تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ (١) .

(١) سورة الزمر - الآية (١٥) .

(٢) سورة الزمر - الآية (١٤) .

(٣) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٥٢١/٤ ، تفسير المراغي لأحمد المراغي - ١٥٤/٨ ، الأساس في التفسير - سعيد حوى - ٤٨٦٤/٩ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لعبد الله النسفي - ١٠٢٢/٣ .

(٤) انظر : تفسير المراغي - ١٥٥/٨ ، الأساس في التفسير - سعيد حوى - ٤٨٦٤/٩ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لعبد الله النسفي - ١٠٢٢/٣ .

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل - ١٠٢٢/٣ .

(٦) سورة الشورى - الآية (٤٥) .

وفي هذه الآية لما أثبت الله رؤيتهم العذاب ، أثبت دنوهم من محلّه ، وبين حالهم في ذلك الدنو ، فقال موجهاً الخطاب فيه إلى النبي ﷺ يا أكمل الخلق ويا أيها المتشوف إلى العلم بحالهم ، بعينك انظر إليهم حال كونهم يعرضون على النار التي هي دار العذاب ، مكرراً عرضهم في طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الأهوال بمقاساة ما عليهم من الأحمال الثقال حال كونهم "خاشعين" أي ساكنين متواضعين ، ولما كان الخشوع قد يكون محموداً قال : "من الذل" لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة منّ عصوه .

ولما كان الذل ألواناً ، صوره بأقبح صورة ، فقال معبراً بلفظ النظر الذي هو مماسة البصر لظاهر المبصر ، "ينظرون من طرف خفي" يُعرف فيه الذل ، سارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلة في أنفسهم (١) .

ذكر الإمام الطبري في كتابه : "أن أهل التأويل اختلفوا في معنى قوله : (من طرف خفي) .

فقال بعضهم : معناه : من طرف ذليل ، وكأن معنى الكلام : من طرف قد خفي من ذلة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر .

وقال : اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحوي البصرة في ذلك جعل الطرف العين ، كأنه قال : ونظرهم من عين ضعيفة ، والله أعلم .

وقال آخرون منهم : إنما قيل : "من طرف خفي" لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم ؛ لأنهم يُحشرون عُمياً .

والصواب من القول في ذلك ، القول الذي ذكر عن ابن عباس ومجاهد ، وهو أن معناه : أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل ، وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم ، حتى كادت أعينهم أن تغور ، فتذهب" (٢) .

ولقد أحسن الطبري في تصويبه وترجيحه لأن الآية جاءت بلفظة "خفي" التي تدل على الذل والهوان .

ولما صور حالهم ، وكان من أفظع الأشياء وأقطعها للقلوب شماتة العدو ، قال مبشراً لجميع أصناف أهل الإيمان ، ورادعاً لأهل الكفران : (وقال الذين آمنوا)

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٦/٦٤٤ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد - لعلني النيسابوري - ٤/٥٩ .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١١/١٥٩ .

أي في ذلك الموقف الأعظم على سبيل التوبيخ والتقريع ، هؤلاء المؤمنون أوقعوا هذه الحقيقة عند رؤيتهم إياهم على هذه الحال ، ويجوز أن يكون قولهم هذا في الدنيا لما غلب على قلوبهم من الهيبة عندما تحققوا هذه المواظ : "إن الخاسرين" أي الذين كملت خسارتهم هم خاصة (الذين خسروا أنفسهم) بما استغرقها من العذاب ، "وأهليهم" بمفارقتهم لهم إما في إطباق العذاب إن كانوا مثلهم في الخسران ، أو في دار الثواب إن كانوا من أهل الإيمان ، ولما كان هذا نهاية الخسارة ، أنتج قوله منادياً ذاكراً سبب هذه الخسارة المعنية مؤكداً لأجل إنكار الظالمين لها ، (ألا إن الظالمين) أي الراسخين في هذا الوصف ، فهم بحيث لا ينفكون عن فعل الماشي في الظلام بوضع الأشياء في غير موضعها (في عذاب مقيم) أي لا يزايلهم أصلاً ، فلذلك لا يفرغون منه في وقت من الأوقات ، فلذلك كان خسراهم لكل شيء (١) .

المطلب الثاني: خسارة الدنيا والآخرة

في هذا المطلب سنتحدث عن الميدان الثاني من ميادين الخسارة في ضوء القرآن وهو عن كيفية خسارة الناس لدنياهم وآخرتهم، فهناك العديد من الأسباب التي تجعلهم يخسرون الدنيا والآخرة وذلك يكون بضلال السعي في الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٢) .

وبالانغماس في ملذات الدنيا وشهواتها وذلك بالانشغال في جمع الأموال وإكثارها، وبالانشغال بالأولاد، التي ألتهتهم عن عبادة الله وذكره، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) ، وقوله: ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٤) .

وبالفساد في الأرض بكل أشكاله كان سبباً في خسارتهم، لقوله تعالى: ﴿ ... وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥) .

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٦/٦٤٥ .

(٢) سورة الكهف - الآيتان (١٠٣-١٠٤) .

(٣) سورة المنافقون - الآية (٩) .

(٤) سورة نوح - الآية (٢١) .

(٥) سورة البقرة - الآية (٢٧) .

وبالضلال وعدم الهداية، وعدم نيل مغفرة الله ورحمته، والسعي وراء الشهرة والمكانة ، مع غيرها من الأسباب الأخرى، كل ذلك جعل الإنسان يغفل عن شيء مهم، وهو أن الله ﷻ أوجدنا على سطح الأرض في هذه الحياة الدنيا لهدف وغرض، ألا وهو عبادة الله - سبحانه وتعالى - لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

والعبادة تعني الإكثار من فعل الطاعات والأعمال الحسنة لتكون ذخراً لنا يوم القيامة، وبالتالي ننال رضوان الله وجنته، وننجو من الخسارة الساحقة في الدنيا والآخرة .

وستتناول الآيات التي تتحدث عن كيفية خسارة الإنسان لدنياه وآخرته بالتفصيل إن شاء الله ، وهي على النحو الآتي:

* قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

قال بعض المفسرين: إن قوله : "ومن يتبع ... نزلت في الحارث بن سويد (٣) ، ولم يذكر ذلك الطبري (٤) .

وقيل : "نزلت في شأن مرثد بن أبي مرثد (٥) ، وطُعْمَةَ بْنِ أَبِي رُقَيْقٍ (٦) ، ومَقْبِيسَ بْنِ صُبَّابَةَ (٧) ، والحارث بن سويد، وكانوا عشرة، وقيل : كانوا اثني عشر" (٨) .

(١) سورة الذاريات - الآية (٥٦) .

(٢) سورة آل عمران - الآية (٨٥) .

(٣) الحارث بن سويد المخزومي ، ويقال : ابن مسلمة المخزومي ، ارتد على عهد النبي ﷺ ولحق بالكفار ، فنزلت هذه الآية ﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ (آل عمران : ٨٦ ، ٨٧) ، فحمل رجل هذه الآيات فقرأهن عليه ، فقال الحارث : والله ما علمتكم إلا صدوقاً ، وإن الله لأصدق الصادقين ، فرجع وأسلم وحسن إسلامه - انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣٦٣/١ ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - ٦٧١/١ .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية - ٢٠٣/٣ .

(٥) مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، له ولأبيه صحبة ، وشهد بدرأ ، وكان حليفي حمزة بن عبد المطلب ، وقتل مرثد يوم الرجيع في حياة رسول الله ، قال ابن حجر : كان قتله في صفر سنة أربع ، وكان زميل النبي ﷺ - انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - ٣٧٨/٥ .

(٦) طُعْمَةَ بْنِ أَبِي رُقَيْقٍ بن عمرو بن حارثة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله إلا بدرأ ، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة - انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير - ٤٦٥/٢ ، الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلاني - ٤٢٠/٣ .

(٧) مَقْبِيسَ بْنِ صُبَّابَةَ بْنِ حَزَنَ بْنِ يسار الكناني القرشي ، شاعر ، أقام بمكة ، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية ، شهد بدرأ مع المشركين ، أسلم له أخ اسمه هشام ، وقتله رجل من الأنصار خطأ ، وأمر النبي ﷺ بإخراج ديبته ، وقدم مقيس من مكة مظهراً للإسلام ، وقبض الدية ، ثم ترقب قاتل أخيه فقتله ، واراد ولحق بقريش ، فأهدر النبي ﷺ دمه ، فقتله نميلة بن عبد الله الليثي يوم فتح مكة ، وقيل : رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسياهم - انظر : الأعلام للزركلي - ٢٨٣/٧ .

(٨) بحر العلوم - لنصر السمرقندي - ٢٨٢/١ .

وقد ذكر محمد أبو زهرة في كتابه : "أن الإسلام في الآية الكريمة هو الإسلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾ (١) .

فهو الإيمان بالله تعالى وحده ، وإذعان العقل والنفس والقلب لله - سبحانه وتعالى - فهو التوحيد ، والانقياد ، والإذعان ، والإخلاص لذات الله ، بحيث يحب الشيء لا يحبه إلا الله ، والمعنى : من يطلب غير الإخلاص ديناً لله تعالى فلن يقبل منه ؛ لأن عدم الإخلاص لله إشراك للهوى ومآرب الدنيا في الاتجاه إليه سبحانه" (٢) .

والدين إذا لم يصل بصاحبه إلى هذا الخضوع والانقياد لله تعالى كان رسوماً وتقاليد لا تجدي شيئاً ، بل تزيد النفوس فساداً ، والقلوب ظلاماً ، ويكون حينئذٍ مصدر الشحناء والعداوة بين الناس في الدنيا ، ومصدر الخسران في الآخرة بالحرمان من النعيم المقيم ، والعذاب الأليم ، وبالتالي يكون جزاء من يقبل بغير الإسلام ديناً أنه في الآخرة من الخاسرين ؛ لأنه أضاع ما جبلت عليه الفطرة السليمة من توحيد الله والانقياد له كما جاء في الحديث الشريف : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدهاء (٣) (٤) .

فخسر نفسه بضياح رضوان الله ، وخسر النعيم المقيم ، ورحمة الله ، فألقى في الجحيم (٥) .

اللهم هب لنا الإخلاص ، وأنزِرْ به بصائرنا ، وامنحنا قبولك ورضاك يا أرحم الراحمين .

* وقال تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦) .

بيّن الله في هذه الآية أحكاماً متعلقة بالحل والحرمة ، منها أنه جعل طعام أهل الكتاب حلالاً للمسلمين ، وطعام المسلمين حلالاً لهم وجعل العفيفات من نسائهم - وهن المحصنات

(١) سورة آل عمران - الآية (١٩) .

(٢) زهرة التفاسير - ١٣٠٢/٣ .

(٣) جدعاء : جَدَعْتُ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ جَدَعاً ، وَجَدَاعٌ : السِّنَّةُ الشَّدِيدَةُ ، وَالجَدَعُ : السَّيِّئُ الْغِذَاءُ ، وَجَدَعْتُ الرَّجُلَ مَجَادَعَةً : إِذَا خَاصَمْتَهُ ، وَالْمُجَدَّعُ مِنَ النَّبْتِ : مَا أُكِلَ أَعْلَاهُ وَبَقِيَ أَسْفَلُهُ ، وَجَدَعَاءٌ : نَاقِصَةٌ ، انظر : مجمل اللغة - لابن فارس - ١٢٣/١ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب ما قيل في أولاد المشركين - ص ١٠٨ - رقمه ١٣٨٥ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٥) انظر : تفسير المراغي - ٢٠٤/١ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٨٥/٢ ، زهرة التفاسير - لمحمد أبو زهرة - ١٣٠٢/٣ .

(٦) سورة المائدة : الآية (٥) .

بمعنى العفيفات الحرائر - حلال للمسلمين بشرط أن يُؤدَى لهن مهورهن ، وحرَم الطريق المؤدي إلى السفاح أو المخادنة ، فمن ينكر شرائع الإيمان وفروعه ، وقوانينه وأحكامه ، التي من جملتها ما بيّن من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمة التي يلزم القيام بها ، ينال الوعيد على مخالفتها ؛ لما في ذلك من تأكيد الزجر عن تضييعها ؛ لأن هذه التشريعات منوطة بالإيمان ، والذي يكفر بالإيمان يبطل عمله ، ويصبح رداً عليه لا يُقبل منه ، ولا يُقر عليه ، وفي الآخرة تكون الخسارة فوق حبوط العمل وبطلانه في الدنيا (١) .

والحبوط مأخوذ من انتفاخ الدابة وموتها إذا رعت مرعى ساماً ، وهو تصوير لحقيقة العمل الباطل ، فهو ينتفخ ثم ينعدم أثره ، كالدابة التي تتسم وتنتفخ وتموت (٢) .
* وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .

سبب نزول هذه الآية ما قاله المفسرون : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم ، وكان أحدهم إذا قدم المدينة ، فإن صح بها "جسمه" ، ونتاجت فرسه مهراً حسناً ، وولدت امرأته غلاماً ، وكثر ماله ، وماشيته آمن به واطمأن ، وقال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً ، وإن أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وأجهضت رماكه (٤) ، وذهب ماله ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً ، فينقلب عن دينه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وروى أبو سعيد الخدري قال : أسلم رجل من اليهود ، فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام ، فأتى النبي ﷺ فقال : أقلني ، فقال : "إن الإسلام لا يُقال" فقال : إني لم أصب في ديني هذا خيراً ، أذهب بصري ومالي وولدي ، فقال : "يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب" قال : ونزلت ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٨٤٨/٦ ، الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ٥٤/٦ ، تفسير القرآن الكريم - عبد الله شحاته - ١٠٣٩/٦ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٨٤٨/٦ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٠٤٤/٤ .
(٣) سورة الحج - الآية (١١) .

(٤) رماكه : الرء والميم والكاف أصلان : أحدهما لون من الألوان ، الثاني بُنْتُ بمكان ، فالأول : الرُمكة من ألوان الإبل ، وهو أشد قدرة من الورقة ، ويقال : جمل أرمك ، ومنه اشتقاق الرامك بتشديد الرء وفتح الميم وكسرها ، والرُمكة : أنثى البراذين ، انظر : معجم مقاييس اللغة - لابن فارس - ٤٤٢/٢ ، ومجمل اللغة - لابن فارس - ٣٠٠/١ .

عَلَى حَرْفٍ... ﴿١﴾ .

وهذه الآية تتحدث عن صنف من الناس لا يعبدون الله عن ثقة ، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم ، عقيدتهم مزعزعة ، فهم المتذبذبون الذين لا يثبتون في أمر دينهم ولا يستقرون ، فهم المنافقون الذين يعبدون الله بألسنتهم دون قلوبهم ، كالذي يكون على طرف الجيش في المعركة ، فإن شعر بالنصر ثبت واستقر ، وإن شعر بالهزيمة لم يثبت وفرّ .

فإن ناله في حياته من صحة وعافية ومال استقر على دينه واطمأن له واستبشر بهذا خيراً ، وإن ناله بلاء ومحنة ابتلاءً لإيمانه واختباراً لنفسه ، رجع وارتد إلى ما كان عليه من الكفر ، وترك الدين ، وكفر به ﴿٢﴾ .

"خسر دنياه وآخرته ، وضع نفعهما لكفره ، وأصبح يتخبط في شقاء دائم ، خسر العزة والكرامة والطمأنينة والرضا والهدوء ، ناهيك عن خسارة المال أو الولد أو الصحة ، وخسر النعيم والثواب الدائم في آخرته" ﴿٣﴾ .

وقيل : "خسر الدنيا بما أصابه من فتنة لم يعتبر بها في دينه ، وكانت شراً عليه في دنياه ، إذا لم يستفد بها في دينه ، وخسر الآخرة ؛ لأنه يموت كافراً ، وذلك الأمر الذي آل إليه هو الخسران المبين الواضح" ﴿٤﴾ .

المطلب الثالث : خسارة الأعمال

وهذا ميدان آخر من ميادين الخسارة ، ألا وهو خسارة الأعمال ، فلو تساءلنا كيف يخسر الإنسان أعماله ؟

كما نعلم أن العمل للأخرة ميدانه هذه الحياة الدنيا ، ومُدَّتُهُ لكل إنسان عمره ، من حين يبلغ الحُلُم ، إلى أن يدركه الأجل ، وهو لهذا جاء إليها ، وأُعطي الفرصة فيها ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾ ﴿٥﴾ .

(١) انظر : لباب النقول في أسباب النزول - للسيوطي - ص ٢٩٦ ، أسباب النزول - علي النيسابوري - ص ١٦٦ .

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي - ص ٤٣٤ ، الوسيط في تفسير القرآن المحيد - لعلي النيسابوري - ص ٢٦١ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٤٩٥١/٩ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٠٦/١٧ .

(٣) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٠٦/١٧ .

(٤) زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٤٩٥٢/٩ .

(٥) سورة الملك - الآية (٢) .

فكل إنسان يجازى على حسب عمله في الحياة الدنيا ، فإن عمل عملاً حسناً نال الجزاء الحسن ، وإن عمل عملاً سيئاً ، نال الجزاء السيء على حسب عمله ، كما يقال : إن الجزاء من جنس العمل ، عن أبي بكر أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الناس خير قال : (من طال عمره وساء عمله) (١) .

والله يراقب أعمال العباد وينظر إليها ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ... ﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (٣) .

إذن لا بد للإنسان من الجد والاجتهاد للإكثار من القيام بالأعمال الصالحة التي يرضى الله عنها ، وبالتالي يكون مثواه الجنة - بإذن الله - .

عن عمران بن حصين قال : (قال رجل : يا رسول الله ، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال : نعم . قال : فلم يعمل العاملون؟ قال : كل يعمل لما خلق له ، أو : لما يُيسر له) (٤) .

ولكن قد يخسر الإنسان كل أعماله فتصبح هباءً منثوراً ؛ إن حاد عن الطريق المستقيم وأكثر من فعل المعاصي ، وارتكاب الآثام لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٥) .

يقول الدكتور محمد الأشقر : "يسمى العمل السيء سوءاً وسيئاً ؛ لأنه يسوء صاحبه في الدنيا عندما تظهر عواقبه المُرّة ، ويسوء الناس إذا علموا به أو وقع عليهم ضرره ،

(١) سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله - باب أي الناس خير وأيهم شر - ص ١٨٨٦ - رقمه ٢٣٣ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) سورة يونس - الآية (٦١) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله - ص ١١٢٧ - رقمه ٦٥٤٣ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) صحيح البخاري - كتاب القدر - باب جف القلم على علم الله - ص ٥٥٢ - رقمه ٦٥٩٦ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٥) سورة الفرقان - الآيات (٢١-٢٣) .

ويسوء صاحبه في الآخرة عندما يرى عذابه عليه ، أو النقص له من حسناته ، ويسمى أيضاً معصيةً وعصيانياً لما فيه من المخالفة لنهي الله تعالى ، وعدم الامتثال له" (١) .

إذن لا بد أن يحرص الإنسان على أعماله ويتجنب خسارتها يوم القيامة بالابتعاد عن الأعمال السيئة ، كالكفر ، والردة ، وفعل المعاصي ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والظلم ، والوقوع في الفساد ، والظن السيء والفسق ... الخ .

وسوف نتناول الآيات التي تدل على خسارة الأعمال شرحاً وتفصيلاً

- إن شاء الله - وهي كالتالي :

* قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ (٢) .

في هذه الآية أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يخبرنا بالذين خسروا أعمالهم يوم

القيامة ، وهؤلاء فيهم قولان :

أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع ، قاله : علي والضحاك .

والثاني : اليهود والنصارى ، قاله سعد بن أبي وقاص .

أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ ، وأما النصارى فكفروا بالجنة فقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، وقيل : كذا قال اليهود ، لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني (٣) .

وهذه الآية تخبرنا بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً ، فنالوا هلاكاً وبواراً ، وفيها دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه ، والذي يوجب إحباط السعي ، إما فساد الاعتقاد أو المراءاة ، والمراد هنا الكفر .

والآية فيها توبيخ لهؤلاء ، أي قل لهؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيري ، يخيب سعيهم وآمالهم غداً ، فهم الأخسرون أعمالاً ، ومعنى خسranهم أنه مثلهم بمن يشتري سلعة يرجو فيها ربحاً ، فخر وخاب سعيه ، كذلك أعمال هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم مع ضلالهم ، فبطل جدتهم واجتهادهم في الحياة الدنيا .

(١) فقه العمل للآخرة وجزاء الأعمال وموازينها - ص ١٦٧ .

(٢) سورة الكهف - الآيات (١٠٣-١٠٥) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير - الخطيب الشربيني - ٤٠٩/٢ ، زاد المسير في

علم التفسير - ابن الجوزي - ١١٢/٣ .

"أعمالاً" تمييزاً للأخسرين ، وهي جمع عمل ، وإن كان مصدراً لتنوع أعمالهم ، ثم بين الله تعالى السبب في بطلان سعيهم ، لأنهم جحدوا دلائل توحيده ، وكفروا بالبعث والجزاء ، وكفروا برسوله ﷺ وبالقرآن ، بالتالي بطل سعيهم واجتهادهم فلا يقيم الله لهم قدراً يوم القيامة (١) .

* وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

في هذه الآية بيان أن أعمال المنافقين باطلة وكما نعلم بأن البطلان كلمة مرادفة للخسارة، إذن حبوط وبطلان أعمالهم جعلهم يخسرون في الدنيا والآخرة.

يقول سيد قطب : "ولقد جاء الله بالفتح يوماً، وتكشفت نوايا، وحبطت أعمال، وخسرت فئات، ونحن على وعد من الله قائم بأن يجيء الفتح، كلما استمسكنا بعروة الله وحده، وكلما أخلصنا الولاء لله وحده، وكلما وعينا منهج الله، وأقمنا عليه تصوراتنا وأوضاعنا وكلما تحركنا في المعركة على هدي الله وتوجيهه فلم نتخذ لنا ولياً إلا الله ورسوله والذين آمنوا" (٣) .

"ويقول الذين آمنوا" يعني المخلصون للمنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، أهؤلاء يعني المنافقين الذين أقسموا بالله شدة أيمانهم، فإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه، إن هؤلاء المنافقين مع المخلصين على دينكم في السر، فكانت النتيجة بطلان حسناتهم في الدنيا، فصاروا مغبونين بالعقوبة (٤) .

* وقال تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥) .

يخاطب الله المنافقين المعاصرين للنبي ﷺ بقوله " أنتم أيها المنافقون الذين آذيتم الله ورسوله والمؤمنين، كأولئك المنافقين السابقين مع أنبيائهم، وهكذا لا يخلو عصر من النفاق، إذ هو مرض يصيب بعض النفوس، أنتم مثلهم مغرورون بمالككم، مفتونون بأولادكم، ولكنهم

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ٤٤/١١ ، تفسير القرآن الكريم المسمي بالسراج المنير -

الخطيب الشربيني - ٤١٠/٢ ، زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ١١٢/٣ .

(٢) سورة المائدة - الآية (٥٣) .

(٣) في ظلال القرآن - ٩١٧/٦ .

(٤) انظر : الواضح في تفسير القرآن الكريم - لابن وهب الدينوري - ٢٠١/١ ، وأيسر التفاسير لكلام

العلي الكبير - لأبي بكر الجزائري - ٥١٩/١ .

(٥) سورة التوبة - الآية (٦٩) .

كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، ولم يكن لهم في دنياهم إلا مطلب واحد وهو المتاع الفاني، والعرض الزائل، والتمتع بالمال والولد، فكان نصيبهم نصيب الحيوان، يتمتع ويأكل ويتناسل، والحق سبحانه يريدنا أن نتذكر ما حدث للأمم السابقة من أولئك الكفار والمنافقين ، الذين يواجهون رسول الله وسورة الفجر دليلٌ على ذلك.

فاستمتعتم بنصيبيكم من المال والولد والعرض الزائل كاستمتعتم بنصيبيهم ، لم تفضلوا عليهم بشيء رغم التمتع بكلام الله المحكم، الذي نزل على خير الأنبياء، وسيد المرسلين ﷺ فكانتم أجدر منهم باللائمة، وأحق بالعذاب والنكال، فأنتم فعلتم الخبائث كما فعلوا ، وخضتم في حمئة الرذيلة والفسق كالخوض الذي خاضوه مع توافر دواعي الشر عندهم، وتوافر دواعي الخير عندكم، أولئك فشلت وضاعت أعمالهم في الدنيا، كما حبطت أعمال من سبقوكم في الدنيا، لأنها أعمال للرياء والسمعة، وقد ظهر نفاقهم فيها، وفي الآخرة لهم العذاب الأليم ؛ لأن شرط الثواب عليها الإيمان، وهم لم يؤمنوا حقيقة، بل نافقوا، فأولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. (1).

(1) انظر : تفسير الشعراوي - ٥٢٧٣/٩ - ٥٢٨١ ، وفي رحاب التفسير - لعبد الحميد كشك - ١٥٧٩/٦.

الفصل الثاني

أسباب الخسارة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ضلال السعي في الحياة الدنيا .

المبحث الثاني: الكفر والجحود .

المبحث الثالث: خلل في الطاعة والاتباع .

المبحث الأول

ضلال السعي في الحياة الدنيا

وفيه أحد عشر مطلباً :

- المطلب الأول: استحباب الدنيا على الآخرة .
- المطلب الثاني : الانشغال بالأموال والأولاد .
- المطلب الثالث : الظلم والضلال عن الهدى .
- المطلب الرابع : نقض العهود وقطع الأرحام والفساد في الأرض
- المطلب الخامس : قتل النفس والأولاد .
- المطلب السادس : فقدان مغفرة الله ورحمته .
- المطلب السابع : اتخاذ غير الإسلام ديناً .
- المطلب الثامن : الإيمان بالباطل .
- المطلب التاسع : الغفلة عن مكر الله .
- المطلب العاشر : التهاون في كسب الحسنات .
- المطلب الحادي عشر : تحريم الحلال والخوض في محارم الله .

الفصل الثاني

أسباب الخسارة في ضوء القرآن الكريم

سنتحدث في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - عن أسباب الخسارة ، وكما نعلم فأسباب الخسارة عديدة ، وأحببنا أن نبرزها ونوضحها من أجل أخذ الحيطة والحذر من الوقوع فيها ، وذلك لأجل النجاة يوم القيامة من عذاب الله ، والفوز برضوانه والجنة ، ولم لا نكون مثل حذيفة بن اليمان الذي كان يسأل الرسول ﷺ عن الشر ، مخافة أن يصيبه ، فقد روى أبو إدريس الخولاني (١) أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم) (٢) .

وسوف نورد هذه الأسباب بالتفصيل - إن شاء الله - متمثلة في ثلاثة مباحث بمطالبها ، وهي على النحو التالي :

المبحث الأول

ضلال السعي في الحياة الدنيا

إن من أخطر الأمور على الإنسان في حياته الدنيا وآخرته أن يغمس في الضلال ويبتعد عن الهدى ، وبهذا ينال غضب الله وسخطه ، فلا بد أن يعي الإنسان طريق الضلالة فيتجنبها ، فإنه الداء الخطير الذي يورد صاحبه في مهالك الردى ، ونسعى بكل ما أوتينا من علم وحلم وحكمة ودراية حتى نكون مع الله تعالى وهدايته ، ومن كان الله ﷻ معه ، فرَّ من طريقه الشيطان ، ومن انتصر على شيطانه كان من المتقين الناجين الفائزين في الدنيا والآخرة .

وسوف نوضح خطورة ضلال السعي بألوانه المتنوعة من خلال المطالب التالية :

(١) أبو إدريس : عاثر الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني ، ولد عام حنين ، يعد من كبار التابعين ، كان قاضياً في دمشق بعد فضالة بن عبيد لمعاوية وابنه يزيد إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ومات في آخرها قاضياً ، انظر : أسد الغابة - لابن الأثير - ٨/٥ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - ص ٢٩٣ - رقمه ٣٦٠٦ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

المطلب الأول: استحباب الدنيا على الآخرة

إن من شر الأمور ، ومن الأمراض الشائعة في هذه الأيام حب الدنيا ، والاهتمام بها اهتماماً ملحوظاً على حساب الحياة الآخرة ، فمما يلفت النظر بشدة ، ما نراه الآن من تزامم الناس على الدنيا ، والجري وراءها ، والتكالب عليها ، واتخاذها هدفاً يقصدها الكثير ، وكأنها السعادة ، أو أنها كل شيء في حياة الإنسان ، خاب وخسر من باع دينه بدنياه ، وأعظم منه خيبة وخسارة من باع دينه بدنياه غيره ، هؤلاء الذين أشربوا حب الدنيا ، وحلاوة المال ، ولم يُطعموا حلاوة الإيمان ، حلاوة الرضا بما قسم الله تعالى ، حلاوة البركة من الله ﷻ ، حلاوة حفظ الله تعالى ورعايته وتوفيقه لمن استعان به ، وتوكل عليه ، إنهم في ضلال بعيد (١) ، لقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ ﴾ (٢) .

وسوف نورد الآيات التي تدلل على هؤلاء الذين فضلوا الحياة الدنيا على الآخرة ونوضحها شرحاً وتفصيلاً - بإذن الله تعالى .

* قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

يتوعد الله في هذه الآية هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم بالغضب والعذاب ، بسبب أنهم أحبوا الدنيا حباً عظيماً ، تلك الدنيا الدنيئة الحاضرة الفانية ، فأثروها على الآخرة الباقية الفاخرة لأنهم رأوا ما فيه المؤمن من الضيق ، والكافر من السعة ، وبهذا لا يوفق الله القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها ، بل يخذلهم ويسلط الشيطان عليهم ليصرفهم عن دينهم ، وهؤلاء الناس الموصوفون بما ذُكر من الأوصاف ، هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فختم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصم أسمعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها ، (وأولئك هم الغافلون) وضمير الفصل (هم) يفيد أنهم متناهون في الغفلة ، إذ لا غفلة أعظم من غفلتهم هذه ، ثم أتبع ذلك بجزءهم في الآخرة ، فقال : ﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي الكاملون في

(١) انظر : داء ... ودواء - سلمان الدحدوح - ص ٥٣ .

(٢) سورة البقرة - الآية (٨٦) .

(٣) سورة النحل - الآيات (١٠٧ - ١٠٩) .

الخسران البالغون إلى غاية منه ليس فوقها غاية ؛ لأنهم خسروا رأس المال وهو نفوسهم ، فلم يكن لهم مرجع يرجعون إليه (١) ، وقد تقدم تحقيق الكلام في معنى "لا جرم" (٢) .
* قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٣) .

يخبر الله تعالى في هذه الآية بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول : "قل هل ننبئكم" أيها المؤمنون بالذين يخسرون أعمالهم ؛ لأنهم عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ، وبالتالي بطل وضاع سعيهم في الحياة الدنيا ، فلم ينالوا شيئاً (٤) .
لا بد للإنسان أن يزهّد في الدنيا ويجعلها ممراً للآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٥) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى مستخفلكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) (٦) .

ومن كان قلبه غنياً بالله فهو الغني حقيقة ، ولو كان فقيراً في المال ، ومن كان قلبه فقيراً إلى الأغراض ، وإلى الخلق فهو الفقير حقيقة ، ولو كان مثيراً ، وقد ضمن الله تعالى للمتقي أن يجعل له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، فهنيئاً لمن باع دنياه ليشتري آخرته (٧) .

المطلب الثاني : الانشغال بالأموال والأولاد

كما نعلم أن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف ، واسعة الأرجاء والأكناف ، ولكن الأموال أعظم فتنها ، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ، فإن وجد المال حصل معه

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن - للطبري - ٦٥٢/٧ - فتح القدير - للشوكاني - ١٩٧/٣ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٣١٥/٤ .

(٢) انظر : ص (١٩) .

(٣) سورة الكهف - الآيات (١٠٣ - ١٠٤) .

(٤) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٣١٦/٣ ، تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ١٧٣/٣ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٦٧٦/٢ .

(٥) سورة التوبة - الآية (٣٨) .

(٦) صحيح مسلم - كتاب الرقاق - باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء - ص ١١٥٣ - رقمه ٦٩٤٨ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٧) انظر : داء ودواء - سلمان الدحوح - ص ٥٥ .

الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً ، وإن فُقدَ المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً ، ورغم ذلك فإنه ليس مذموماً ومرفوضاً البتة ، بل إن الله قد جعل المال مدداً في مواضع من كتابه ، لقوله تعالى: ﴿ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١) .
 وقول النبي ﷺ : (نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ) (٢) ، (٣) . معنى ذلك أنه لا حرج على الإنسان أن يهتم بجلب المال ، بشرط أن لا يسخره في معصية الله ، وأن لا يكون شغله الشاغل الذي يبعده عن الاهتمام بطاعة الله وعبادته .
 وكذلك بالنسبة للأولاد فالله - سبحانه وتعالى - يمنح الإنسان أولاداً ليكونوا له زينة في الحياة الدنيا لقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبُتُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ (٤) .

فيحمد الإنسان ربه على تلك النعمة ولا يغتر بكثرة أولاده ، وبالتالي يتعالى ويتكبر ، ويجعل همه كله الأولاد في الحياة الدنيا ، فتكون النتيجة الضلال والهلاك يوم القيامة .
 وسوف نشرح الآيات شرحاً يبين مدى الانشغال بالأموال والأولاد في الحياة الدنيا على حساب الآخرة ، وما يترتب على ذلك من الخسران ، وهي على النحو الآتي :
 * قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥) .

تضمنت هذه الآية تحذيراً للمؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين بانشغالهم بالأموال عن ذكر الله والصلوات والطاعات وجميع الفرائض ، وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت ، فمنهم من قال : نزلت في حق المنافقين ، ومنهم من قال : نزلت في حق المؤمنين (٦) .

والذي ترجحه الباحثة أنها نزلت في حق المؤمنين تحذرهم ، وخاصة أن الآية ابتدأت بالخطاب الموجه لهم ، وأيضاً الآيات السابقة كانت تتحدث عن قبائح وأعمال المنافقين ، فكان حرياً أن يتم تحذير المؤمنين من التشبه بالمنافقين .

(١) سورة نوح - الآية (١٢) .

(٢) مسند أحمد - ٢٩٨/٢٩ - رقمه ١٧٧٦٣ - قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين - للغزالي - ٣١٦/٣ ، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - لمحمد الدمشقي - ٢٤٧/١ .

(٤) سورة الكهف - الآية (٤٦) .

(٥) سورة المنافقون - الآية (٩) .

(٦) انظر : التفسير الكبير - لفخر الدين الرازي - ١٨/٣٠ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٣٧/٩ .

قال ابن تيمية : "وما كان ملهياً وشاغلاً عما أمر الله تعالى به من ذكره والصلاة له فهو منهى عنه ، وإن لم يكن جنسه محرماً: كالبيع ، والعمل في التجارة ، وغير ذلك" (١) .
والأموال والأولاد ملهية ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ، ويدرك غاية وجوده ، ويشعر أن له هدفاً أعلى يليق بالمخلوق الذي نفخ الله فيه من روحه ، فأودع روحه الشوق إلى تحقيق بعض صفاته الإلهية في حدود طاقته البشرية ، وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة في الأرض لا لتلهيه عن ذكر الله ، وذكر الأموال والأولاد في الآية ؛ لأنها أرغبت الأشياء ، وإن ألهته عن ذكر الله "فأولئك هم الخاسرون" أي خسروا آخرتهم وفضلوا دنياهم عليها ، فضلوا الدنيا ، وهي العاجلة الفانية على الآخرة ، وهي الآجلة الباقية ، خسروا كل شيء ، مهما يملك من أموال ومن أولاد (٢) .

ذكر الرازي في كتابه : "أن معنى (أولئك هم الخاسرون) أي في تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقي بالخسيس الفاني ، وقيل : هم الخاسرون في إنكار ما قال به رسول الله ﷺ من التوحيد والبعث" (٣) .

* قال تعالى : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٤) .

يتوجه نوح إلى ربه في هذه الآية بالشكوى من قومه ، بعد كل هذا الجهاد ، وبعد كل هذا العناء ، وبعد كل هذا التوجيه ، والتنوير ، وبعد الإنذار والإطماع والوعد بالمال ، والبنين والرخاء ، بعد هذا كله كان العصيان ، وكان السير وراء القيادات الضالة المضللة ، الذين حملوهم على الكفر ، وأشاروا عليهم به ؛ لأنهم أصحاب أموال وأولاد ، فاغترروا بهم ، واستكبروا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعصوا الرسول الناصح الدال على الخير ، فكانت عاقبتهم أنهم لم تزدتهم أموالهم ولا أولادهم إلا خساراً ، أي هلاكاً وتقويتاً للأرباح ، ولم ينالوا إلا الشقاء ، والضياع والخسران (٥) .

المطلب الثالث : الظلم والضلال عن الهدى

الظلم والضلال داءان خطيران فلا بد من تجنبهما ؛ لأنهما يوردان صاحبهما في مهالك الردى ، فمن يدع للشيطان منفذاً يغويه ويثنيه عن أعمال الخير والبر ونصرة

(١) التفسير الكامل وهو "تفسير أي القرآن الكريم" - ٢٠٨/٧ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٥٨٠/٢٨ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٣٨/٢٨ .

(٣) التفسير الكبير - ١٨/٣٠ .

(٤) سورة نوح - الآية (٢١) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٧١٥/٢٩ ، التفسير الواضح - لمحمد حجازي - ١٠٧/٢٩ ،

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - لعبد الرحمن السعدي - ١٧٧/٧ .

المظلومين ، واتباع الطريق المستقيم ، فسيقع في المهالك ، ويرتكب الآثام ، حينئذ مصيرهم إلى الله آت لا ريب ، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه ﷻ قال : (يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...) (٢) .

فاعلم إذن أن الظلم مرتعة وخيم ، وعاقبته سيئة ، وهو منبع الرذائل ومصدر الشرور ، ومتى فشى وشاع الظلم في أمة أهلكها ، وإذا حل في قرية أو مدينة دمرها ، وهو والفساد قرينان بهما تخرب الديار ، وتزول الأمصار ، وتقل البركات ، ويحل الفشل محلها .

ولهذا نهى الله ﷻ والنبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم) (٣) ، (٤) .

ومن اشترى الضلالة بالهدى فكان من الخاسرين ، الهالكين ، الضالين ، لقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٥) .

فالظالم والضال عن الهدى تكون عاقبتهم سيئة ، فاحرص أيها الإنسان ألا تظلم أحداً ، فإن كنت كبيراً فتذكر أن الله تعالى أكبر ، وإن كنت قادراً فتذكر قدرة الله عليك . ويا أيها الضال عن الهدى تجنب الضلالة ، فتكون من الناجين المتقين .

وسنورد الآيات التي تتحدث عن الظلم والضلال عن الهدى ، ونوضح معنى كل منهما ، وهي على النحو التالي :

* قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٦) .

(١) سورة إبراهيم - الآية (٤٢) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم الظلم - ص ١١٢٩ - رقمه ٦٥٧٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم الظلم - ص ١١٢٩ - رقمه ٦٥٧٦ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) انظر : موارد الظمآن لدروس الزمان - لعبد العزيز السلطان - ٣٢/٥ .

(٥) سورة البقرة - الآية (١٦) .

(٦) سورة الإسراء - الآية (٨٢) .

قال محمد أبو زهرة : "بعدهما ذكر الله - سبحانه وتعالى - في الآيات السابقة إشراق النفوس بالحق ، وطمس الباطل ، أشار سبحانه في هذه الآية إلى مصدر الحق في الإسلام ، ألا وهو القرآن فليس فيه إلا الحق ، ولا يلتمس إلا منه ، ولا يطلب إلا من آياته ، فقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ .

والشفاء والرحمة تكون للمؤمنين ؛ لأنهم الذين ينتفعون به ، والشفاء متمثل في شفاء النفوس من أوهام الباطل ، وشفاء العقول من رجس الوثنية والأخلاق الجاهلية ، وتلك تخلية وبعدها التحلية ، وهي الرحمة ، فتملأ النفوس بكمارم الأخلاق ، وتنظم المعاملات بين الناس في شريعة محكمة ... وبالتالي المؤمنون هم الذين ينتفعون بالغذاء الطيب الذي يغذي النفوس والدواء الناجع الذي يزيل أمراض القلوب ، أما غير المؤمنين فلأنهم أعرضوا عن الحق ، وصموا آذانهم عنه إذا سمعوا القرآن لا يشفيهم ولا يغذيهم ، بل يزيدهم خساراً ؛ لأن الكافر لجوج في كفره ، معاند ، ولا تزيد الحجة المعاند إلا عنداً وخساراً^(١) .

إن الظالم في تلك الآية جاء بمعنى الكافر ؛ لأنه معروف بأن الكافر لا ينال ما في القرآن من شفاء الصدر ، والرحمة من الله لكونه يكفر بهذا القرآن .

* قال تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾^(٢) .

هذه الآية تصف حال المشركين عندما يعرضون على النار ؛ لأنها عذابهم ، وفي الآية كنى عن العذاب المذكور بحرف التأنيث ؛ لأن ذلك العذاب هو النار .

وقد اختلف في الذين يُعرضون على النار ؛ فمنهم من قال : هم المشركون جميعاً يعرضون على جهنم عند انطلاقهم إليها ، قاله الأكثرون .

وقيل : آل فرعون خصوصاً ، تحبس أرواحهم في أجواف طير سود تعذو على جهنم وتروح ؛ فهو عرضهم عليها ، قاله ابن مسعود .

وقيل : إنهم عامة المشركين ، تعرض عليهم دنوبهم في قبورهم ، ويعرضون على العذاب في قبورهم ، وهذا معنى قول أبي الحجاج^(٣) .

(١) زهرة التفاسير - ٤٤٤٢/٨ - بتصرف ، وانظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لعلي الواحدي - ٦٤٥/٢ ، تاج التفاسير - لمحمد المرغني - ٢٥٦/١ .

(٢) سورة الشورى - الآية (٤٥) .

(٣) أبو الحجاج : اسمه عبد الله بن عبد ، ويقال : ابن عابد ، ويقال : عبد بن عبد الثمالي ، أبو الحجاج ، نزل حمص ، وهو معروف بكنيته ، ويقال : له صحبة ، انظر : الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلاني - ١٤٠/٤ .

يعرضون عليها خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل ؛ لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه ، فيسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلة في أنفسهم .

ونتيجة أعمالهم وفعلهم للمعاصي وارتكاب الذنوب وأعظمها الكفر بالله أنهم أصبحوا خاسرين ، أي خسروا أنفسهم ؛ لأنهم في العذاب المخلد ، وخسروا أهلهم ؛ لأن الأهل إن كانوا في النار فلا انتفاع بهم ، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينه وبينهم ، وقيل : خسران الأهل أنهم لو آمنوا لكان لهم أهل في الجنة من الحور العين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل الجنة منزله)^(١) ، فذلك قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٢) وهؤلاء الظالمون "المشركون" في عذاب دائم لا ينقطع^(٣) .

* قال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤) .

ذكر السيوطي في كتابه قائلاً : "أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يقول في الخطبة : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد)^(٥) ، (٦) .

أي الذي يهديه الله تعالى يشرح صدره للإسلام ويحببه إليه ، ويزين في قلبه الإيمان فهو المهتدي وحده ، وليس معنى ذلك أنه ليس مختاراً في سلوك طريق الهداية ، فإن الله عدل ، لا يظلم أحداً ، إنما يكون بين يديه طريق الرشده ، وطريق الغي ، فيختار طريق الغي ، فيصل إلى نتيجته .

(ومن يضل) أي من خذله الله فلم يوفقه لطاعته ، وإضلال الله تعالى لا يتنافى مع اختياره ؛ لأنه اختار سبيل الغي ، والفساد فسار فيه بإذن الله

(١) سبق تخريجه - ص (٤) .

(٢) سورة المؤمنون - الآية (١٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٣١/١٦ ، تفسير القرآن الكريم المسمى "بالسراج المنير" - للشربيني - ٥٤٧/٣ .

(٤) سورة الأعراف - الآية (١٧٨) .

(٥) سنن النسائي - كتاب النكاح - باب ما يستحب من الكلام عند النكاح - ص ٥٠٧ - رقمه ٣٢٧٨ - قال الألباني : صحيح .

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - ٦١٢/٩ .

واختياره ، وإن كان الله غير راضٍ ، فالله أراد له الشر إذ سلك طريقه ، ولكنه لا يرضى لعباده الكفر .

فهؤلاء الموصوفون بتكذيبهم لآيات الله ، وفقدهم التمييز بين الحق والباطل هم الخاسرون ، وقوله : "هم الخاسرون" تفيد تأكيد الخسارة وقصرها عليهم ، وذلك لضمير الفصل "هم" ، وخسارتهم في أنهم خسروا نعيم الآخرة ، وخسروا بضلالهم وفقدهم التمييز بين الحق والباطل ، والضلال والهداية ، وخسارتهم بتركهم نعمة الله في آياته ، وخسارتهم رضوان الله ، وهو أكبر (١) .

وهذا يعني أن الضلال المقصود به : هو الابتعاد عن الطريق المستقيم ، وعدم التوفيق له .

* قال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢) .

تبين لنا هذه الآية ضلال الكافرين في عبادتهم المالية ، ونهاية الخبث المتراكم ، فهي نذير للكافرين المنفقين أموالهم لدعم الكفر وإبادة الحق .

ولما ذكر الله في الآية السابقة حشر الكافرين ، ذكر علة هذا الجمع والحشر ، وهو أن يميز الله الخبيث ، أي المال الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ من الطيب ، أي المال الطيب الذي أنفقه المسلمون في نصره رسول الله ﷺ ، ليميز الله ﷻ الكافر من المؤمن ، والفاقد من الصالح ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض ، فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكم ويكثر ، فيجعله في جهنم ، وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ اسم الإشارة هنا إلى الخبيث وإلى المنفقين الذين أنفقوا أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فهم الخاسرون ؛ لأنهم اشتروا بأموالهم إهلاك أنفسهم بذلك الحشر ، فخسروا أموالهم وأنفسهم وخسروا آخرتهم (٣) .

المطلب الرابع : نقض العهود وقطع الأرحام والفساد في الأرض

إن هذه الأمور الثلاثة لا تكون إلا صفة من صفات المنافقين الخارجين عن حدود الله ، فهم الذين يفعلون تلك الأمور وستحدث بشكل مختصر عن كل منها ، ونحذر من

(١) انظر : فتح الرحمن في تفسير القرآن - عبد المنعم تَعَيْلَب - ١١٠٨/٢ ، زهرة التفاسير - لأبي زهرة ٣٠١١/٦ .

(٢) سورة الأنفال - الآية (٣٧) .

(٣) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٢١٦/٣ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري - ٢٣٨/٢ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٧٢/٩ .

ارتكابها لنتجنب الخسارة في الدنيا والآخرة ، فكيف يُتصور حال مجتمع ما ، لا يفي فيه الناس بعهودهم ، وبالتالي تنعدم ثقة بعضهم ببعض ، ولا يصلون رحمهم ؟ وذلك لما اشرأبت نفوس بعض الناس بحب الدنيا ، وزينتها ، ألتهتهم حتى قطعوا الأرحام إلا في بعض المناسبات البعيدة ، وعطلوا الزيارات ، وكأن عجلة الحياة قد توقفت ، ويفسدون في الأرض بأي شكل من الأشكال مما يثير الدمار والفساد والظلم .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى ، وكذلك نبيه ﷺ بالوفاء بالعهود ، لقوله تعالى : ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ... ﴾ (٢) .
وعَدَّ النبي ﷺ الخلف بالوعد من علامات النفاق ، فعن أبي هريرة ؓ أن الرسول ﷺ قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان) (٣) .

وقد جاء التحذير والترهيب من قطيعة الرحم في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ (٤) .
وعن عبد الرحمن بن عوف ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله ﷻ : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته) (٥) .

ولهذا نجد الإسلام قد حث على صلة الرحم ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) (٦) .
وهكذا يتبين من القرآن والسنة أهمية صلة الرحم عند المسلم ، وقد دعا الله ﷻ ورسوله ﷺ إلى صلة الأرحام بشكل دائم ومستمر ، وعدم قطعها ؛ لأن ذلك حق مشروع ؛ ولأن الرحم متعلقة بعرش الرحمن ، تتعوز بالله من القطيعة .

(١) سورة الإسراء - الآية (٣٤) .

(٢) سورة النحل - الآية (٩١) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق - ص ٦٩٠ - رقمه ٢١١ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) سورة محمد - الآيتان (٢٢-٢٣) .

(٥) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في قطيعة الرحم - ص ١٨٤٤ - رقمه ١٩٠٧ - قال أبو عيسى : حديث صحيح - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٦) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه - ص ٥١٧ - رقمه ٦١٣٨ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

وصلة الأرحام تبسط للواصل في رزقه ، وتمد له في عمره . وقد حذر الله - سبحانه وتعالى - من الفساد في الأرض ، لما له من عواقب وخيمة على الإنسان وعلى المجتمع بأكمله حيث يؤدي إلى تفشي الأمراض الاجتماعية بين الناس ، وسلب المجتمعات نعمة الأمن ، ولهذا نهانا الله - سبحانه وتعالى - عن نشر الفساد في الأرض تحت أي ذريعة كانت ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ... ﴾ (١) .
 وقوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .
 وآية سورة البقرة التي تشمل تلك الأمور الثلاثة ، وتبين أن عاقبتهم هي الخسران

المؤكد بضمير الفصل ، وبيان ذلك فيما يلي :

* قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

وضحت الآية صفة الفاسقين التي ختمت بها الآية السابقة ، وهم الذين ارتكبوا فعل هذه الأمور المنهي عنها .

فسؤال يطرح نفسه ، فأى عهد من عهود الله هو الذي ينقضون ؟ وأي أمر مما أمر الله به أن يوصل هو الذي يقطعون ؟ وأي لون من الفساد في الأرض هو الذي يفسدون ؟
 وعهد الله المعقود مع البشر يتمثل في عهود كثيرة : إنه عهد الفطرة المركوز في طبيعة كل حي ، أن يعرف خالقه ، وأن يتجه إليه بالعبادة ، وما تزال في الفطرة هذه الجوعة للاعتقاد بالله ، ولكنها تضل وتتحرف فتتخذ من دون الله أنداداً وشركاء ، وعهد الاستخلاف الذي أخذه الله على آدم ، وعهوده الكثيرة في الرسالات لكل قوم أن يعبدوا الله وحده ، وأن يُحَكِّمُوا في حياتهم منهجه وشريعته ، وهذه العهود كلها هي التي ينقضها الفاسدون (٤) .

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ : يقول الطبري : "مقصوداً به كفارهم ومناقضوهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم ، غير أن الخطاب - وإن كان لمن وصفت من الفريقيين - فداخل في أحكامهم ، وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ ، كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي" (٥) .

(١) سورة الأعراف - الآية (٥٦) .

(٢) سورة هود - الآية (٨٥) .

(٣) سورة البقرة - الآية (٢٧) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٥١/١ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ٢٤٢/١ .

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ : قال سيد قطب : "أمر الله بصلات كثيرة : أمر بصلة الرحم والقربى ، وأمر بصلة الإنسانية الكبرى ، وأمر قبل هذا كله بصلة العقيدة والأخوة الإيمانية ، التي لا تقوم صلة ولا وشيجة إلا معها ، وإذا قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد تفككت العرى ، وانحلت الروابط ، ووقع الفساد في الأرض ، وعمت الفوضى" (١) .

﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ : والفساد في الأرض ألوان شتى ، تتبع كلها من الفسوق عن كلمة الله ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ورأس الفساد في الأرض هو الابتعاد عن منهجه الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها ، وإن الهدم والشر والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله ، ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدي به عباده المؤمنين (٢) .

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ : أي الهالكون ، بحرمان الله إياهم من رحمته لكفرهم ومعصيتهم إياه وارتكاب ما نهى عنه (٣) .

وقيل : "أي : خسروا سعادتهم في الآخرة ، حيث عرّضوا أنفسهم لعذاب جهنم المؤبد ، ولا خسارة أعظم ممن خسر دنياه وأخرته ، وقصر الخسران عليهم في قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لأنهم بإهمالهم للعقل ، خسروا الحياة الأبدية" (٤) .

المطلب الخامس : قتل النفس والأولاد

إن الإسلام حفظ للنفس الإنسانية حرمتها ، إذ أعلى من شأن الإنسان لمجرد آدميته ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾ (٥) ، وعلى قدر ما أعلى الإسلام من قدر الإنسان ، فإنه اشتد في النكير على من يعتدي على حياته بغير حق ، فجعل الله قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً ، لقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا... ﴾ (٦) .

ولم يأت القرآن بوعيد على المسلم ، أشد من الوعيد الذي أنذر به قاتل النفس المؤمنة فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٧) .

(١) في ظلال القرآن - ٥٢/١ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ٢٢٢/١ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٥٢/١ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٢٢٢/١ .

(٤) المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٦٠/١ .

(٥) سورة الإسراء - الآية (٧٠) .

(٦) سورة المائدة - الآية (٣٢) .

(٧) سورة النساء - الآية (٩٣) .

ولقد خصت السنة النبوية بأحاديث عديدة ، ترفع من شأن النفس البشرية ، وفيها من الكشف عن فظاعة العدوان على الدماء البريئة ما يُرعب المشاعر ، وَيَقْرَع القلوب قرعاً ، حتى اعتبرت أن الدنيا كلها أهون عند الله من قتل نفس إنسانية ، تُقتل بغير حق ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم بغير حق) (١) .

وقد كان في الجاهلية عادة قتل الأولاد خشية الفقر ، والفضيحة ، والضياع ، ولكن الله سبحانه وتعالى حرم ذلك ، وبيّن أن كل مولود يأتي رزقه معه بغير حساب لقوله تعالى : ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾ (٣) ، (٤) .

وسنتناول الآيات التي تتحدث عن قتل النفس والأولاد ، مبرزين حرمتها ، وخسارة من يرتكبها .

* قال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥) .

هذه الآية تتحدث عن ابني آدم قابيل وهابيل ، حيث إن هابيل كان أول من قتل في الأرض .

وقال الماوردي في كتابه : "أن طوعت فيها ثلاثة تأويلات ، وهي :

أحدها : يعني شجعت ، وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني زينت ، وهو قول قتادة .

والثالث : يعني ساعدته" (٦) .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ ﴾ : أي زينت له وسهلت عليه القتل ، والإنسان إذا تصور أن قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفاً له عن القتل فلا يقدم عليه ، فإذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة .

(١) سنن الترمذي - كتاب الديات عن رسول الله - باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن - ص ١٧٩٣ - رقمه ١٣٩٥ - قال أبو عيسى : وهذا أصح من حديث ابن أبي عدي .

(٢) سورة الأنعام - الآية (١٥١) .

(٣) سورة الإسراء - الآية (٣١) .

(٤) انظر : الإسلام - لسعيد حوى - ٢١٥/١ ، قضاء الحدود والقصاص والدية - لحسن الحمادي - ص ١٨٢ ، الفقه الجنائي في الإسلام - د. أمير عبد العزيز - ص ١٠ .

(٥) سورة المائدة - الآية (٣٠) .

(٦) النكت والعيون - ٣٠/٢ - بتصرف .

وقرئ "فطاوعت" على أنه فاعل بمعنى فعل ، أو على أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع .

ونهاية من ارتكب جريمة حرمة الله سبحانه وتعالى ألا وهي قتل النفس بغير حق ، خسارة دنياه وآخرته (١) .

* قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

هذه الآية تبين لنا الخسارة التي ينالها الإنسان في الدنيا والآخرة لكونه ارتكب جريمة شنعاء ألا وهي قتل الأولاد بغير ذنب ، وهي نفس حرم الله قتلها بغير حق .

يقول محمد رضا : "هذه الآية حكمت على مشركي العرب حكماً حقاً وعدلاً وهو أنهم خسروا بقتل أولادهم وبوآد البنات ، خسراً يستلزم خسران كل ما كان يُرجى من فوائدهم من العزة والنصرة ، والبر والصلة والفخر والزينة ، والسرور والغبطة ، كما يستلزم خسران الوالد القاتل لعاطفة الأبوة ورأفتها ، وما يتبع ذلك من القسوة والغلظة والشراسة ، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق التي يضيق بها العيش في الدنيا ، ويترتب عليها العقاب في الآخرة ، ولذلك علل هذا الجرم بسفه النفس ، وهو اضطرابها وحماتها ، وبالجهل أي عدم العلم بما ينفع ويضر ، وما يحسن ويقبح .

ثم بعد هذا بين أنهم حرّموا ما رزقهم الله من الطيبات ، وهذا سفه وجهل أيضاً ... ثم بين نتيجة الأمرين ؛ بأنهم قد ضلوا فيهما وما كانوا مهتدين إلى شيء من الحق والصواب من طريق العقل ولا من طريق الشرع ، ولا من منافع الدنيا ، ولا من سعادة الآخرة" (٣) .

أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام . ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤) .

(١) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي - ٣١٧/٢ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٤٦١/٢ ، الفتوحات الإلهية - للجمل "سليمان العجيلي" - ٤٨٣/١ .

(٢) سورة الأنعام - الآية (١٤٠) .

(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير "بتفسير المنار" - ١٣٠/٨ - ١٣١ بتصرف .

(٤) سورة الأنعام - الآية (١٤٠) .

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن عكرمة في الآية قال : "نزلت فيمن كان يئد البنات من مضرٍ وربيعة ، كان الرجل يشترط على امرأته أنك تتدين جارية "أي بنتاً" ، وتستحيين "أي تبقيين" أخرى ، أو راح وقال : أنت عليّ كأمي "أي محرمة" إن رجعت إليك ولم تتديها ، فترسل إلى نسوتها فيحفرن لها حفرة فيتداولنها بينهن ، فإذا بصرن به مقبلاً دسستها في حفرتها ، وسويين عليها التراب (أي وهي حية) وهذا هو الوأد" (١) .

وقيل : هؤلاء الذين صنعوا هذه الأفاعيل قد خسروا في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا : فخسروا أنفسهم وأولادهم بقتلهم ، وضيقوا عليهم في أموالهم ، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم ، وخسروا عقولهم ، وأزواجهم ، وخسروا الكرامة التي جعلها الله لهم بإطلاقهم من العبودية لغيره ، وأسلموا أنفسهم لربوبية العبيد ؛ حين أسلموها لحاكمية العبيد ، أما في الآخرة ، فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم (٢) .

المطلب السادس : فقدان مغفرة الله ورحمته

معروفٌ أن الإنسان المؤمن الصالح بطبيعته ، أنه حريصٌ على أداء الطاعات والعبادات ، وفعل ما أمر الله به والابتعاد عما نهى عنه ؛ لأن غايته من وراء ذلك كله الحرص على كسب رضوان الله - سبحانه وتعالى - والحصول على مغفرته ورحمته يوم القيامة ، والفوز بجنته ، وإن نسيَ أو أخطأ وغفل الإنسان ، وهذا ليس عيباً فيه ؛ لأنه ضعيف يدخل إليه الشيطان ، فيدركُ خطأه ، ويعرف زلته ، نجده يسارع في الندم وطلب العون من ربه والمغفرة ، وبالتالي إنه يثوب ويتوب ، على عكس الإنسان الذي ينغمس في ملذات الدنيا وشهواتها ، ويحرص كل الحرص على التمتع بالحياة الدنيا وزينتها ، وبهذا يغفل عن أداء العبادات والطاعات ، ولا يحرص على تجنب المحرمات ، فتكون نتيجته أنه خسر وضاع ، وذلك بفقدان أعظم شيء ألا وهو مغفرة الله ورحمته ، وفقدان الفوز بجنته ورضوانه .

* قال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

فهذه الآية الكريمة تدل على ندم آدم وحواء على فعلتهما ، فسارعا إلى التوبة والستر والغفران ، على عكس مطلب إبليس طلب الإنظار ولم يطلب التوبة ، وهذه خصيصة

(١) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ٣/٣٦٦ ، تفسير القرآن الحكيم الشهير "بتفسير المنار" - محمد رضا - ١٣١/٨ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٢٢٢/٨ ، تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ٢٤٣/٨ .

(٣) سورة الأعراف - الآية (٢٣) .

"الإنسان" التي تصله بربه ، وتفتح له الأبواب إليه ، الاعتراف ، والندم ، والاستغفار ، والشعور بالضعف ، والاستعانة به ، وطلب رحمته ، مع اليقين بأنه لا حول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته وإلا كان من الخاسرين (١) .

فهذه طبيعة الإنسان المؤمن فإنه إذا أخطأ أو غفل يسارع إلى طلب المغفرة والرحمة من الله سبحانه وتعالى .

* قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

يوجد في الآية دليل على اعتراف بني إسرائيل بذنبهم العظيم ، وهو عبادتهم للعجل ، وبهذا ضلوا ووقعوا في الضلال ، وعندما أحسوا بضلالهم سارعوا إلى الندم ، وهذا ما دللت عليه الآية في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ أي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه ؛ لأن النادم المتحسر يعرض يده غماً ، فتصير يده مسقوطاً فيها ... وقال الزجاج : معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل .

وكثيراً ما تستخدم العرب هذا اللفظ لكل نادم على أمر فائت وعاجز عن شيء ، ولما اشتد ندمهم وازدادت حسرتهم ؛ بين الله سبب هذا الندم ، عندما وجدوا أنفسهم أنهم قد أعمت أبصارهم الضلالة بعبادتهم العجل ، كان ذلك بعد عودة موسى من الميقات ، وبهذا قلدوا أتباع فرعون فيما صنعوا ، وقد تم تقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخراً عنها في الآية ، للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية .

فأدركوا حينئذ أنه لا ينفذهم من عاقبة ما أقدموا عليه واقترفوه إلا أن تدرهمهم رحمة ربهم ومغفرته ، وذكر في الآية الشيء ولازمه أي الرحمة ، والرحمة تكون بالغفران ، فالغفران هو الرحمة وهي لازمة ، ومعلومة أن التخلية تقدم على التحلية ، ولكن في الآية قدمت التحلية على التخلية ، حيث تم تقديم الرحمة على المغفرة ، وهذا إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي ، وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم ، وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم ، فقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بقبول توبتنا ، والتجاوز عن خطيئتنا وجريمتنا لنكونن من الخاسرين الذين خسروا سعادة الدنيا والآخرة .

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٢٧٠/٨ .

(٢) سورة الأعراف - الآية (١٤٥) .

وقيل : الخسران هو خسران تفكيرهم بسبب ضلالهم ، وخسران الحق ، والخسران المبين بشركهم ، ولا منجاة من ذلك إلا برحمته وغفرانه (١) .

المطلب السابع : اتخاذ غير الإسلام ديناً

لا شك أن دين الله هو الإسلام ، وهو دين الأنبياء جميعاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وهذا الإسلام هو الذي دعا به إبراهيم وابنه إسماعيل بأن يكونا عليه ، وكذلك ذريتهما من بعدهما ، لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

وقد أكد الله على أن دين إبراهيم ﷺ هو الإسلام ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥) .

وتوالت الرسائل بدين الإسلام إلى أن بعث به محمد ﷺ ، وجعله الدين الخاتم الذي لا يقبل الله سواه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٦) .

* قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٧) .

ذكر الإمام الطبري في كتابه : "أن أهل كل ملة ادعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين ؛ لأن من سنة الإسلام الحج فامتنعوا ، فأدحض الله بذلك حجبتهم .

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٤٠٦/٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٩٥٦/٦ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٥٥/٩ .

(٢) سورة البقرة - الآيتان (١٣٠ ، ١٣١) .

(٣) سورة البقرة - الآية (١٣٢) .

(٤) سورة البقرة - الآية (١٢٨) .

(٥) سورة آل عمران - الآية (٦٧) .

(٦) سورة آل عمران - الآية (١٩) .

(٧) سورة آل عمران - الآية (٨٥) .

وأخرج بسنده عن عكرمة قال : "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً" فقالت الملائكة نحن المسلمون فأنزل الله ﷻ : ﴿... وَهُوَ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

وذكر أيضاً عن عكرمة قال : "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" قالت اليهود فنحن المسلمون ، فأنزل الله ﷻ لنبيه ﷺ يحجهم أن الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين" (٢) .

وترى الباحثة أن الربط بين الآيتين متمثل في أن الآية الثانية تدل على أن الحج ركن بارز من أركان الإسلام ، به يتميز أهل الإسلام عن غيرهم من اليهود والنصارى ، فكل من حج البيت يدخل في دائرة الإسلام ، ومن لم يحج كاليهود والنصارى فهم ليسوا على ملة الإسلام ، ويدخلون تحت دائرة الخسران .

والآية الكريمة تبين أن من يطلب ديناً غير الإسلام ليدين به فلن يقبل الله منه ؛ لأن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام ، وأن كل دين سواه غير مقبول عنده ؛ لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ، ويرضى عن فاعله ، ويثيبه عليه .

ومن يتخذ غير الإسلام ديناً فهو في الآخرة من الخاسرين ، يعني وقعوا في الخسارة وهي حرمان الثواب ، وحصول العقاب ، لكونه أبطل الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها (٣) .

المطلب الثامن : الإيمان بالباطل

إن الباطل هو الطاغوت سواء أكان ذلك شيطاناً أم صنماً ، أم معتقداً ، أم معبوداً غير الله ﷻ وهو نقيض الإيمان بالله تعالى ، وإن اعتقاد الباطل والعمل به يخرج الإنسان عن دينه وإيمانه ، لقوله تعالى : ﴿... أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥) .

فالمؤمن الحق هو الذي لا يعبد إلا الله ؛ لأنه هو المعبود الحق ، وما سوى الله فعبادته باطلة مردودة على صاحبها ، بل تكون وبالاً عليه وحسرةً وندامة في الدنيا والآخرة

(١) سورة آل عمران - الآية (٩٧) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ٢٤١/٣ .

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي - ٦١/٢ ، لباب التأويل في معاني التنزيل - للخازن - ٣٧٦/١ ، البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان - ٢٥٠/٣ .

(٤) سورة النحل - الآية (٧٢) .

(٥) سورة الأعراف - الآية (١١٨) .

وهذه هي صفة الخسارة التي يقع فيها كثير من الناس ، إذ يعتقدون في الباطل أنه وليهم وناصرهم ورازقهم ، فيبوعوا بسخط الله ، ويخسروا أنفسهم وأهليهم وعملهم وديناهم وآخرتهم ، لقوله تعالى : ﴿... إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (١) .

* قال تعالى : ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢) .

يقول عبد الله شحاته : "هذه الآية فيها أمر موجه إلى النبي ﷺ بإخبار المشركين بأن يقول لهم كفى بالله عالماً وحكماً عادلاً ، وشهيداً حاضراً ، يشهد لي بتبليغ الرسالة إليكم ، ويشهد عليكم بالتكذيب والعناد ، وهو سبحانه وتعالى مطلع وعالم بما في السموات من أفلاك وأملاك ، وبما في الأرض من مخلوقات ، وبالتالي يعلم رسالتي إليكم وتكذبيكم لي ، ولو كنت كاذباً لأهلكني ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٣) ، (٤) .

﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ قال ابن عباس : بغير الله تعالى ، وقال مقاتل : بعبادة الشيطان ، وقيل : يريد الأصنام وما في معناها .

أي : الذين صدقوا بالأوثان والأصنام ونحوها ، وجحدوا الإيمان بالله ورسوله (٥) .
﴿أولئك هم الخاسرون﴾ هم الخاسرون "حيث باعوا آخرتهم وآثروا دنياهم ، واشتروا الكفر بالإيمان ، واتبعوا الباطل والطواغيت والكفر بلا دليل ، فكانوا هم الخاسرين خسارة كبرى ، حيث حرّموا الجنة ونعيمها ، واستحقوا النار وعذابها" (٦) .

المطلب التاسع : عدم الحذر من مكر الله

إن المؤمن يتقطن دائماً لمقام قدرته سبحانه وتعالى ، فإذا عصى يتوقع عذاب الله تعالى من عصيانه ، ويتخوف ولا يأمن أن تنزل به العقوبة ، ولفرط حسه بمعصيته ، وإيمانه بالله يخاف دائماً عذابه ، ولا يرجو أن يمهلّه الله وقد عصاه ، على عكس الكافر تماماً ، فإنه يعصي ، ويرى عصيانه حسناً ، وينسى قوة الله ، وأنه يعاند ويحارب أمره ونهيه ، ناسياً أنه

(١) سورة الإسراء - الآية (٨١) .

(٢) سورة العنكبوت - الآية (٥٢) .

(٣) سورة الحاقة - الآيات (٤٤-٤٧) .

(٤) تفسير القرآن الكريم - ٤١١٢/١١ .

(٥) انظر : تفسير القرآن الكريم - عبد الله شحاته - ٤١١٢/١١ ، زاد المسير في علم التفسير - لابن

الجوزي - ٤١١/٣ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - للثعالبي - ٥٣٦/٢ .

(٦) انظر : تفسير القرآن الكريم - عبد الله شحاته - ٤١١٢/١١ .

يعاند القوي القهار القادر الذي هو غالب على كل شيء ، وأنه لا إرادة لمخلوق بجوار إرادته سبحانه وتعالى ، وعلى ذلك يأمن عذاب الله ومكره ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ... ﴾ (١) ، فيلاقي العذاب الشديد ، وما لا يحسب عقابه ، وقال تعالى : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ ... سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (٣) .
* وقال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤) .

يوبخ الله الذين يكذبون رسله ، ويجحدون مكره ؛ لأنهم غفلوا عن الحق ، ونسوا تدبير الله تعالى المهلك لهم جزاء بما كسبوا ، وبما كذبوا بآيات الله ، والفاء : في قوله (فلا يأمن) جاءت عاطفة يترتب ما بعدها على ما قبلها ؛ لأنهم إذا كانوا لم تجدهم النعمة ولا النعمة ، وبأس الله يأتيتهم في مآمنهم ليلاً وهم نائمون ، وضحى وهم يعملون ، ومع ذلك لا جدوى فيه ، فهو لعب ، أو كاللعب ، فهم لا يأمنون المكر الإلهي .

قوله : (أفأمنوا) استفهام إنكاري بمعنى النفي والتوبيخ ، فهم لا يأمنون مكر الله ، ومكر الله تعالى تدبيره المحكم الذي يُنزل به العذاب السريع على من يستحقه ، والأمن والطمأنينة لمن يستحقه ، وهو الحكيم ، وقد فسر بعض المفسرين بأنه العذاب أو البأس الشديد (٥) .

"والمكر قسمان : مكر سيء : وهو الذي يكون من الأشرار ، ونتيجته شر ، ومكر طيب : وهو رد مكر الأشرار ، ونتيجته طيبة ، ولقد قال الله في شأن قريش في تدبيرهم للنبي ﷺ أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٦) .

أي أنهم كانوا يدبرون لإيذاء النبي ﷺ ويمكرون المكر السيئ الذي لا يحقق إلا بأهله ، والله تعالى يدبر لنبيه نجاته منهم ، وهجرته من أرضهم من غير إخراج ، حتى يكون الفصل بينه وبينهم " (٧) .

(١) سورة النحل - الآية (٤٥) .

(٢) سورة النمل - الآية (٥١) .

(٣) سورة الأنعام - الآية (١٢٤) .

(٤) سورة الأعراف - الآية (٩٩) .

(٥) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٧٥/٣ ، فتح القدير - للشوكاني - ٢٦١/٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٩٩/٦ .

(٦) سورة آل عمران - الآية (٥٤) .

(٧) زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٩١٠/٦ .

والكافر يعمل المعصية ، ويعتقد أنه آمن ، وما يغفل عن مكر الله إلا الذين هلكوا بذنوبهم ، ولهذا ختم الله الآية بقوله : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي حكم الله تعالى بخسارتهم ، مؤكداً الخسارة بالقصر ، وأن الخسارة مقصورة عليهم ، وخسارتهم في أنهم خسروا أنفسهم فليسوا في حال عقلية مدركة ، وخسروا أنفسهم بالاستمرار على غيهم ، وخسروا بالعذاب الأليم الذي ينزل ، والله سبحانه هو الذي يقي المؤمنين شر الغفلة والنسيان ، وأمن عذاب الله ، وجعلهم في فطنة دائمة ، واعتبار بأمر الله ونهيه ، وهو الهادي إلى سواء السبيل (١) .

المطلب العاشر : التهاون في كسب الحسنات

إن المؤمن أحرص ما يكون على مضاعفة حسناته وتكثيرها ؛ لأنها السبيل إلى دخول الجنة والنجاة من النار ، أما غير المؤمن فهو متهاون في هذه القضية ، وبالتالي تخف موازين حسناته ، وذلك مدعاة إلى أن يخسر آخرته ، ويبوء بسخط الله وعذابه ، وذلك هو الخسران المبين .

* قال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) .
تحدث هذه الآية عن الكافر الذي رجحت سيئاته على حسناته بسبب كفره وعصيانه وكثرة ذنوبه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (٣) .

وهؤلاء أعمالهم خفت في ميزان الله الذي لا يظلم ولا يخطيء ، والله لا يظلم أحداً متقال ذرة ، وأن العمل لا يبخس ولا يغفل ولا يضيع .

فأولئك خسروا أنفسهم إذ حرموا السعادة في الآخرة ، وباعوا بالخلود في النار ، وتلك هي الخسارة الكبرى ، بما كانوا يجحدون ويكذبون بآيات الله ، فلا يقرونها ولا يوقنون بحقيقتها ، ويكفرون بها ، "بما كانوا بآياتنا يظلمون" والظلم يطلق في التعبير القرآني ويراد به الشرك أو الكفر لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) ، (٥) . وقد سبق تفسيرها بتوسع (٦) .

(١) انظر: زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٩١١/٦ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٠/٩ .

(٢) سورة الأعراف - الآية (٩) .

(٣) سورة القارعة - الآيات (٨-١١) .

(٤) سورة لقمان - الآية (١٣) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٢٦١/٨ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٩٣/٨ .

(٦) انظر : المبحث الثالث من الفصل الأول - ص (٢٠) .

* قال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (١) .

الآية التي سبقتها بينت سبب خسارتهم ألا وهو جحودهم وكفرانهم بآيات الله سبحانه وتعالى ، أما في هذه الآية فقد بينت الخسارة التي نالوها وهي أنهم في نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبداً .

المطلب الحادي عشر : تحريم الحلال والخوض في محارم الله

الأصل في المؤمن أنه وقَّاف عند حدود الله ، فلا يُحِلُّ إلا ما أحلَّ الله ، ولا يُحَرِّم إلا ما حرَّم الله ، لكن إن تتكبد الطريق ، وسار في درب معوج ، فوقع في محارم الله ، وتكرر لما شرع الله افتراءً على الله ، فهؤلاء قد باعوا بسخط من الله ؛ لأنهم ضلُّوا الطريق إلى الله ، فيخسروا أعمالهم في الدنيا والآخرة خسارة تقودهم إلى جهنم وبئس المصير .

* قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَهْوًا بَغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾ : هذه الآية جواب لقسم محذوف ، وهم ربعة ومُضَرَّ وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر ، قال ابن عباس : نزلت في ربعة ، ومُضَرَّ ، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياءً في الجاهلية من العرب .

وقال قتادة : "كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة ، ويغذو كلبه" (٣) ، فكانت عاقبتهم الخسارة في دينهم ودنياهم ؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك للسفه من غير أن يأتيهم علم في ذلك ، مما يدل على خفة عقولهم وجهلهم بأن الله تعالى هو الرزاق لهم ولأولادهم (٤) .

﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ... ﴾ : أي أنهم حرَّموا على أنفسهم ما رزقهم الله من البحيرة والسائبة ونحوها ، افتراءً على الله حيث قالوا إن الله أمرهم بها ، وبهذا ضلوا عن الطريق المستقيم ، وما كانوا مهتدين إليه ، وإن هدوا بفنون الهدايا (٥) .

(١) سورة المؤمنون - الآية (١٠٣) .

(٢) سورة الأنعام - الآية (١٤٠) .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ٣٦٦/٣ .

(٤) انظر : روح البيان في تفسير القرآن - لاسماعيل الحنفي - ١١٦/٣ ، زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ٨٣/٢ .

(٥) روح البيان في تفسير القرآن - لاسماعيل الحنفي - ١١٦/٣ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل - محمد الكلبى - ٢٣/٢ .

* قال تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) .

يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المنافقين المعاصرين للنبي ﷺ بقوله : "أنتم أيها المنافقون الذين آذيتم الله ورسوله والمؤمنين ، كأولئك المنافقين السابقين مع أنبيائهم . وهنا التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد ، أي أنتم مثلهم مغرورون بما لكم ، مفتونون بأولادكم ، ولكنهم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً ، ولم يكن لهم في دنياهم إلا مطلب واحد هو المتاع الفاني ، والعرض الزائل ، والتمتع بالمال والولد ، فكان نصيبهم نصيب الحيوان يتمتع ويأكل ويتناسل ، فاستمتعتم بنصيبكم كاستمتاعهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا .

والله ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية ، والتهائم بها عن النظر في العاقبة ، والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية ، تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم ، واقتفاء أثرهم ، لقول النبي ﷺ : (لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شَبْرًا شَبْرًا ، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟ قَالَ : "فَمَنْ"؟) (٢) .

﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ : أي في الكذب والباطل ، وقيل : في شهوات الدنيا أو في الكفر ، وقيل : في حماة الرذيلة والفسق ، "كالذي خاضوا" أي فارس والروم ، أو بنو إسرائيل .

وهؤلاء الموصوفون بما ذكر من الأفعال الذميمة ، ضاعت وبطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها ؛ لأنها فاسدة ، وقد ظهر نفاقهم منها ، وأولئك الموصوفون بحبوط الأعمال "هم الخاسرون" أي الكاملون في الخسران (٣) .

(١) سورة التوبة - الآية (٦٩) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم - ص ٦١٠ - رقمه ٧٣٢٠ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ٤٨٥/١٠ ، تفسير القرآن - عز الدين بن عبد السلام - ص ٢١٢ ، في رحاب الإسلام - عبد الحميد كشك - ١٥٧٩/١٠ ، المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى المنصوري - ٤٠٧/٣ .

المبحث الثاني الكفر والجحود

وفيه ثمانية مطالب :

- المطلب الأول: الكفر بالله ولقائه .
- المطلب الثاني : الكفر بالإيمان .
- المطلب الثالث : الكفر بالآخرة .
- المطلب الرابع : الجحود بآيات الله .
- المطلب الخامس : الجحود بالبعث .
- المطلب السادس : الكيد بالأنبياء .
- المطلب السابع : الصد عن سبيل الله .
- المطلب الثامن : الاستهزاء بالرسل وتكذيبهم .

المبحث الثاني الكفر والجحود

يُعدُّ هذا المبحث من أخطر المباحث شأنًا ، وأشدّها أثرًا ، فحياة الإنسان قائمة في الحياة الدنيا على الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - بكل ما أمرنا به ، ونهانا عنه ، ومن يحقق الإيمان فقد نجا وفاز يوم القيامة بالجنة ورضوان الله ، وأما من يكفر بالله ، ويجحد بالإيمان فقد باء بغضب من الله ، وضل ضلالًا بعيدًا ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١) .

فأي خسارة بعد خسارة الإيمان ، أعظم مصيبة على الناس في هذا الوجود ؟؟؟
فالكفر والإشراك بالله يُعدُّ من أعظم الكبائر التي حذرنا النبي ﷺ منها ، عن أنس رضي الله عنه قال : سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال : (الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وشهادة الزور) (٢) .

ويُعدُّ ذلك أيضاً من السبع الموبقات التي تلقي صاحبها في نار جهنم ، وبهذا حظي بالخسارة في الآخرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله ! ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ...) (٣) .

وستتناول في هذا المبحث - إن شاء الله - عدة مطالب ، ونبيّن من خلالها خسارة الإنسان المترتبة على أسبابها ، يمثل كل مطلب سبباً من أسباب هذه الخسارة .

المطلب الأول : الكفر بالله ولقائه

لكي ينال الإنسان ما وعده الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة من التمتع بنعيم الجنة والفوز برحمته ، ورضوانه ، لا بد له من الإيمان به ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، والإيمان بلقائه يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا حَقَّ تَابِعَاتِهِ وَاسْمِعُوا ذُرِّيَّتَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

(١) سورة النساء - الآية (١٣٦) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الشهادات - باب ما قيل في شهادة الزور - ص ٢٠٩ - رقمه ٢٦٥٣ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها - ص ٦٩٣ - رقمه ٢٦٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) سورة الأنفال - الآية (٢٠) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس ، فأتاه جبريل ، فقال :
(ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن
بالبعث ...) (١) .

وقوله تعالى : ﴿... فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) .

والمؤمن حريصٌ على لقاء الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة ، فلذلك يكثر من
الأعمال الصالحة ، ويجتنب كل الأعمال السيئة ، والفواحش ، والمنكرات ، قال تعالى :
﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣) .

ولكن من يكفر بالله وينكر وجوده ولقائه يوم القيامة فقد خسر خسراناً ميبيناً ؛ لأنه
كفر بأهم ركن ، ألا وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبلقائه ، لقوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا...﴾ (٤) ، وقوله
تعالى : ﴿وَقَالُوا أَأُتُوا بِذُنُوبِنَا إِتِنًا لَكُمْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَأْوَانُنَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْمَلُ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَعَصَاؤُنَا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قَدْ أَخَذْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا كَيْدًا عَظِيمًا﴾ (٥) وبهذا
خسروا الدنيا والآخرة لأنهم لم يعملوا ليوم البعث وكفروا به ، وقصروا أمرهم على الحياة
الدنيا ، فضيعوا أنفسهم وحظهم من الآخرة ، لقوله تعالى : ﴿... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦) .

وبهذا بطلت وخابت كل الأعمال التي قام بها ، والتي لا نفع يوم القيامة منها ،
لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ...﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٨) .

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان - ص ٦ -
رقمه ٥٠ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) سورة الأنعام - الآية (٤٨) .

(٣) سورة الكهف - الآية (١١٠) .

(٤) سورة الأنعام - الآية (٣١) .

(٥) سورة السجدة - الآية (١٠) .

(٦) سورة الزمر - الآية (٦٥) .

(٧) سورة البقرة - الآية (٢٦٤) .

(٨) سورة النور - الآية (٣٩) .

وسوف نتناول الآيات التي تبين الخسارة التي ينالها هؤلاء الكافرون بربهم وذلك

فيما يلي :

* قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) .

سبب نزول هذه الآية : قال ابن عباس : نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة كانوا أربعين رجلاً من الحبشة وأهل الشام (٢) .

واختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾

فقال بعضهم : هم المؤمنون برسول الله ﷺ وبما جاء به ذكر ذلك عن قتادة في قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ قال : هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ آمنوا بكتاب الله وصدقوا به .

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله ، وصدقوا

رسله ، فأقرؤا بحكم التوراة ، فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد ﷺ والإيمان به ،

والتصديق بما جاء به من عند الله ، ذكر ابن زيد في قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... ﴾

قال : من كفر بالنبي ﷺ من يهود فأولئك هم الخاسرون .

ويرجح الطبري هذا القول ، ويعلل ذلك ، بأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل

الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأويلهم إياه على غير تأويله ، وادعائهم على الله

الأباطيل ، ولم يجز لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله : ﴿ الَّذِينَ

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ موجهاً إلى الإخبار عنهم ، وليس لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ،

وبالتالي فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهاً إلى أنه خبر عن قص الله جل ثناؤه

في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين : التوراة والإنجيل (٣) .

﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ قال بعضهم معنى ذلك : يتبعونه حق اتباعه ، وقال آخرون : يقرءونه

حق قراءته .

يعني : الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتكم به

من الحق من عندي ، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى - صلوات الله عليه -

فيؤمنون به ، ويقرون بما فيه من نعتك وصفتك ، وأنت رسولي ، فرض عليهم طاعتي في

(١) سورة البقرة - الآية (١٢١) .

(٢) أسباب النزول - للنيسابوري - ص ٣٩ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٦٦٠/١ .

الإيمان بك ، والتصديق بما جئتهم به من عندي ، ويعملون بما أحللت لهم ، ويجتنبون ما حرمت عليهم ، ولا يحرفونه عن مواضعه ، ولا يبدلونه ، ولا يغيرونه كما أنزلته عليهم بتأويل ولا غيره ، وقيل : مراعاة اللفظ عن التحريف ، والتدبر في معناه ، والعمل بمقتضاه (١) .

﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي هؤلاء الذين أخبر عنهم يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته ، فيصدقون به ، ويذعنون لما أمر به ونهى عنه ، ويعملون بموجبه ، وهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٢) .

وقالوا أيضاً : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) .

هذا التفسير على أساس أن الكتاب ، هو كتاب أهل الكتاب الذي آمنوا به ولم يحرفوه عن مواضعه ، ولم يكتبوه بأيديهم ، ويلوون به ألسنتهم ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله .

ولكن من المفسرين من قالوا : إنه القرآن الكريم ، وإطلاق اسم الكتاب عليه من غير ذكر أنه القرآن ، للدلالة على كماله وأنه لا يماثله من الكتب كتاب ، ولو كان سماوياً ؛ لأنه الكتاب الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٤) .

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ومن يكفر بهذا ويجحد بما أنزل إليك ، وينكر البشارة فيك ، وذلك بتحريف كتبهم لتوافق أهواءهم ، ويجحد بآياته وإنكار أحكامه ، وما فيه من فرائض الله ، أولئك هم الذين خسروا علمهم وعملهم ، فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ، واستبدلوا بها سخط الله وغضبه ، وقيل : "أولئك هم الخاسرون" أي الضالون الهالكون

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٦٦٤/١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي - ٣٩٣/١ .

(٢) سورة آل عمران - الآيات (١١٣ - ١١٥) .

(٣) سورة القصص - الآيات (٥٢ - ٥٤) .

(٤) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري ٦٦٥/١ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٨٩/١ .

الذين خسروا سعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة ، ذلك لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى والكفر بالإيمان ، وقيل : بتجارتهم التي كانوا يعملونها يأخذ الرشا على التحريف ، وحكم سبحانه بالخسران مؤكداً له بضمير الفصل "هم" ، وبالجملة الاسمية (١) .

* قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

يبين الله سبحانه وتعالى حال المشركين يوم الجمع في هذه الآية فقال : "ويوم يحشرهم" أي يجمعهم من كل مكان إلى الموقف ، كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ، ومعناه أنهم استقلوا أيام الدنيا ، فإن المكث في الدنيا وإن طال ، كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة ، وقيل : استقلوا أيام مكثهم في الدنيا لقلّة انتفاعهم بأعمارهم فيها ، فكأنهم لم يلبثوا إلا يوماً فيها لقلّة فائدتها ، وقيل : إنهم استقلوا مدة لبثهم في القبور ، ودليله قوله تعالى : ﴿ ... لَيْثُنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... ﴾ (٣) .

قال ابن عباس : قد دل الله سبحانه بذلك على أنه لا ينبغي لأحد أن يغترّ بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال ، وقول آخر لابن عباس : أنهم رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة .

﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ معناه أن الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت ، كما كانوا يتعارفون في الدنيا ؛ وكانهم لم يتفارقوا إلا قليلاً ، وقيل : معناه يُعرّف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر ، وهذا تعارف توبيخ وافتضاح ، يقول بعضهم لبعض : أنت أضللتني وأغويتني وحملتني على الكفر ، وليس تعارف شفقة ورأفة وعطف .

ويبقى تعارف التوبيخ ، وهذا هو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ (٤) .

(١) انظر : روح المعاني - للألوسي - ٥٨٧/١ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٩٠/١ ، المبصر
لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٢٤/١ .

(٢) سورة يونس - الآية (٤٥) .

(٣) سورة الكهف - الآية (١٩) .

(٤) سورة سبأ - الآيات (٣١-٣٣) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ (١) .

وقيل : معنى "يتعارفون" يتساعلون ، أي يتساعلون كم لبثتم ، كما قال تعالى :
﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال الضحاك : ذلك تعارف تعاطف المؤمنين ، والكافرون لا تعاطف عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ ... فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٣) ، (٤) .

وقال الكلبي : يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ، ثم تتقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ (٥) ، (٦) .

ويقول المنصوري في كتابه : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ أي : "لقد خسر حقاً هؤلاء الظالمون الذين كذبوا بالبعث والنشور ، والآية شهادة على خسرانهم والتعجب منه ، والمراد بقاء الله : الحساب والجزاء" (٧) .

وقيل : أي بالعرض على الله ، ثم قيل : يجوز أن يكون هذا إخباراً من الله ﷻ بعد أن دل على البعث والنشور ، أي خسروا ثواب الجنة ، وقيل : خسروا في حال لقاء الله ؛ لأن الخسران إنما هو في تلك الحالة التي لا يرجى فيها إقالة ، ولا تنفع توبة ، قال الحسن : معناه أنهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى المعاصي ، وخسروا نعيم الآخرة حين فوتوها على أنفسهم بمعاصيهم ، ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة ، وقيل : للحق ، قال الحسن : معناه خسروا أنفسهم ؛ لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ، ولو كانوا مهتدين في الدنيا ، لم يخسروا أنفسهم ، وقيل : أي من الكفر والضلالة (٨) .

* قال تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩) .

-
- (١) سورة الأحزاب - الآية (٦٧) .
(٢) سورة الصافات - الآية (٢٧) .
(٣) سورة المؤمنون - الآية (١١) .
(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ٢٢٢/٨ ، مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي - ١٧٧/٥ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٤٧٥/٢ .
(٥) سورة المعارج - الآية (١٠) .
(٦) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل - ٣٨١/١ .
(٧) المقتطف من عيون التفاسير - ٤٧٥/٢ .
(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٢٢/٨ ، مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - ١٧٧/٥ ، محاسن التأويل - للقاسمي - ٣٣٥٤/٨ .
(٩) سورة العنكبوت - الآية (٥٢) .

يوجه الله - سبحانه وتعالى - الأمر للنبي ﷺ في هذه الآية بالقول للمكذبين له ، كفى بالله شهيداً يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسوله ، وأن هذا القرآن كتابه ، ولا يخفى عليه شيء ، وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم ؛ لأنهم قد أقروا بعلمه فلزمهم أن يقرّوا بشهادته ، وشهادة من يعلم ما في السموات والأرض أعظم شهادة ، وهو الذي يعلم أنهم على الباطل (١) .

وذكر القرطبي في كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ قال يحيى بن سلام : إبليس ، وقيل : بعبادة الأوثان والأصنام والرهبان .

﴿ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ﴾ أي لتكذيبهم برسله ، وجددهم لكتابه ، وقيل : بما أشركوا به من الأوثان ، وأضافوا إليه من الأولاد والأضداد (٢) .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي : المغبونون في صفقتهم ؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان ، والآية من قبيل المجادلة والتي هي أحسن ، حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل ، والكفر والخسران إليهم ، بل بالإبهام (٣) .

وقال سيد قطب : "الخاسرون على الإطلاق ، الخاسرون لكل شيء ، الخاسرون للدنيا والآخرة ، الخاسرون لأنفسهم وللهدى ، والاستقامة ، والطمأنينة ، والحق والنور . إن الإيمان بالله كسب ، كسب في ذاته ، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله ، إنه طمأنينة في القلب ، واستقامة على الطريق ، وثبات على الأحداث ، وثقة بالسند ، واطمئنان للحمى ، ويقين بالعاقبة ، وإن هذا في ذاته لهو الكسب ؛ وهو الذي يخسره الكافرون" (٤) .

* قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٥) .

تبين هذه الآية "أن الكفر لا ينفع عند الله حيث لا تزيد مكانته عند الله إلا بغضاً ، وغضباً ، واحتقاراً ، ولا ينفع في النفس ، بل يزيد لها خساراً ، وهلاكاً ، وضلالاً في الآخرة ، بخلاف الإيمان ، فإنه كلما طال عمر المؤمن وحسن عمله ، ارتفعت درجته

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٧٤٧/٢١ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٣٦/١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - ٢٣٦/١٣ .

(٣) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ١٥/٢١ ، المقتطف من عيون التفاسير - المنصوري - ١٨٨/٤ .

(٤) في ظلال القرآن - ٢٧٤٧/٢١ .

(٥) سورة فاطر - الآية (٣٩) .

ومنزلته عند الله في الجنة ، وزاد أجره ، وأحبّه خالقه" (١) .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي جعلكم أمة خالفة لمن قبلها من الأقوام السابقة كعاد وشمود ، يخلف بعضكم بعضاً في تعمير الأرض لقوله تعالى : ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٢) .

قال قتادة : خلفاً بعد خلف وقرناً بعد قرن ، والخلف : هو التالي للمتقدم ، وقيل : جعلكم خلفاءه في أرضه ، وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ، فتغير الأقوام ، والأجيال ، والأمم ، يدعو للتفكير والتأمل ، والعظة والعبرة من أخبارهم وآثارهم ، وهذا يقتضي أن نتذكر أننا مفارقون لهذه الدنيا ، فلا نغتر بها ، ولننظر إلى أنفسنا ؛ بأن الله جعلنا خلفاء له ، فلا نتخذ معه شركاء لا يمتون لنا بصلة شريفة ، والله سبحانه وتعالى هو وحده الحي الباقي الدائم .

وقوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي : أنتم خلفاء في أرضي ، ولقد حكمت أنه من يكفر بالله سبحانه وتعالى ، وبنعمه ، فعليه وبال كفره ووزره ، وعلى نفسه ضرر كفره ، لا يتعداه إلى غيره ، وهو العقاب والعذاب ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند الله إلا بعداً من رحمة الله ، ومقتاً ، وغضباً ، وبغضاً شديداً ، واحتقاراً من الله ، ونقصاً وهلاكاً ، ولا يزيدهم إلا هلاكاً ، وخسراناً ، وضلالاً في الآخرة ، وعذاباً أليماً ، وكلما اطمانوا إلى كفرهم خسروا أنفسهم يوم القيامة (٣) .

* قال تعالى : ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٤) .

الآية التي سبقت تلك الآية كان الأمر موجه فيها إلى النبي ﷺ وهي قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (٥) فيأمر الله بها محمداً ﷺ أن يبين للناس أنه لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصاً له في عبادته ودينه ، وبيّن الله للناس ما يعبدون ، وجاء الأمر

(١) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٣٩/٢٢ .

(٢) سورة البقرة - الآية (٣٠) .

(٣) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٤٠٦/٤ ، التفسير الواضح - لمحمد حجازي - ٧٨/٢٢ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٣٨/٢٢ .

(٤) سورة الزمر - الآية (١٥) .

(٥) سورة الزمر - الآية (١٤) .

في الآية يدل على التهديد والتوبيخ لكل من يعبد غير الله - سبحانه وتعالى - ، وقوله : ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ فيها من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى ، كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه ، أمروا به كي يحل بهم العقاب ؛ لأنهم عبدوا الأصنام والأوثان من دون الله (١) .

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الخطاب موجه في الآية للنبي ﷺ فيأمر الله - سبحانه وتعالى - بأن يقول للمشركين الكاملين في الخسران ، إن الخسران الحقيقي هو للذين خسروا أنفسهم بالضلال ، وبذهاب الدنيا والآخرة ، وبهذا صاروا في النار ، وخسروا أهلهم ، أي خدمهم ومنازلهم في الجنة ، وقيل : خسروا أهلهم ؛ لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروا ، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا إياب بعده ، وقيل : خسروا أهلهم ؛ لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة ، وكل ذلك لكونهم اختاروا الكفر على الإيمان ، وبالتالي أضاعوا أنفسهم وأهلهم (٢) .

﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يعني : "ذلك هو الخسران الواضح الظاهر البين ، وهو خسرانهم في الدنيا والآخرة" (٣) .

وقال أبو السعود : "من استئناف الجملة ، وتصديرها بحرف التنبيه ، والإشارة بذلك إلى ما بعد منزلة المشار إليه في الشر ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخسران ووصفه بالمبين ، من الدلالة على كمال هوله وفظاعته ، وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى" (٤) .

* قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥) .

الآيتان اللتان سبقتا هذه الآية فيها بيان لخسارة من يكفر بالله سبحانه وتعالى ، ويعبد غيره من الأوثان والأصنام ، وبهذا يستنكر الله عليهم هذا الأمر ، وبدعوتهم للرسول ﷺ بمشاركتهم عبادة آلهتهم في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦) ، (٧) .

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود - ٦٠٤/٤ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٩٠/٢٣ .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد - للنيسابوري - ٥٧٥/٣ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٩١/٢٣ .

(٣) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٢٩١/٢٣ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - ٦٠٥/٤ .

(٥) سورة الزمر - الآية (٦٥) .

(٦) سورة الزمر - الآية (٦٤) .

(٧) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٠٦١/٢٤ .

وهذه الآية الخطاب فيها موجه إلى النبي ﷺ والمراد أمته ، وقال ابن عباس : هذا أدب من الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديد لغيره ؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ، ومداهنة الكفار ، والله لقد أوحى إليك ، وإلى كل رسول ونبي من قبلك بالأمر بالتوحيد ، توحيد العبادة والشكر على الهدى واليقين ، وعلى آلاء الله التي تغمر عباده ، ويعجزون عن إحصائها ، وهم فيها مغمورون ، ولئن أشركت بالله ، لبيطلن ويفسدن عملك الصالح ، ولتكونن من الخاسرين في الآخرة ، بالزج في نار جهنم ، أراد الله من هذا التحذير بيان شناعة وبشاعة الشرك (١) .

* قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

يبين الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية عدم نفع الإيمان في ذلك الوقت ، حين يرون العذاب ؛ لأن النافع هو الإيمان الاختياري ، وليس الاضطراري ، وهذا ما بينته الآية السابقة ألا وهي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٣) . قال فخر الدين الرازي في معنى الآية : "لم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم ، فإن قيل : اذكروا ضابطاً في الوقت الذي لا ينفع الإتيان بالإيمان فيه ، قلنا : إنه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب ؛ لأن في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ إلى الإيمان ، فذلك الإيمان لا ينفع ، إنما ينفع مع القدرة على خلافه ، حتى يكون المرء مختاراً ، أما إذا عاينوا علامات الآخرة فلا" (٤) .

ثم قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ والمعنى : أن سنة الله قد جرت في الأمم الخالية ، بعدم قبول الإيمان عند معاينة البأس ، وهو العذاب ، يعني : بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب .
﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ أي وقت رؤيتهم البأس والعذاب ، بذهاب نعم الدارين ، قيل : الكافر خاسر في كل وقت ؛ ولكنه يتبين له خسارانه إذا رأى العذاب ، والله سبحانه وتعالى

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٠٦١/٢٤ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد - للنيسابوري - ٥٩٢/٣ .

(٢) سورة غافر - الآية (٨٥) .

(٣) سورة غافر - الآية (٨٤) .

(٤) التفسير الكبير - ٩٢/٢٧ .

أعلم بمراده وأسرار كتابه (١) .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (٢) .

أقسم الله سبحانه وتعالى في الآية التي تسبق هذه الآية "بالعصر" ، وقد اختلف في معناها : فمنهم من قال يقصد بها : الدهر والزمان ، وقيل : الليل والنهار ، وقيل : صلاة العصر ، وقيل : عصر النبي ﷺ أو زمن أمته ؛ لأنه يشبه عصر عمر الدنيا .
ثم جاء بجواب القسم بقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ والمقصود بالإنسان في الآية ، قيل : المسلم والكافر ، إلا من استثنى الله تعالى ، وقيل : خاص بالكافر ، والأول أرجح للعموم (٣) ، وقيل : بمعنى الناس (٤) .

وقال الشنقيطي : "وأصل الخسر والخسران كالكفر والكفران ، النقص من رأس المال ، ولم يبين هنا نوع الخسران في أي شيء ، بل أطلق ليعم ، وجاء بحرف الظرفية ، ليشعر أن الإنسان مستغرق في الخسران ، وهو محيط به من كل مكان" (٥) .
والإنسان إذا لم يستعمل نفسه وعمره فيما يوجب له الربح الدائم ، فهو في خسران ؛ لأنه عمل في إهلاك نفسه وعمره ، وهما أكبر رأس ماله (٦) .

وتقول نائلة صبري : "إن الإنسان في خسران ونقصان وهلاك ؛ لأنه يفضل الحياة الدنيا العاجلة الفانية على الآخرة الأجلية الباقية ، ويتهاك على لذاتها الزائلة ، وينشغل بأمورها ، خسر في مساعيهم التي لا ينتفعون بها في الآخرة" (٧) .
ويقول الشنقيطي في كتابه : "اتفقوا على أن رأس مال الإنسان في حياته هو عمره ، كلف بإعماله في فترة وجوده في الدنيا ، فهي له كالسوق ، فإن أعمله في خير ربح ، وإن أعمله في شر خسر .

(١) انظر : معالم التنزيل في التفسير والتأويل - للبغوي - ٥٥/٥ ، لباب التأويل في معاني التنزيل - للخازن - ١٠٤/٦ ، التفسير الكبير - للرازي - ٩٢/٢٧ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٥٠٢/٤ .

(٢) سورة العصر - الآية (٢) .

(٣) انظر : أضواء البيان - للشنقيطي - ٩٢/٩ - ٤٩٤ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٦٥٠/٣٠ .

(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ٣٠٤/٨ .

(٥) أضواء البيان - ٤٩٥/٩ .

(٦) انظر : زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ٣٠٤/٨ .

(٧) المبصر لنور القرآن - ٦٥٢/٣٠ .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ... ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ (٢) ، وعن النبي ﷺ : (الطهور شطر الإيمان) وفي آخر الحديث (كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) (٣) ، مما يؤكد على أن رأس مال الإنسان عمره ، وعلى هذا فإن الله أرسل رسوله بالهدى ، وهدى كل إنسان النجدين ، وجعل لكل إنسان منزلة في الجنة ، ومنزلة في النار ، فمن آمن وعمل صالحاً كان مآله إلى منزلة الجنة ، وسلم من منزلة النار ، ومن كفر كان مآله إلى منزلة النار ، وترك منزلته في الجنة" (٤) .

المطلب الثاني : الكفر بالإيمان

أنعم الله على عباده بنعم كثيرة ، وأعظم تلك النعم الإيمان ، الإيمان بالله الواحد القهار ، الإيمان بكل ما أوتينا ، وما أمرنا به ، ونهينا عنه ؛ لأن الإيمان سبيل النجاة يوم القيامة من عذاب أليم ، لقوله تعالى : ﴿ ... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ ... فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٧) ، ولكن من عصى وتكبر وتجبر وكفر بالله سبحانه وتعالى فمثواه جهنم وبئس المصير ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩) .

(١) سورة التوبة - الآية (١١١) .

(٢) سورة الصف - الآيتان (١٠ ، ١١) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء - ص ٧١٨ - رقمه ٥٣٤ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) أضواء البيان - ٤٩٨/٩ - باختصار .

(٥) سورة المائدة - الآية (٦٩) .

(٦) سورة الأنعام - الآية (٤٨) .

(٧) سورة مريم - الآية (٦٠) .

(٨) سورة العنكبوت - الآية (٥٢) .

(٩) سورة البقرة - الآية (١٦١) .

فهذا الإنسان الذي لم يُعْمَلْ عقله ومداركه من أجل معرفة الطريق المستقيم ، وإنما ظل يتخبط في عصيانه ، وضلاله فقد نال خسارة لا تحمد عقباها ، من حبوط الأعمال ، ونيل غضب الله وسخطه عليه ، ودخول نار جهنم - والعياذ بالله - لقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ ... وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ... ﴾^(٢) .

فإياك ، ثم إياك أيها العبد من الحيد عن الطريق المستقيم ، والكفر بالإيمان الذي هو سبيل النجاة .

وسوف نتناول الآية التي تبين خسارة من يكفر بالإيمان ، وهي على النحو التالي :
- قال تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣) .
يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية العديد من الأحكام والتشريعات التي لا بد من تنفيذها ، وقد تم بيان هذه الأحكام والتشريعات وتفصيلها فيما سبق^(٤) .
ويختتم الله هذه الأحكام بخاتمة فيها تشديد وتهديد ، وهي قوله تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ﴾ أي بشرائع الله وتكاليفه التي هي نتائج الإيمان بالله ورسوله ، قال ابن عباس ومجاهد : معناه : ومن يكفر برب الإيمان أي بالله ، وقال قتادة : ومن يكفر بالقرآن الذي أنزل فيه هذه التكاليف التي لا بد من الإيمان بها^(٥) .
وقيل : إن هذه التشريعات كلها منوطة بالإيمان ، وتنفيذها كما هي هو الإيمان ، أو هو دليل الإيمان ، فالذي يعدل عنها إنما يكفر بالإيمان ويستره ويغويه ويجده ، والحق لا يضره أن يكفر الناس جميعاً ؛ لأنه هو الذي خلق الخلق بداية ، وهو متصف بكل صفات القدرة والكمال ، والذي يكفر بالإيمان يبطل عمله ، ويصبح رداً عليه لا يقبل منه ، ولا يُقر عليه .

وجاء الحق بكلمة "حبط" التي تدل على أن العمل بطل ، وذهب ذهاباً لا يعود ، والحبوط مأخوذ من انتفاخ الدابة وموتها إذا رعت مرعى ساماً ، وهذا تصوير لحقيقة العمل

(١) سورة النساء - الآية (٥٥) .

(٢) سورة آل عمران - الآية (١١٠) .

(٣) سورة المائدة - الآية (٥) .

(٤) انظر : الفصل الأول ، ص (٢٨) .

(٥) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد - للقمي النيسابوري - ١٠٩٨/٢ .

الباطل ، والذي يكون على غير ما شرع الله ، فهو ينتفخ ، ثم ينعدم أثره ، وفي الآخرة تكون الخسارة فوق حبوط العمل وبطلانه في الدنيا (١) .

المطلب الثالث : الكفر بالآخرة

الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نؤمن بالآخرة ، ويشمل الإيمان بذلك شروط الساعة ومقدماتها من تغيير الظواهر الكونية ، والإيمان بالبرزخ بعد الحياة الدنيا ، والإيمان بالساعة ، ونفخة الصور الأولى والثانية ، والجنة والنار .

والإيمان به يعني التصديق الذي لا شك فيه ولا شبهة ، وما لم يكن كذلك فلا إيمان . ولكن هناك طوائف من الناس تنكر الآخرة ، وتكفر بذلك ، وتقول إن الحياة إنما هي هذه الحياة التي نحياها ، وأنه ليس معنى الموت إلا الفناء ، والزوال ، والانتها ، والانعدام لا حياة بعده ، ولا شعور لقلوبه تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ... ﴾ (٣) ، ويقولون هذا الكون الذي نعيش فيه خالد أبدي لا زوال له ولا فناء (٤) ، وهذا كفر صريح بالآخرة ، والله سبحانه وتعالى أبرز ضلالهم في الآية الكريمة لقلوبه : ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٥) .

وتوعدهم بالعذاب الشديد لقلوبه تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٦) .

إذن فقد نال من كفر بالآخرة الخسارة والضياع في الآخرة ، وكان مثواه نار جهنم .

وسوف نتناول الآيات التي تتحدث عن الذين كفروا بالآخرة ، وما هو جزاؤهم يوم

القيامة .

* قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتُونَهَا عَوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٧) .

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٨٤٨/٦ ، تفسير الشعراوي - ٢٩٤٢/٥ .

(٢) سورة الدخان - الآيتان (٣٤-٣٥) .

(٣) سورة الجاثية - الآية (٢٤) .

(٤) انظر : الإسلام - سعيد حوى - ٧٨١/١ .

(٥) سورة النساء - الآية (١٣٦) .

(٦) سورة الأنعام - الآيتان (٢٩-٣٠) .

(٧) سورة هود - الآية (١٩) .

يذكر الله - سبحانه وتعالى - أحوال الذين يفترون على الله الكذب ، وهذه الحال التي ذكرت هي الصد عن سبيل الله بإيذاء المؤمنين ، وفتنهم ليقولوا كلمة الكفر وهم لها كارهون ، وبهذا يمنعون الناس عن اتباع طريق الحق والهدى ؛ لأنه طريق الوصول إلى الله ﷻ ، ويصدونهم عن الإيمان ، والطاعة ، ويريدون للعقيدة أن تكون معوجة ، أي مائلة زائفة عن الحق ، على حسب أهوائهم ليضيفوا إليها الشبهات والضلالات .

وقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى السبب الذي جعلهم يوغلون في الكفر ذلك الإيغال ، ويمعنون فيه هذا الإمعان ، فقد قال تعالى في حالهم التي أضلتهم : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ أي جاحدون بالآخرة ، منكرون للبعث والنشور ، والكفر بالبعث جعلهم لا يؤمنون إلا بالدنيا وزينتها وظنوا أنها وحدها هي الحياة مما أدى بهم إلى هذا الغباء .

وقد أكد الله - سبحانه - كفرهم بالبعث ، واليوم الآخر ، وأنه لا حساب ولا عقاب ، أكده أولاً بالضمير "هم" ، وكرره أيضاً ، تأكيداً على كفرهم بالآخرة ، أي إنهم يكفرون بالآخرة ، ولا يؤمنون بيوم القيامة ، وينكرون البعث والحساب ، وقيل : للتوكيد وتثبيت الجريمة ، وإيرازها في مقام التشهير ^(١) . فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ^(٢) . وذكر بعد الآية التي نحن بصددنا حكم الكفر بالآخرة .

فجاءت هذه الآية بالإشارة إلى هؤلاء الذين هُدُّوا بعذاب الدنيا ، وأنه لنازل بهم ، وأنذروا بعذاب الآخرة ، ومن قبل صدوا عن سبيل الله ، وأرادوها مخلصين في إرادتهم أن تكون معوجة ، والإشارة إلى الموصوف بصفات تدل على أن هذه الصفات هي سبب الحكم ، وهذا الحكم هو الخسران المبين وجزاء كفرهم بالآخرة .

فخسروا سعادة الدنيا والآخرة ، لتبديلهم الهداية بالضلالة ، وخسروا راحة أنفسهم وسعادتها ، وزجوا في نار جهنم ، فكان مصيرهم أعظم خسارة لهم ، وأنهم خسروا بضلالهم عقولهم ، وخسروا أنفسهم بظلمهم ، فالظلم خسارة للنفس ، والذي يخسر نفسه لا يفيد شيئاً مما كسب غيرها ، وخسروا أنفسهم بكفرهم باليوم الآخر ، وعدم رجاء ما عند الله ، وبعباب الدنيا والآخرة ^(٣) .

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٨٦٧/١٢ ، صفوة التفاسير - للصابوني - ٥٨٨/٢ ، زهرة

التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٦٩١/٧ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٨/١٢ .

(٢) سورة هود - الآية (٢١) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٨٦٨/١٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٣٦٩٤/٧ .

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ : "أي غاب عنهم فلم يهتد إليهم ، ولم يجتمع عليهم ما كانوا يفترونه من الكذب على الله ، فقد تبدد وضاع وذهب" (١) .

وذكر أيضاً بعدها مباشرة التأكيد على خسارتهم بسبب كفرهم وإنكارهم للآخرة .

* قال تعالى : ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٢) .

"وقد أخبر عن مآلهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة ؛ لأنهم استبدلوا الدرجات عن الدرجات ، واعتاضوا عن نعيم الجنات بحميم أن ، وعن شرب الرحيق المختوم بسُموم وحميم وظل من يحموم ، وعن الحور العين بطعام من غسلين ، وعن القصور العالية بالهاوية ، وعن قرب الرحمن ، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون" (٣) .

﴿هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ ببلوغهم أقصى درجات الخسارة في الآخرة ، ولذا جاء جمع "الأخسرون" ، وفعل التفضيل هنا : يدل على أقصى درجات الخسارة ، أي لا خسارة فوقها أو مثلها ، بل هي فوق كل خسارة ، وما ظنك بخسارة مؤداها البقاء في الجحيم خالدين فيها إلى ما شاء الله تعالى (٤) .

* قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٥) .

"عند ذكر الله - سبحانه وتعالى - الآخرة في كتابه العزيز يركز عليها ، ويؤكد في صورة التهديد والوعيد لمن لا يؤمنون بها ، فيمضون في غيهم ، حتى يلاقوا مصيرهم الوخيم فجاءت هذه الآية التي تبين جزاء من لا يؤمن بالآخرة ، فالإيمان بالآخرة هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات ، ويضمن القصد والاعتدال في الحياة ، والذي لا يعتقد بالآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة ، أو يكبح فيها نزوة ، وهو يظن أن الفرصة الوحيدة المتاحة له للمتاع هي فرصة الحياة على هذا الكوكب ، وهي قصيرة مهما طالت ... وما الذي يمسكه حتى يحقق لذاته ورغباته ، وهو لا يحسب حساب وقفه بين يدي الله ، ولا يتوقع ثواباً ولا عقاباً يوم يقوم الأشهاد ؟

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٢/١٨٦٨ .

(٢) سورة هود - الآية (٢٢) .

(٣) الأساس في التفسير - سعيد حوى - ٥/٢٥٤٦ .

(٤) انظر : زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٧/٣٦٩٤ .

(٥) سورة النمل - الآيتان (٤ ، ٥) .

ومن ثم يصبح كل تحقيق للشهوة واللذة مزيناً للنفس التي لا تؤمن بالآخرة ، تندفع إليه بلا معوق من تقوى أو حياء ، ما لم تهتدِ بآيات الله ورسالاته إلى الإيمان بعالم آخر باق بعد هذا العالم الفاني ... " (١) .

ثم تحدث القرآن عن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، أي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها ، وقيل : لا يصدقون بالبعث ، ﴿ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ قيل : أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة ، وقيل : جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيهم ، فهم يتيهون في ضلالهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٢) .

فهم لا يؤمنون بالآخرة ، فنفذت سنة الله في أن تصبح أعمالهم وشهواتهم مزينة لهم ، حسنة عندهم ، وهذا هو معنى التزيين في هذا المقام ، "فهم يعمهون" لا يرون ما فيها من شر وسوء ، أو حائرون لا يهتدون فيها إلى صواب ، وقيل : يترددون في أعمالهم الخبيثة ، وفي ضلالتهم ، وعن ابن عباس وأبي العالية : يتمادون ، وعن قتادة : يلعبون ، وعن الحسن : يتحIRON .

والعاقبة معروفة لمن يزين له الشر والسوء في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ سواء كان سوء العذاب في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر ، أو في الآخرة في نار جهنم والعياذ بالله .

﴿ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ أي أشد الناس خسراناً ؛ لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم ، فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله ، والخسارة المطلقة تكون في الآخرة ، محققة جزاء وفاقاً على الاندفاع في سوء الأعمال ، (وفي الآخرة) تبيين وليس بمتعلق بالأخسرين ، فإن من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة ، وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم فهم أخسر الخاسرين (٣) .

المطلب الرابع : الجحود بآيات الله

لو تطرقنا إلى التعرف على المقصود بآيات الله ، ترى هل يقصد بها كلام الله الموحى به إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه - عليهم الصلاة والسلام - فقط ؟

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٦٢٧/١٩ ، بتصرف .

(٢) سورة الأنعام - الآية (١١٠) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٦٢٧/١٩ ، الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ١٠٥/١٣ ، الكشاف - للزمخشري - ١٣٧/٣ ، في رحاب التفسير - ٣٤٩٧/١٩ .

طبعاً ليست وحدها ، فإن آيات الله قد تشمل العلامات ، والأدلة ، والبراهين التي أبرزها الله سبحانه وتعالى لعباده من أجل هدايتهم ، وتنوير طريقهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... ﴾ (١) .

ونحن واجبنا اتجاه تلك الآيات أن نؤمن بها لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ... ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٥) .

ولكن هناك من ختم الله - سبحانه وتعالى - على قلوبهم فجحدوا بهذه الآيات ، وكفروا بها ، بل أنكروها ، وكذبوا من أتى بها أو أبرزها لهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ... ﴾ (٧) فكانت عاقبتهم الضياع والهلاك ، بخسران أنفسهم وأهليهم ، وخسران كل شيء من رحمة الله ، ومغفرته ، والفوز بجنته يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (٨) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٩) .

وستتناول الآيات التي تبرز هذه الخسارة التي سوف ينالونها من وراء كفرهم

بآيات الله ، وذلك فيما يلي :

-
- (١) سورة فصلت - الآية (٥٣) .
 - (٢) سورة النساء - الآية (١٣٦) .
 - (٣) سورة النحل - الآية (١١) .
 - (٤) سورة النحل - الآية (١٣) .
 - (٥) سورة طه - الآية (٤٧) .
 - (٦) سورة الأنعام - الآية (٤) .
 - (٧) سورة الأنعام - الآية (٢٥) .
 - (٨) سورة آل عمران - الآية (٤) .
 - (٩) سورة آل عمران - الآية (١٩) .

* قال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (١) .

"يقول الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية من خفت موازين أعماله الصالحة ، فلم تتقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به ، وبرسوله ، واتباعه ونهيه ، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته ؛ بسبب كونهم بحجج الله وأدلته يجحدون ، فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها" (٢) .

ومن خفت موازينهم خسروا ؛ بسبب ظلمهم ، وتضييع فطرة الإسلام التي ما من مولود إلا يولد عليها ، أو فطرة الخير الذي هو أصل الجبلة ، والمراد بالخسران : كونه في الهاوية من النار ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿ (٣) ، (٤) .

"بآياتنا" متعلق ببيظلمون ، وقُدِمَ عليه للفاصلة ، وعدى الظلم "بالباء" لتضمنه معنى التكذيب أو الجحود ، والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا . والظاهر أن هذا التقسيم هو بالنسبة للمؤمنين من أطاع ، ومن عصى ، وللكفار فتوزن أعمال الكفار ، وقال قوم : لا ينصب لهم ميزان ولا يحاسبون لقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (٥) ، وإنما توزن أعمال المؤمن طائعهم وعاصيهم (٦) .

* قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٧) .

الخطاب في هذه الآية موجه إلى النبي ﷺ ولكن المراد بها غيره ؛ لأن النبي ﷺ على يقين مما جاء به أنه الحق ، فبعد أن اشتد الموقف وتأزم في مكة بعد حادثة الإسراء ، وبعد وفاة خديجة - رضي الله عنها - وأبي طالب عم رسول الله ﷺ ، واشتداد الأذى على رسول الله ﷺ ، ومن معه ، وبعد تعثر الدعوة تقريبا في مكة بسبب عناد قريش ، فبعد كل هذا يوجه الله - سبحانه وتعالى - خطابه إلى النبي بأن لا يكون من الشاكين في صحة

(١) سورة الأعراف - الآية (٩) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ١٤٥/٥ .

(٣) سورة المؤمنون - الآيتان (١٠٣-١٠٤) .

(٤) انظر : روح المعاني - للألوسي - ١٢٦/٥ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشنقيطي - ٢٦١/٢ .

(٥) سورة الفرقان - الآية (٢٣) .

(٦) انظر : روح المعاني - للألوسي - ١٢٦/٥ ، البحر المحيط - لأبي حيان - ١٤/٥ .

(٧) سورة يونس - الآية (٩٥) .

الإسلام ، وأنه الدين الحق الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١) .

ولكن النبي ﷺ لم يكن في شك مما أنزل الله إليه ، وإنما المراد به غيره ، فإن وقع شك فرضاً ، أو تقديراً ، فسيبيل من خالجه شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها ، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلتها ، وإما بسؤال العلماء المنبهين على الحق .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ نفساً وعملاً ، وهذا كله من باب التهيج والتنبيت ، وقطع أطماع المشركين عنه ، وقيل : المراد ممن عنده شك وارتياب ، وقد كان الناس في أول عصر النبي ﷺ على ثلاثة فرق : مصدقون ، ومنكرون ، ومتوقفون ، فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب (٢) .

* قال تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .
﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لقد اختلف في معنى مقاليد السموات والأرض منهم من قال : هي مفاتيح السموات والأرض والرزق والرحمة ، قاله مقاتل وقتادة وغيرهما ، وقال الليث : المقلاد الخزائنة ، ومعنى الآية له خزائن السموات والأرض ، وبه قال الضحاك والسدي ، وقيل : خزائن السموات المطر ، وخزائن الأرض النبات ، وقيل : هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها ، والأول أولى ، وقيل : هي لا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد ، وهي مفاتيح خير السموات والأرض ، من تكلم بها من المتقين أحببه ، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (٤) .

وقيل : المقصود بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ : "أي بالقرآن والحجج والدلالات" (٥) .

(١) سورة يونس - الآية (٩٤) .

(٢) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ١١/١٨٢٠ ، البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان - ١٠٦/٦ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٢/٥٠٨ ، صفوة البيان لمعاني القرآن - لحسنين مخلوف - ص ٢٨٣ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٢/٤٩٨ .

(٣) سورة الزمر - الآية (٦٣) .

(٤) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٤/٥٤٢ ، الكشاف - للزمخشري - ٣/٤٠٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ١٥/١٧٩ .

وقيل : "والذين كفروا بالأدلة التي وضعت في الأكوان وجاءت في القرآن ، دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته ، وبديع حكمته ، أولئك هم المغبونين حظوظهم من خيرات السموات والأرض ؛ لأنهم حُرِموا من ذلك في الآخرة بخلودهم في النار" (١) .
 وقيل : "أي بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه وتوحيده ، ومعنى الخاسرون : أي الكاملون في الخسران ؛ لأنهم صاوا بهذا الكفر إلى النار" (٢) .

المطلب الخامس : الجحود بالبعث

يؤمن المسلم بأن لهذه الحياة الدنيا ساعة أخيرة تنتهي فيها ، ويوماً آخراً ليس بعده من يوم ، ثم تأتي الحياة الثانية في الدار الآخرة ، فيبعث الله سبحانه الخلائق بعثاً ، ويحشرهم إليه جميعاً ليحاسبهم ، فيجزى الأبرار بالنعيم المقيم في الجنة ، ويجزي الفجار بالعذاب المهين في النار (٣) .

وبهذا يخبر الله في كتابه العزيز بأن كل ما على سطح الأرض فان ، ويبقى وجه الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع) (٦) .

وهذا يعني بأن جميع البشرية ستبعث يوم القيامة من أجل الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب على كل ما فعله الإنسان في حياته الدنيا .
 ولكن هناك من ينكر البعث ، ويكفر به ، معتقداً أن الحياة الدنيا هي الحياة الباقية ، ولا حياة أخرى بعدها ، لقوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

(١) تفسير المراغي - ٢٩/٢٤ .

(٢) فتح القدير - للشوكاني - ٥٤٢/٤ .

(٣) انظر : منهاج المسلم - للجزائري - ص ٣٩ .

(٤) سورة الرحمن - الآيتان (٢٥-٢٦) .

(٥) سورة الأنبياء - الآيتان (٣٣-٣٤) .

(٦) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب تقديم نبينا على جميع الخلائق - ص ١٠٨١ - رقمه ٥٩٤٠ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

لَتَنْبُؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾ ، إنهم أخطأوا فيما اعتقدوه ؛ لأن الأدلة والبراهين تثبت بأن هناك حياة أخرى ، يحاسب الإنسان فيها على أعماله في الحياة الدنيا ، وأنها هي الحياة الباقية الدائمة بعد الحياة الزائلة ، لقوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسَ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢) .

ومن أصر على كفره وجحوده بالبعث فقد خسر خسرانا مبيناً .

* قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣) .

تصور لنا هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة للكافرين الذين يكذبون باليوم الآخر ، وينكرونه ألا وهو يوم الحساب والجزاء ، وبهذا خسروا كل ما ربحه المؤمنون من فوز وثواب لتفريطهم في طاعة الله وعمل الخير ؛ ولأنهم يفقدون العزاء الروحي الذي يصيب كل إنسان مما يعاني في الحياة ، إذ يكون كالحیوان الذي يأكل ليعيش ، ويعيش ليأكل فيفقد كل المعنويات العالية ، ولأنه يرتع في الشهوات الموبقة ؛ ولأنه يكون في تناحر مستمر ، إذ لا يخشى الله ولا يرهب عقابه ، وأخيراً يخسر رضوان الله وجنته ، ويتلقى العذاب الذي يقع عليه يوم تقوم الساعة (٤) .

"وقد وصفوا بالخسران ؛ لأنهم باعوا الإيمان بالكفر ، فعظم خسرانهم في ذلك البيع" (٥) .

وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي حتى فوجئ الكافرون بالساعة ، أي الوقت

الذي تقوم فيه القيامة ، والتي لا يعلم أحد محيئها غيره سبحانه وتعالى .

- فإن قيل : الساعة تجئ من غير علم بوقتها للجميع ، فكيف تكون بغتة للذين كذبوا بقاء الله دون غيرهم .

(١) سورة التغابن - الآية (٧) .

(٢) سورة الزلزلة - الآيات (١-٨) .

(٣) سورة الأنعام - الآية (٣١) .

(٤) انظر : زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٨٠/٥ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٩٦/٧ .

(٥) الوسيط في التفسير المجيد - للنيسابوري - ٢٦٣/٢ .

الجواب على ذلك : إن الذين آمنوا بقاء الله تعالى يتوقعونها ، وإن لم يعلموا بوقتها ، أما الذين كذبوا فهم يكفرون بها فيفاجأون بها ، وإن الذين آمنوا يرجون لقاء ربهم ، ويرجون رحمته ، وأما الذين كفروا بقاء الله تعالى فلا رجاء عندهم .

وقد عُبر عن قيام الساعة واليوم الآخر بقاء الله تعالى ، تشریفاً لذلك اليوم ، وفيه ترغيب في الإيمان باللقاء ، وترهيب من تكذيبه ، وسميت القيامة ساعة ؛ لأنها تحمل أشد الأهوال ؛ ولأنها فاصلة بين نوعين من الحياة ، حياة فانية وأخرى باقية ، حياة عمل ، وحياة جزاء (١) .

وقيل : "لأنها تفاجئ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها أحد إلا هو تعالى " (٢) ، ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ يعني : منكري البعث ، وهم كفار قريش ، ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد ، فقالوا يا ندامتنا ويا حسرتنا على ما قصرنا في الحياة الدنيا ، إذ لم نكتسب من الاعتقادات والأخلاق والأعمال ما ينحينا ، أو على ما فرطنا في شأنها ، ومراعاة حقها ، والاستعداد لها ، بالإيمان بها ، واكتساب الأعمال الصالحة ، وعلى ما فاتنا من تهذيب الأخلاق المهيئة للسباق ، ولا خسران أعظم من هذا (٣) .

ولما كان هذا أمراً فظيماً ، زاد في تفضيحه بالإخبار في جملة حالية بشدة تعبه في ذلك الموقف ، ووهن ظهورهم بذنوبهم ، حتى كأن عليهم أحمالاً ثقلاً ، فقال : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي : لقد لزمتمهم الآثام فأصبحوا متقلين بها ، وكأنها حمل ثقيل على ظهورهم .

والوزر الحمل الثقيل ، وسمي به الإثم والذنب ؛ لأنه أثقل الأحمال النفسية التي تنوء به القوة ، والجملة استعارة تمثيلية لما يتقلون به يوم القيامة من أثقال الآثام ، وذكر لفظ ظهورهم ؛ لأن الظهر يحمل الأثقال ، والمعروف أن الدابة تحمل الأثقال على ظهرها . ولما كان هذا الحمل أمراً تحتل عقولنا حقيقة ما هو عليه من البشاعة والثقل ، أشار إلى ذلك بقوله جامعاً للمذام ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ يعني بئس ما يحملون من الآثام والذنوب ، لسوء عاقبته ، وما وراءه من عذاب (٤) .

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد - للنيسابوري - ٢٦٤/٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٨١/٥ .

(٢) محاسن التأويل - للقاسمي - ٢٢٨٥/٦ .

(٣) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٦٢٥/٢ ، محاسن التأويل - للقاسمي - ٢٢٨٦/٦ .

(٤) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للبقاعي - ٦٢٦/٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٨٢/٥ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٩٦/٧ .

* قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١) .

"يوجد دليل في هذه الآية على أن الكفار كانوا في حال التكليف في الدنيا قادرين على الإيمان والتوبة لكنهم لم يؤمنوا ولم يتوبوا ، ودليل على أنه لا يوجد في الآخرة تكليف ، لذا فلم ينفع إيمانهم ولا توبتهم ؛ وذلك لأن زمن التكليف في الدنيا ولى إلى غير رجعة" (٢) .

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ أي هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله ، أي إلا غايته وما وعدوا به من عقاب ، ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ أي عاقبته وهو يوم القيامة ، وما وعد الله فيه من البعث والنشور ، والعقاب والحساب ، فيأسفون على ما فاتهم من الإيمان (٣) .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي يقول هؤلاء الكافرون بأسف وندامة والذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجي مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك في الدنيا ، فأقسموا حين عاينوا البلاء والعذاب ، وحل بهم العقاب بأن ما جاءت به رسل الله وأنبيأوه حق ، وأقروا بالدعوة إلى الإيمان ، وعبادة الله ، ويوم القيامة ، والحشر والحساب ، والعقاب ، والوعد ، والوعيد ، ولكن هذا الاعتراف لم ينفعهم يوم القيامة ، وكان عليهم الاعتراف به في الدنيا (٤) .

وقوله : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ ﴾ "خبر من الله تعالى في هذه الآية ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم ، وورودهم أليم عذابه ، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم : هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم ، فيشفعوا لنا عند ربنا ، فنتجينا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء أفعالنا في الدنيا ، أو نرد إلى الدنيا مرة أخرى ، فنعمل فيها بما يرضيه من أنفسنا ؟ لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا

(١) سورة الأعراف - الآية (٥٣) .

(٢) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٤٧/٨ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٢٣٤/٥ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد - للنيسابوري - ٣٧٤/٢ .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٢٣٥/٥ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٤٧/٨ .

أنفسهم أن لها شفاء تشفع لهم في حاجاتهم ، فيذكرون ذلك في وقت لا خلة فيه ولا شفاعاة" (١) .

﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي "أهلكوها بالعذاب ، وصاروا إلى الخزي وسقط عنهم ما كانوا يقولون من أن مع الله إلهاً آخر" (٢) ، وقيل : لقد صاروا في الهلاك ، أي هلكت أنفسهم ؛ لأنهم انقادوا للمعاصي ولم يعملوا بما أمرهم الله ﷻ ، وظهر بطلان ما افتروه من الأصنام ، وادعوا أنهم شركاء لله ، بئس ما اعتقدوا أنهم شفعاؤهم يوم القيامة ، وساء ما عبدوا فلم ينفعهم شيء ، ولم ينفذوهم مما هم فيه من العذاب ، وخسروا آخرتهم بدخولهم النار وخلودهم فيها (٣) .

* قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٤) .

يصف الله لنا سبباً من أسباب ضلال هؤلاء المشركين ألا وهو إنكارهم البعث معتقدين أن لا حياة إلا هذه ، وليس وراء ذلك حياة بعد موتنا ، ولا بعث ولا نشور ، قائلين (نموت ونحيا) أي يموت الآباء وتحيا الأبناء ، وحياة الأبناء حياة للآباء ، أو يموت بعض ويحيا بعض ، أو أرادوا بكونهم أمواتاً حال كونهم نطقاً ، أو هو على مذهب أهل التناسخ : أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في بدن آخر ، وبهذا ينكرون قبض الأرواح ، ويضيفون الحوادث إلى الدهر ، ويسبون فاعلها ، عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) (٥) .

أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر ، ﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي أجاب الله على شبهتهم بأنهم ليس لهم على ما قالوه دليل ، وإنما ذكروا ذلك ظناً وتخميناً واستبعاداً ، وقوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... ﴾ أي إذا تليت عليهم آياتنا الناطقة بالحق ، واضحات

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ٢٣٦/٥ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد - للنيسابوري - ٣٧٥/٢ .

(٣) انظر : المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٤٧/٨ .

(٤) سورة الجاثية - الآيات (٢٤-٢٧) .

(٥) صحيح مسلم - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب النهي عن سب الدهر - ص ١٠٧٧ - رقمه ٥٨٦٦ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

الدلالة على البعث والنشور ، ما كان متمسكاً لهم شيء من الأشياء ، إلا أن يقولوا هذا القول الباطل "انتوا بأبائنا" الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة ، وبعد هذا صرح الله - سبحانه وتعالى - بالحق بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾ يحييهم بعد البعث ويجمعهم يوم القيامة للجزاء الذي لا شك في ذلك ولا ريب ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على الإماتة والإحياء ، ولذلك ينكرون البعث والجزاء ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي بيان لاختصاص الملك والتصرف فيهما لله تعالى ، ويوم تقوم القيامة يخسر هؤلاء الكافرون بالبعث ؛ لأنهم أتعبوا أنفسهم في هذه الحياة ، وما وجدوا منها إلا الخسران بالمكوث في نار جهنم والعياذ بالله (١) .

* قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِئْسَ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِعْدَاءُ اللَّهِ حَقَّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ * أولئك الذين حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ... ﴾ " ما أخرجه البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال : قال مروان في عبد الرحمن ابن أبي بكر أن هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ فقالت عائشة - رضي الله عنها - من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري ، وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي أنه سمع عائشة - رضي الله عنها - تتكرر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقالت : إنما نزلت في فلان سمّت رجلاً" (٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ... ﴾ قال ابن عباس والسدي : نزلت في عبد الله بن أبي ، وقيل : في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى ، وقال الحسن وقتادة : الحق أنها نزلت في كل كافر عاق لوالديه ، ويقول أمثال هذه المقالة ، فيدعوه أبواه إلى الإيمان بالبعث ، وإلى الدين الصحيح فيأبى وينكر .

والذي قال لوالديه اللذين يدعوانه إلى الإيمان والإقرار ببعث الله ، إني لضجر منكما ، أتقولان إني أبعث من قبري حياً بعد موتي وفنائي ، وما لحقتني من بلى ، وتفتت

(١) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد - للنيسابوري - ٣٠٠٠/٤ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٦٠٤/٤ .

(٢) سورة الأحقاف - الآيتان (١٧ ، ١٨) .

(٣) صحيح البخاري - ك سورة الأحقاف - باب "والذي قال لوالديه أف لكما ..." - ص ٤١٢ - رقمه ٤٨٢٧ - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة .

عظام ؟ إن هذا لعجب عجاب ، فها هي ذي قرون مضت ، وأمم قد خلت من قبلي كعاد وشمود (١) ، ولم يبعث منهم أحدٌ ، ولو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقولون لبُعثَ مَنْ قبلي من القرون الغابرة ، ووالداه يستصرخان الله عليه ، ويطلبان بدعائهما مَنْ له جميع صفات الكمال أن يغيثهما بقبول كلامهما ، وأن يوفقه إلى الإيمان بالبعث ، ويقولان له حنّاً وتحريضاً : هلاكاً لك ، صدق بوعد الله ، وأنتك مبعوث بعد وفاتك ؛ لأن وعد الله الملك المحيط بجميع صفات الكمال حقٌّ ثابتٌ أعظم ثبات (٢) .

ثم بعد ذلك يذكر الله - سبحانه وتعالى - جزاء هؤلاء على ما قالوا واعتقدوا فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ "أي : هؤلاء الذين هذه أوصافهم هم الذين وجب عليهم عذاب الله ، وحلت عليهم عقوبته وسخطه فيمن حل به العذاب من الأمم الذين قد مضوا من قبلهم من الجن والإنس ممن كذبوا الرسل ، وعتوا عن أمر ربهم ، ثم ذكر العلة في هذا العذاب المهين فقال : (إنهم كانوا خاسرين) لأنهم ضيعوا فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، واتبعوا الشيطان ، فغبنوا ببيعهم الهدى بالضلال ، والنعيم بالعذاب" (٣) .

المطلب السادس : الكيد بالأنبياء

إن الإيمان بالأنبياء هو ركن من أركان الإيمان ، فإن اختل هذا الركن اختل إيمان الإنسان ؛ وذلك لأن الأنبياء هم رحمة الله إلى عباده ، ليقودوهم إلى رضوان الله والجنة ، والنجاة من سخطه والنار ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) .

هذا حال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، أما غيرهم فقد يكفر ويكيد بالأنبياء الله ، فيقع في الكفر والخسران .

(١) كان عاد وشمود جبارين طوال القامات كما أخبر الله في التنزيل عنهم ، فأرسل الله هوداً إلى عاد ، وأرسل صالحاً إلى ثمود ، فدعوهم إلى الإيمان ، فلم يؤمن منهم إلا القليل ، فأهلك الله عاداً بإرسال الريح عليهم ، وأهلك ثموداً بصيحة من السماء . انظر : المختصر في أخبار البشر - لإسماعيل شاهنشاه - ٢٦/١ .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم المسمى "بالسراج المنير" - للشربيني - ١١/٤ ، تفسير المراغي - ٢٣/٢٦ .

(٣) تفسير المراغي - ٢٤/٢٦ .

(٤) سورة البقرة - الآية (٢٨٥) .

فكل مَنْ عادى نبياً فهو خاسر في عاجل أمره وأجله ؛ لأنه قد عادى الله الذي أرسل أنبياءه لخلقته .

* قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .
هذه الآية جملة مبنية لما حل بقوم النبي شعيب عليه السلام من النعمة .

وقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ والمعنى : المنزل ، والجمع المغاني ، وهي المنازل التي بها أهلها ، يقال : غنيت بالمكان إذا أقمت به ، وغني القوم في دارهم أي طال مقامهم فيها ، وقال ابن عباس وقتادة في معناها : كأن لم يعيشوا فيها ، وقال ابن عباس : كأن لم يعمروا فيها .

ومعنى الآية : كأن لم يقيموا في دارهم أصلاً ولم ينزلوها يوماً من الدهر ، فإن الله سبحانه استأصلهم بالعذاب ، وقيل : المعنى كأن لم يعيشوا فيها متعمين مستغنين ، يقال : غني الرجل إذا استغنى ، وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر ، والأول أولى (٢) .
﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ : هذه الجملة متضمنة لبيان خسران القوم المكذبين ، وهل هناك خسران أشد من أن يخسر الإنسان نفسه ، بعذاب في الدنيا والآخرة ، وإعادة الموصول والصلة كما هي ، لزيادة التقرير والإيدان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين (٣) .

* قال تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (٤) .

قد روي أن الملك المعاصر لإبراهيم كان يلقب "بالنمرود" وهو ملك الآراميين بالعراق ، وأنه قد أهلك هو والملا من قومه بعذاب من عند الله ، تختلف الروايات في تفصيلاته ، وليس لنا عليها من دليل .

المهم أن الله قد أنجى إبراهيم من الكيد الذي أريد به ، وباء الكائدون له بخسارة ما بعدها خسارة ، والكيد هنا : أي مكرراً عظيماً في الإضرار به ، وقيل : هو الإضرار الشديد الذي يكون نتيجة الكيد والتدبير الخبيث ، فأطلقوا السبب وأراد المسبب وهو الضرر ، وكيدهم كان في مغالبتهم له ومجادلتهم ، فكانوا هم الخاسرين في هذه المغالبة في الدنيا

(١) سورة الأعراف - الآية (٩٢) .

(٢) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ٥٠٤/٣ ، فتح البيان في مقاصد القرآن - لأبي الطيب صدّيق القنوجي البخاري - ٤١٣/٤ .

(٣) انظر : في رحاب التفسير - كشك - ١٣٦٣/٩ ، فتح البيان في مقاصد القرآن - لصدّيق القنوجي - ٤١٣/٤ .

(٤) سورة الأنبياء - الآية (٧٠) .

والآخرة ، أي أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه ﷻ على الحق وهم على الباطل ، وموجباً لارتفاع درجته ، واستحقاقهم لأشد العذاب .

والأخسرون جمع أخسر ، والمراد من بلغوا أقصى درجات الخسران ^(١)

* قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ ^(٢) .

يخبر الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية نبيه ﷺ بأخبار الرسل الذين جاءوا من قبله تسلية له ، فيقول الله - سبحانه وتعالى - لقد بعثنا رسلاً من قبلك ، أيدناهم بالمعجزات فتأس بهم ، ومن الرسل من ذكرناهم لك ، وقصصنا عليك قصصهم مع قومهم ، ومنهم من لم نخبرك عن قصصهم وأخبارهم ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال : (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً... الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً) ^(٣) .

وما كان ، وما صح ، وما استقام لرسول من أولئك الرسل أن يأتي قومه بشيء من المعجزات والدلالات إلا بأمر الله ، فكل رسول آتاه الله الآيات والمعجزات ليواجه ويحاج بها قومه ، والمعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى ، قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، لا اختيار في المجيء بالمقترح بها .

فإذا جاء الوقت وحان موعد العذاب ، ينزله الله على الكافرين لإهلاكهم ، وينجي الله رسله ، والذين آمنوا معهم ، ويهلك الذين افتروا وكذبوا وجحدوا آياته ﷻ وخسر في ذلك العذاب المتمسكون بالباطل على الإطلاق ، فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أولاً ، لكونهم يجادلون في آيات الله سبحانه وتعالى ^(٤) .

المطلب السابع : الصد عن سبيل الله

إن الصد عن سبيل الله مشكلة واقعية قديماً وحديثاً ، وإن أعداء هذا الدين ، يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين ، ويترصدون المسلمين في كل مكان ، ليصدوهم ويفتوهم عن دين الله ، فبدأ هذا الصراع منذ بدء الخليقة ، ومع كل الأنبياء ، واستمر عبر

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٣٨٨/١٧ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٦٨٢/٤ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص ٤٦٩ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٤٨٩٢/٩ .

(٢) سورة غافر - الآية (٧٨) .

(٣) مسند أحمد - ٦١٨/٣٦ - رقمه ٢٢٢٨٨ - قال الأرنؤوط : إسناده ضعيف والحديث صحيح .

(٤) انظر : روح المعاني - للألوسي - ١٣٥/١٣ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٤٧/٢٤ .

العصور والأجيال حتى يومنا هذا ، فهذه إذن طبيعة الدعوات وطريق النبوات (١) ، ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ما يبين صد هؤلاء عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ... ﴾ (٣) ، وكل صادق عن سبيل الله لا شك أنه قد خسر نفسه بإهلاكها ، ولن ينفعهم صدمهم شيئاً .

* قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (٤) .

يوضح الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية جناية هؤلاء الذين استوجبوا بها النار فقال : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الدين الإسلامي ، ويبغون أن تصير سبيل الله عوجاء ، كما يهون ويشتهون فهم يريدون الإسلام أن يبيح لهم المحرمات من الربا ، والزنا ، والسفور ، ويريدون من الإسلام أن يأذن لهم في عبادة القبور ، والأشجار ، والأحجار إلى غير ذلك ، ويضاف إلى هذا ذنب أعظم وهو كفرهم بالدار الآخرة ، منكبين للبعث والنشور ، فقد جمعوا بين الضلال والإضلال (٥) .

"وهؤلاء الفجار ليسوا مفلتين من عذاب الله ، بل هم تحت قهره وغلخته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر على الانتقام منهم ، وليس لهم من ينصرهم ويمنعهم من العقاب ، أو ينجيهم من عذاب السعير ، بل يضاعف لهم العذاب ؛ بسبب إجرامهم وطغيانهم ، وسبب مضاعفة العذاب ، وتشديد العقاب عليهم ؛ أن الله تعالى جعل لهم سمعاً ، وأبصاراً ، وأفئدة ، ولكنهم كانوا صماً عن سماع الحق ، عمياً عن إِبصار نور الهدى ، بكماً عن النطق بكلمة التوحيد ، فلم ينتفعوا بما منحهم الله من الحواس ، فكانوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً" (٦) .

(١) انظر : الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم - د. عبد السلام اللوح ، ود. زكريا الزميلي - مجلة الجامعة الإسلامية - غزة - ص (٣٣) .

(٢) سورة النحل - الآية (٨٨) .

(٣) سورة القصص - الآية (٨٧) .

(٤) سورة هود - الآيات (١٩-٢٢) .

(٥) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٥٣٢/٢ ، التحرير والتنوير - لابن عاشور - ٣٤/١٢ .

(٦) المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٥١٧/٢ .

ثم بعد ذلك يبين الله حال هؤلاء المشركين في الآخرة ؛ بأنهم استقروا في دار الشقاء ، فخسروا كل شيء حتى أنفسهم بدخولها نار جهنم - والعياذ بالله - وخسروا سعادة الدنيا والآخرة ، باشتراء الضلالة بالهدى ، ويا له من خسران ميين !! وشقاء واضح !! ، وضاع وغاب عنهم ما كانوا يزعمون أن لهم شركاء ، وأنهم يشفعون لهم وينصرونهم ، ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ أنهم الأكثر خسراناً من غيرهم ؛ لأنهم أضافوا إلى جريمة كفرهم ، جريمة تكفير غيرهم ممن كانوا يدعونهم إلى الضلال ، ويصدونهم عن الإسلام سبيل الهدى والنجاة من النار .

وبهذا كانوا أخسرين ، أي شديدي الخسارة ؛ لأنهم قد اجتمع لهم من أسباب الشقاء والعذاب ما اقترفته الأمم الضالة ، ولأنهم شقوا من حيث كانوا يحسبونه سعادة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١) .

وبهذا اجتمعت لهم خسارة الدنيا والآخرة (٢) .

المطلب الثامن : الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم

إن السخرية والاستهزاء ليس من شيم المؤمنين المتقين الصادقين في إيمانهم ، فضلاً عن السخرية والاستهزاء برسول الله وتكذيبهم ، فلا يقع في ذلك إلا المنافق الكافر ، مريض القلب ، عديم الخلق والدين ، قال تعالى في وصف الكافرين المستهزئين برسول الله : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَدِرُوا قَدْرَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٥) .

فكل من وقع في الاستهزاء برسول الله وكذبهم في رسالتهم ، لا شك أنه سيخسر خسراناً مبيناً بدخول جهنم ، وبئس المصير ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴾ (٦) .

(١) سورة الكهف - الآيتان (١٠٣ ، ١٠٤) .

(٢) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٥٣٤/٢ ، التحرير والتتوير - لابن عاشور - ٣٨/١٢ ، المقطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٥١٨/٢ .

(٣) سورة الحجر - الآية (١١) .

(٤) سورة يس - الآية (٣٠) .

(٥) سورة التوبة - الآيتان (٦٥ ، ٦٦) .

(٦) سورة الكهف - الآية (١٠٦) .

وقد ذكر الله ذلك الخسران لهؤلاء المستهزئين بشكل واضح وصريح في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُنُفَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

يخبر الله - سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ عن أهل الكفر الذين كثيراً ما سخروا من قبل بالرسول السابقين ، وهذا من باب التسلية للنبي ﷺ ، لما كان فيه من بلاء وابتلاء ، فقد ابتلى من المشركين بالإنكار والمعاندة ، وطلب الآيات المعجزات ، ولا يقصدون بذلك إلا المهاترة ، وقد سبق إنكارهم كل دليل يُساق إليهم ، فابتلى الله النبي ﷺ باستهزائهم والسخرية منه ، وقد أكد الله - سبحانه وتعالى - الاستهزاء بالرسول بـ "قد" وبـ "اللام" في قوله : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

وبسبب هذا الاستهزاء نزل ما نزل من عذاب بأمر الله ، وبأيدي المؤمنين حيث أحاط بهم الأثر المؤلم بسبب سخريتهم (٢) .

ثم يأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ بأن يقول لهؤلاء المستهزئين سافروا في الأرض ، وانظروا آثار من كان قبلكم لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات ، وكيف كانت عاقبتهم بعد ما كانوا فيه من النعيم العظيم الذي يفوق ما أنتم فيه ، فهذه ديارهم خاربية ، وجناتهم مغبرة ، وأراضيهم مكفهرة ، فإن كانت عاقبتهم هذه العاقبة فأنتم بهم للاحقون ، وبعد هلاكهم هالكون" (٣) .

وقوله : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ : "يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن ينبههم إلى خلق السموات والأرض ومن فيهن ، والاستفهام يتضمن معنيين : أولهما : التنبيه إلى أن الله - تعالى - يملك السموات والأرض ومن فيهن من أقوى وأضعفاء ، ومن إنس وجن ، ومن ملائكة أطهار لا يعصون الله تعالى ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومن أخيار في الأرض وأشرار ، فالجميع في قبضة يده - سبحانه وتعالى - ، ولا أحد فوق سلطانه .

والثاني : تبييتهم ، وبيان أنهم ومن هم أقوى منهم في قبضة يده سبحانه ، والاستفهام للتنبيه ، فإنه من أمثل الطرق لتقرير الحقائق ، السؤال ثم الإجابة" (٤) .

(١) سورة الأنعام - الآيات (١٠-١٢) .

(٢) انظر : تفسير الشعراوي - ٣٥١٨/٦ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٤٤/٥ .

(٣) فتح القدير - للشوكاني - ١١٨/٢ .

(٤) زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٤٨/٥ .

وقد ذكر الله عدله ، ثم ذكر رحمته من بعد ، وأشار إلى أن العدل والرحمة متلازمان في قوله : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي وعد بها فضلاً منه وتكرماً بعباده ، فهو الذي يمدهم بنعمه محسنهم ، ومسيئهم ، وخيرهم ، وشريرهم ، ومن رحمته لهم إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونصب الأدلة ، وأيضاً أن يعاقب المسيئ ، ويثيب المحسن ، فإن ذلك هو العدل ، وفيه رحمة ، فحيث كان العدل كانت الرحمة ، ولقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي) (١) .

وقوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ليمهلنكم وليؤخرن جمعكم، وقيل : ليجمعنكم في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه .

وقيل : إن أمهلكم برحمته فهو مجازيكم بجمعكم ، ثم معاقبة من يستحق عقوبته من العصاة (٢) .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ جعل الله الكفر في هذه الآية نتيجة للخسران ، فالخسران يبتدئ ، والكفر نهايته ، أو هما متلازمان ، فالخسران سابق ولاحق ؛ لأنه يترتب على الكفر خسران متضافر .

والخسران الذي يسبق الكفر ، وهو خسران الفطرة ، فلا يكفر بالدليل القاطع إلا من يخسر فطرته ، وخسران الإدراك السليم ، وخسروا عقولهم إذ سيطرت الأوهام عليهم ، وخسروا نفوسهم فصارت معوجة ، وخسروا قلوبهم فصارت مظلمة ، وإذا كانت كل مداركهم قد سدّت فهم لا يؤمنون ؛ لأن الإيمان يحتاج إلى قلب مخلص ، وعقل مدرك ، وإذعان للحق إذا بدت معالمه ، وظهرت أماراته .

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ عبر بالمضارع في "لا يؤمنون" للإشارة إلى أنهم لا يكون الإيمان شأنًا من شئونهم على الدوام ؛ ذلك لأن من امتلأت نفسه بالأوهام ، وصارت عشاؤها ، وضلت عقولهم لا يمكن أن تدعن لشيء ، بل هي دائماً مضطربة حائرة تنتقل من ضلال إلى ضلال (٣) .

(١) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب "وكان عرشه على الماء" ، "وهو رب العرش العظيم" - ص ٦١٨ - رقمه ٧٤٢٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ١٢٠/٢ ، زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٤٩/٥ .

(٣) انظر : زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - ٢٤٥٠/٥ .

المبحث الثالث خلل في الطاعة والاتباع

وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول: عدم طاعة الله وعبادته .
- المطلب الثاني : طاعة الكافرين وموالاتهم .
- المطلب الثالث : اتباع الشيطان وحزبه .
- المطلب الرابع : اتباع سوء الظن بالله .

المبحث الثالث خلل في الطاعة والاتباع

إن طاعة الله هو أهم ما يميّز المؤمن عن غيره من الخلق ، فالمؤمن هو أشد طاعة وامتثالاً ، واتباعاً لأمر الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه يعلم قطعاً أن ذلك هو سرُّ سعادته في الدنيا والآخرة ، ولذلك يسارع المؤمنون في ذلك كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١) .

وقد وعدهم الله وعداً جازماً بعظيم الجزاء فقال تعالى : ﴿... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) .
وقد أكد الله على هذا الفوز بقوله أيضاً : ﴿... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٣) .

ومن أعظم ثمرات هذا الفوز أن يجعل الله هؤلاء الطائعين في صحبة النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، قال تعالى : ﴿... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٤) .

وتظهر لنا أهمية الاتباع لشرع الله ، من خلال أن المتبع معصوم من الخوف والحزن لقوله : ﴿... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٥) ، أما من اختلعت عنده الطاعة والتبعية ، وانحرفت لغير الله فقد خسر خسراً مبيناً في الدنيا والآخرة ، قال تعالى في وعيد أتباع الشيطان : ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٧) .
وسوف نبرز أسباب خلل الطاعة والاتباع في المطالب التالية :

(١) سورة البقرة - الآية (٢٨٥) .

(٢) سورة النساء - الآية (١٣) .

(٣) سورة النور - الآية (٥٢) .

(٤) سورة النساء - الآيتان (٦٩ ، ٧٠) .

(٥) سورة البقرة - الآية (٣٨) .

(٦) سورة الإسراء - الآية (٦٣) .

(٧) سورة ص - الآيتان (٨٤ ، ٨٥) .

المطلب الأول : عدم طاعة الله وعبادته

إن الهدف الرئيس والأساس من خلق الإنسان هو طاعة الله وعبادته ؛ وذلك باتباع ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) .

أما أولئك الذين حسبوا أنهم خلقوا لغير طاعة ولا عبادة ، فينكر الله عليهم ذلك بقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (٣) .

وإن ترك العبادة والطاعة لله يوقع الإنسان في خسارة لا تحمد عقباها في العاجل والآجل .

* قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

هذه الآية تبين لنا موقف بني إسرائيل مع رسولهم ومنقذهم - موسى عليه السلام - على أبواب الأرض المقدسة التي وعدهم الله بها ، وموقفهم من ميثاق ربهم معهم ، وكيف نقضوه ، فالنبي موسى عليه السلام جربهم من قبل في مواطن كثيرة في خط سير الرحلة الطويل ، وجربهم وقد أخرجهم من أرض مصر ، وحررهم من الذل والهوان ، باسم الله ، وبسلطان الله الذي فرق لهم البحر ، وأغرق لهم فرعون وجنده ، وأنعم عليهم بنعم كثيرة ، ثم ها هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة ، أرض الميعاد التي من أجلها خرجوا ، الأرض التي وعدهم الله أن يكونوا فيها ملوكاً ، وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليظلوا في رعاية الله وقيادته ، وهذا وعده الذي هم عليه قادمون ، فكان ارتدادهم على الأدبار هو الخسران المبين (٥) .

(١) سورة الذاريات - الآيات (٥٦-٥٨) .

(٢) سورة البينة - الآية (٥) .

(٣) سورة المؤمنون - الآيتان (١١٥ ، ١١٦) .

(٤) سورة المائدة - الآية (٢١) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٨٦٩/٦ .

وهنا يخاطب موسى ﷺ قومه ، ويأمرهم بدخول الأرض المقدسة ، وهي بيت المقدس ، قاله ابن عباس والسدي وابن زيد ، وقيل : هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، قاله الزجاج والفراء ، وقيل : هي الشام ، قاله قتادة ، وقيل : هي أرض الطور وما حوله ، قاله مجاهد ، والمقدسة المطهرة ، طهرت من الآفات ، وقال المفسرون : طهرت من الشرك وجعلت مكاناً ، وقراراً للأنبياء والمؤمنين (١) .

ويقول الرازي : " وهذا فيه نظر ؛ لأن تلك الأرض لما قال موسى ﷺ : (ادخلوا الأرض المقدسة) ما كانت مقدسة عن الشرك ، وما كانت مقراً للأنبياء ، ويمكن أن يجاب بأنها كانت كذلك فيما قبل" (٢) .

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي : كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم ، وقيل : وهب الله لكم ، قاله ابن عباس ، وقيل : أمركم الله بدخولها ، قاله قتادة والسدي .

والوعد بقوله : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مشروط بقيد الطاعة .

فإن قيل : لم قال : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ثم قال : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ .

الجواب : أنها كانت هبة من الله لهم ، ثم حرّمها عليهم ، قاله ابن إسحاق ، وقيل : إن المراد به الخصوص ، وإن كان الكلام على العموم فصار كأنه مكتوب لبعضهم ، وحرام على بعض ، والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موسى ﷺ بشهرين .

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتكم بدخولها ، قاله أكثر المفسرين ، وقيل : لا ترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته ، قاله الجبائي (٣) .

﴿فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ﴾ أي : فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة" (٤) .

وقال الرازي : فيه وجوه : "أحدها : خاسرين في الآخرة ، فإنه يفوتكم الثواب ويلحقكم العقاب .

وثانيها : ترجعون إلى الذل .

وثالثها : تموتون في التيه ، ولا تصلون إلى شيء من مطالب الدنيا ، ومنافع الآخرة" (٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير - للرازي - ١٩٧/١١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي - ٢٩٥/٣ .

(٢) التفسير الكبير - ١٩٧/١١ .

(٣) انظر : التفسير الكبير - للرازي - ١٩٨/١١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي - ٢٩٦/٣ ،

مدارك التنزيل وحقائق التأويل - للنسفي - ٢٧٥/١ .

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل - للنسفي - ٢٧٥/١ .

(٥) التفسير الكبير - ١٩٨/١١ .

* قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١) .

قد سبق سبب نزول هذه الآية فيما قبل (٢) ، ويبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حال المنافقين مضطربي الإيمان ، الذين لم تستقر عقيدتهم ، من جماعة الأعراب القادمين إلى المدينة بقصد المنفعة المادية ، فهم لم يعرفوا الله معرفة المتمكن الواصل ، ولم يعبدوه عبادة المؤمن الصادق ، إنما عبدوه على جانب يسير حسب التجربة ، فيعبدون الله على شك وطرف من الدين ، لا في القلب ، كمن يقف على حافة وادٍ ، أو على طرف الجيش ليفر عند الإحساس بالهزيمة، فهو مضطرب الإيمان ، غير مطمئن القلب ، غير واثق بهذا الدين ، ولا صادق النية ، ولا مخلص في العبادة ، فيقول الله فيهم : ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَشَرٍ مَوْتٍ وَلِبَشَرٍ الْعَشِيرِ ﴾ (٣) .

فإن أصابه خير مادي من غنيمة ومال ، وزيادة نتاج في الولد ، ونسل الحيوان ، رضي عن هذا الدين ، واطمأن إليه ، أي ثبت على ما كان عليه ظاهراً ، لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين ، الذين لا يلويهم عنه صارف .
وإن أصابه مرض ، أو لم تلد امرأته ، ولا ماشيته ، أي أحس بنقص في المال ، أو الأنفس ، أو هلاك أو جذب في الثمرات والغلات ، ارتد ورجع كافراً ، وهذا هو النفاق بعينه (٤) .

وقوله : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ : أي : ضيعهما بذهاب عصمته ، وحبوط عمله بالارتداد ، ذلك : أي خسران الدارين ، ﴿ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ : أي الظاهر الذي لا يخفى على أحد (٥) .

وقيل : "أي ضيع الدنيا والآخرة ، فلا هو حصل من الدنيا على شيء من عز وكرامة وغنيمة ، ولا استفاد من ثواب الآخرة ؛ لأنه كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ، وذلك هو الخسران البين الذي لا خسران مثله ، أو هي الخسارة العظيمة ،

(١) سورة الحج - الآية (١١) .

(٢) انظر : الفصل الأول - ص (٢٨) .

(٣) سورة الحج - الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٤) انظر : في رحاب التفسير - لكشك - ٢٥٣٤/٣ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج -

للزحيلي - ١٦٧/١٧ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوي - ٤٢٢/٣ .

(٥) المقتطف من عيون التفاسير - ٤٢٣/٣ .

والصفقة الخاسرة" (١) .

* قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاَهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿ (٢) .

يتحدث الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية عن كثير من أهل القرى الذين خالفوا أمر ربهم ، يعني أبت وعصت عن أمر ربها ، يعني : عن طاعة ربها ، وقيل : العتو المعصية ، وقال أصل اللغة : العتو مجاوزة الحد في المعصية ، وقيل : أعرضت عنه على وجه العتو والفساد ، وقيل : تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ، فكذبوهم ولجوا في طغيانهم يعمهون .

فحاسبها الله حساباً يسيراً ، أي جازاها الله بعملها ، ويقال : حاسبناها في الآخرة حساباً شديداً ، وقيل : بالاستقصاء والمناقشة ، وعذبها عذاباً نكراً ، وعبر بالماضي عن المستقبل : دلالة على التحقيق (٣) .

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هذا جزاء ما كسبت أيديهم ، فقال : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ : "أي فحنت ثمار ما غرست أيديها ، ولا يُجْنَى من الشر إلا الشر ، كما جاء في أمثالهم : "إنك لا تجني من الشوك العنب" (٤) ، فكان عاقبة أمرها الخسران والنكال الذي لا يُقدر قدره" (٥) .

"وقيل : المراد حساب الآخرة وعذابها ، وما يذوقون فيها من الوبال ، ويلقون من الخسر" (٦) .

المطلب الثاني : طاعة الكافرين وموالاتهم

إن طاعة المؤمن للكافر وموالاته تجعله في معصية الله - سبحانه وتعالى - ذلك أن الله ﷻ نهى عن ذلك في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٧) .

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - للزحيلي - ١٦٩/١٧ .

(٢) سورة الطلاق - الآيتان (٨ ، ٩) .

(٣) انظر : تفسير المراغي - ١٤٩/٢٨ ، الأساس في التفسير - سعيد حوى - ٥٩٨٣/١٠ ، بحر العلوم - للسمرقندي - ٣٧٧/٣ .

(٤) المستقصى في أمثال العرب - للزمخشري - ٤١٦/١ .

(٥) تفسير المراغي - ١٤٩/٢٨ .

(٦) الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ٥٩٨٣/١٠ .

(٧) سورة آل عمران - الآية (٢٨) .

فإن والى المؤمن الكافر ظناً أنه يبتغي عنده العزة فهو واهم ؛ لأن العزة لله وحده ،
لقله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١) .

وقد نهى الله عن موالة الكافرين وطاعتهم ؛ لأنهم يصدون المؤمنين عن دين الله ،
ويخرجونهم من ديارهم ، ويظهرون على إخراجهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) ، وقال أيضاً في سورة الممتحنة نفسها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا
أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٣) .

حقاً إنه من يوالي الكافرين ، فإنه قد ضل عن سواء السبيل ، وسيخسر عمله في
الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا
حَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

يحذر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين أن يطيعوا الذين كفروا ، يعني :
مشركي العرب ، أبا سفيان وأصحابه ، وقيل : اليهود والنصارى ، وقال علي ؑ يعني :
المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى دين آبائكم (٥) .

"الطاعة : تطلق على امتثال أمر الأمر ، وعلى الدخول تحت حكم الغالب ، فيقال :
طاعت قبيلة كذا ، وطوع الجيش بلاد كذا" (٦) .

فالكفر والإيمان نقيضان لا يجتمعان ، ولا يكونان في قلب رجل واحد ، ولذلك الآية
الكريمة تحذر المؤمنين تحذيراً عاماً بالألأ يطيعوا الكافرين ، ولا يستتصروا بهم ، ولا يجعلوا
لهم ولاية عليهم ؛ لأن ولايتهم غير ولاية الله ، وولاية الله هي الولاية الحق ، وهم موضع

(١) سورة النساء - الآية (١٣٩) .

(٢) سورة الممتحنة - الآية (٩) .

(٣) سورة الممتحنة - الآية (١) .

(٤) سورة آل عمران - الآية (١٤٩) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ١٤٩/٤ .

(٦) التحرير والتنوير - لابن عاشور - ١٢١/٤ .

غضب الله تعالى دائماً ، والذي يتولاهم ويستتصر بهم ، فإنه يتولى قوماً غضب الله عليهم ، لقله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (١) .

والمعنى في هذا ، هو التحذير من مسايرة الكافرين بأي نوع من أنواع المسايرة ، إذ كل مسايرة طاعة ، ولا يليق بالمؤمن أن يطيع كافراً ؛ لأنه يجب أن يكون في حذر دائم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى نتيجة طاعة الكافرين في أي عصر من العصور إن كان هناك احتمال لذلك ، فذكر في جواب الشرط نتيجتين ، كلتاهما مترتبة على الأخرى ، أولاهما : أشار إليها بقوله تعالى : ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، والثانية المترتبة عليها : أشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ .

فالنتيجة الأولى : ردهم على أعقابهم ، فمعناها أن يرجعوا إلى موضع الذلة الذي كانوا فيه قبل أن يؤذن لهم بالجهاد ، أو يرجعوا إلى ما كانوا عليه في غير انتظام وفي اضطراب .
والنتيجة الثانية : هي الانقلاب خاسرين ، والتعبير بالانقلاب : يفيد أن إطاعة الكافرين حتماً فيها تغيير حال أصل الإيمان ، فجعل أعلى ما فيهم أسفل ، وأن هذا الانقلاب تلابسه لا محالة الخسارة المؤكدة التي لا احتمال فيها ، إذ يخسر المؤمنون إيمانهم ، ويخسرون من وراء ذلك الآخرة ، وينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) ، (٣) .

* قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

يخاطب المؤمنون اليهود في هذه الآية على جهة التوبيخ مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ، ومتعجبين من حالهم ، فهؤلاء حلفوا ، وأكدوا حلفهم وغلظوه بأنواع التأكيدات : إنهم لمعكم في الإيمان ، وما يلزمه من النصر والمحببة والموالاتة ، وأنهم سيعينونكم على محمد بالمنصرة والمعاضدة في القتال (٥) .

(١) سورة الممتحنة - الآية (١٣) .

(٢) سورة الحج - الآية (١١) .

(٣) انظر : زهرة التفاسير - لمحمد أبو زهرة - ١٤٤٤/٣ .

(٤) سورة المائدة - الآية (٥٣) .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص ٢٣٢ .

قوله : ﴿ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قال ابن عباس : أغلظوا في الأيمان ، وقال مقاتل : جهد أيمانهم : القسم بالله ، وقال الزجاج : اجتهدوا في المبالغة في اليمين" (١) .

ويحتمل أن يكون القول من المؤمنين بعضهم لبعض : أي : أهؤلاء الذين كانوا يحلفون أنهم مؤمنون ، فقد هتك الله اليوم سترهم ، وظهر ما أضمره ، وتبين ما أسروه ، وصار كيدهم الذي كادوه ، وظنهم الذي ظنوه بالإسلام وأهله باطلاً (٢) .

وقوله : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ "يحتمل أن يكون إخباراً من الله سبحانه وتعالى ، ويحتمل أن يكون قول المؤمنين ، ويحتمل أن يكون قوله : "حبطت" دعاء أي : بطلت أعمالهم" (٣) .

وقيل : أي بطلت الأعمال التي كانوا يعملونها ، أو كل عمل يعملونه ، فصاروا خاسرين في الدنيا والآخرة .

وقيل : بطل كيدهم في الدنيا ، وفاتهم مقصودهم وحضرهم الشقاء والعذاب . وهذه الجملة شهادة عليهم بحبوط أعمالهم ، وفيه معنى التعجب ، كأنه قيل : ما أحبب أعمالهم ؟ وما أشقاهم في الدنيا والآخرة ؟ (٤) .

وهذا هو جزاء كل من يوالي الكافرين ، ويتقرب إليهم على حساب الإسلام والمسلمين .

المطلب الثالث : اتباع الشيطان وحزبه

إن اتباع الشيطان من أشد الأمور عداوة لله سبحانه وتعالى ، ذلك أن الشيطان هو عدو الله في الأرض الذي رفض أمر الله بالسجود لآدم يوم خلقه الله ، فطرده الله من رحمته ولعنه إلى يوم الدين ، وقد أخذ الشيطان على عاتقه ، وأقسم بعزة الله أن يُغوي بني آدم إلا المُخلصين منهم ، قال تعالى وصفاً لما حدث : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيديَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ

(١) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ٢٩٠/٢ .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم - لشحاته - ١١٠٤/٦ ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص ٢٣٢ .

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن - للثعالبي - ٤٣٧/١ .

(٤) انظر : تفسير القرآن الكريم - لشحاته - ١١٠٤/٦ ، المقطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٤٩/٢ .

لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحْلِصِينَ ﴿١﴾ .

إذن هي عداوة قديمة ومتأصلة ، وقد نهى الله عن اتباعه والسير على منهجه الكفري الضال ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّهَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقد بين الله لنا سبب هذا النهي ، لكونه يأمر بالفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

ومع هذا التحذير والنذير إلا أن بعض الناس لا يطيع له إلا أن يتبع كل شيطان مرید ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٤) .

فكل من يقع في هذا النهي الإلهي ، ويتبع خطوات الشيطان فإنه خاسر لا محالة ؛ لأنه عصى الله بذلك ، وأطاع عدوه .

* قال تعالى : ﴿ وَلَا ضَلَالَنَّهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا أَمْرَهُمْ فَلَيْسَتُنَّ آدَانِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا ﴾ (٥) .

قال تعالى على لسان إبليس : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦) .

وقال كذلك : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٧) .

ونفهم من هذا بأن إبليس أخذ على نفسه إغواء وإضلال عباد الله عن الهدى ، وطريق الحق ، وقد استخدم وسائل لتحقيق ذلك ، والحق يوضح لنا وسائل إبليس ، على

(١) سورة ص - الآيات (٧٣-٨٣) .

(٢) سورة البقرة - الآيتان (١٦٨ ، ١٦٩) .

(٣) سورة النور - الآية (٢١) .

(٤) سورة الحج - الآيتان (٣ ، ٤) .

(٥) سورة النساء - الآية (١١٩) .

(٦) سورة الإسراء - الآية (٦٢) .

(٧) سورة ص - الآية (٨٢) .

لسان إبليس فقال : ﴿ وَأَضَلَّهُمْ ﴾ والإضلال معناه : أن يسلك بالإنسان سبيلاً غير مؤدٍ للغاية الحميدة ، فإن خطا الإنسان خطوة في هذا السبيل ابتعد عن تلك الغاية ، وهذا الابتعاد عنها هو الضلال البعيد ، والإضلال من الشيطان يكون بتزيينه الشر والقبح للإنسان ليبعده عن مسالك الخير والفضيلة (١) .

وقيل : "إن إضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة ، بمعنى أن يشغلهم عن الدلائل الموصلة إلى الحق والهدى" (٢) .

وقوله : ﴿ وَالْأُمْنِيَّاتُ ﴾ ، والأمني : هي أن ينصب الإنسان في خياله شيئاً يستمتع به من غير أن يخطو له خطوة عمل تقربه من ذلك ، وقيل : وعدهم الأمني الكاذبة ، وألقي في قلوبهم طول الحياة ، وأن لا بعث ولا حساب ، وقيل : التمنية في الأعمال بأن يزيل لهم الاستعجال بالذات الحاضرة والتسويق بالتوبة وبالعمل الصالح (٣) .

وقوله : ﴿ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئَنَّ آذَانَ الْإِنْعَامِ ﴾ : "أي : لأمرهم بتقطيع آذان الأنعام . قال قتادة : يعني تشقيقتها وجعلها علامة للبحيرة (٤) والسائبة (٥) كما يفعلون في الجاهلية" (٦) .

وقيل : "يشقونها لتحريم ما أحل الله ، وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب ، وإشارة إلى تحريم ما أحل ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة" (٧) .

وقوله : ﴿ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ يبين الله لنا في هذه الجملة كيف صار للشيطان أمر على هؤلاء الناس ؟ ، مع أن الأمر يجب أن يكون لله وحده ، فيأمرهم الشيطان بتغيير خلق الله عن وجهه ، وصورته ، أو صفته ، ويندرج فيه ما قيل من خصاء العبيد ،

(١) انظر : تفسير الشعراوي - ٢٦٤٣/٥ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم الشهير "بتفسير المنار" - لمحمد رضا - ٤٢٧/٥ .

(٣) انظر : صفوة التفاسير للصابوني - ٣٠٦/١ ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - لمحمد رضا - ٤٢٧/٥ .

(٤) البحيرة "جمع بحائر وبُحُر ، وهي الناقة التي كان الجاهليون يشقون أذنها إذا ولدت خمسة بطون ، وقيل : الناقة الغزيرة اللبن" الرائد - لجبران مسعود - ٣٠٨/١ .

(٥) السائبة "جمعها سئب وسوائب ، وهي الناقة التي كانت تُسبب في الجاهلية ؛ لأنها ولدت عشرة أبطن كلها إناث ، فكانت لا تُركب ولا تُمنع عن ماء أو عشب" الرائد - لجبران مسعود - ٧٩٠/١ .

(٦) صفوة التفاسير - للصابوني - ٣٠٦/١ .

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي - ٢٢٥/٢ .

والوشم^(١) ، والوشر^(٢) ، واللواط ، والسحق^(٣) ، ونحو ذلك ، وعبادة الشمس ، والقمر ،
وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام ، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على
النفس كمالاً ، ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى ، وقيل : المراد به تغيير دين الله
بالكفر والمعاصي ، وإحلال ما حرم الله ، وتحريم ما أحل .

وجرى قليل من المفسرين على أن : المراد بتغيير خلق الله تغيير دينه ، وذهب
بعضهم على أن التغيير الحسي ، وبعضهم إلى أنه التغيير المعنوي ، وبعضهم إلى ما
يشملهما ، وقال كثير منهم أن المراد : تغيير الفطرة الإنسانية بتحويل النفس عما فطرت عليه
من الميل إلى النظر والاستدلال ، وطلب الحق ، والله سبحانه وتعالى قد أحسن خلق كل
شيء خلقه ، وهؤلاء يفسدون ما خلق ، ويطمسون عقول الناس^(٤) .

وقوله : ﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ .

يعني من يواليه ويتبع وسوسته ، ويطعه ، ويترك أمر الله ، وقيل : بإيثاره ما يدعو
إليه على ما أمر الله به ، ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، إلى طاعته ، فقد خسر
خسراناً مبيناً ظاهراً في معاشه ومعاده ، إذ يكون أسير الأوهام ، والخرافات يتخبط في عمله
على غير هدى ، فيفوته الانتفاع التام بما وهبه الله من العقل ، وسائر القوى والمواهب ،
وقيل : بدل مكانه من الجنة بمكان من النار^(٥) .

* قال تعالى : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^(٦) .

(١) الوشم : جمع وُشوم ووشام ، وهو ما يكون من غرز الإبرة في البدن ، وذرّ النّيلج عليه حتى يزرق
أثره أو يخضر ، أو تغيير لون الجلد من ضربة أو سقطة . انظر : المعجم الوسيط - لمجمع اللغة
العربية - ١٠٧٧/٢ .

(٢) الوشر : "من وَشَرَ الخشبة ، يَشِرُها وشرّاً : أَشَرها بمعنى نشرها ، ونشرت المرأة أسنانها : حدّتها
ورقّقتها ، فهو وِشْر ، وهي وِشْرَة" . المعجم الوسيط - لمجمع اللغة العربية - ١٠٧٦/٢ .

(٣) السحق : من سحق الشيء يسحقه سحقاً . دقّه أشدّ الدقّ ، وقيل : السَّحْقُ الدق الرقيق ، وقيل : هو الدق
بعد الدق ، وقيل : السحق دون الدق ، سحق العين الدمع : صبّته وأسألته ، سحقه الله : أي أبعدته عن
رحمته وهو شذوذ جنسي عند النساء . انظر : لسان العرب - لابن منظور - ١٨٣/١٠ .

(٤) انظر : تفسير القرآن الكريم - لمحمد رضا - ٤٢٨/٥ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي -
٢٥٥/٢ ، صفوة التفاسير - للصابوني - ٢٠٦/١ .

(٥) انظر : تفسير القرآن الحكيم - لمحمد رضا - ٤٣٠/٥ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي -
٢٥٦/٢ .

(٦) سورة فصلت - الآية (٢٥) .

معنى قَيَّضَ : أتاح وهياً شيئاً للعمل في شيء ، والقراءة جمع : قرين ، وهو صاحب الملازم ، وقيل النظير ، والقراءة هنا : هم الملازمون لهم في الضلالة : إما في الظاهر مثل دعاة الكفر ، وإما في الباطن مثل شياطين الوسواس الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (١) ، (٢) .

والمعنى : "أي أن الله - سبحانه وتعالى - هياً بقدرته ومشيتته للمشركين ، وسلط عليهم قرناء وأصحاباً وأعواناً من الشياطين ، شياطين الإنس والجن يضلونهم بالإغواء" (٣) .

وقوله : ﴿ فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ والتريين : التحسين ، وهذا يعني أن المزين غير حسن في ذاته ، أي : زينوا لهم ما يعملونه في الدنيا من الفساد مثل عبادة الأصنام ، وقتل النفس بلا حق ، وأكل الأموال ، والاعتداء على الناس باليد واللسان ، والميسر ، وارتكاب الفواحش ، والوآد ، يغيرونهم باستحسان ذلك كله لما فيه من موافقة الشهوات ، والرغبات العارضة القصيرة المدى ، وصرفهم عن النظر فيما يحيط بأفعالهم تلك من المفسدات الذاتية الدائمة .

وقوله : ﴿ مَا خَلْفَهُمْ ﴾ من الأمور المغيبة عن الحس من صفات الله ، وأمور الآخرة من البعث والجزاء مثل الشرك بالله ونسبة الولد إليه (٤) .

وقيل : "المراد ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : ما بين أيديهم من أمر الدنيا ، وما خلفهم من أمر الآخرة ، قاله السدي ومجاهد .
والثاني : ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنة ، ولا نار ، ولا بعث ، ولا حساب ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، فزينوا لهم اللذات ، قاله الكلبي .

الثالث : ما بين أيديهم هو فعل الفساد في زمانهم ، وما خلفهم هو ما كان قبلهم .

الرابع : ما بين أيديهم ما فعلوه ، وما خلفهم ما عزموا أن يفعلوه .

ويحتمل خامساً : ما بين أيديهم من مستقبل الطاعات أن لا يفعلوها ، وما خلفهم من سالف المعاصي أن لا يتوبوا منها" (٥) .

(١) سورة الزخرف - الآية (٣٦) .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتوير - لابن عاشور - ٢٧٤/٢٤ .

(٣) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٨٧/٢٤ .

(٤) انظر : تفسير التحرير والتوير - لابن عاشور - ٢٧٥/٢٤ .

(٥) النكت والعيون - للماوردي - ١٧٨/٥ .

وقوله : ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي وجب وتحقق مقتضاه ، وهو قوله تعالى لإبليس : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

ووجب عليهم العذاب مثل ما وجب وثبت على الأمم والأقوام الماضية من جن وإنس ، التي كفرت أمثال قوم هود ، وقوم صالح - عليهما السلام - وغيرهم ، إنهم كانوا جميعاً متساوين في الخسارة ، والدمار ، والهلاك ، واستحقوا اللعن ، والخزي في الحياة الدنيا ، والآخرة (٢) .

* قال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

قوله : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أي : غلب واستعلى واستولى ، أي : بوسوسته في الدنيا ، وقيل : قوي عليهم ، وقيل : جمعهم وضمهم ، يقال : أحوذ الشيء ، أي جمعه ، وضم بعضه إلى بعض ، وقال المفضل : أحاط بهم ، والمعاني متقاربة ؛ لأنه إذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم ، واستعلى عليهم ، واستولى ، وأحاط بهم .

ومعنى الآية : أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله ، وقيل : أن يذكروا أوامره في العمل بطاعته ، وقيل : زواجه في النهي عن معاصيه ، وقيل : لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم ، والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ، ويكون بمعنى الترك ، والوجهان محتملان هنا .

وكذلك يصنع الشيطان بمن استحوذ عليه ، فعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من ثلاثة في قرية ، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة ، فإنه يأكل الذنب من الغنم القاصية) (٤) (٥) .

(١) سورة ص - الآية (٨٥) .

(٢) انظر : صفوة البيان لمعاني القرآن - لحسين مخلوف - ص ٦٠٧ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صيري - ١٨٨/٢٤ .

(٣) سورة المجادلة - الآية (١٩) .

(٤) القاصية : القضا : البعد ، والمكان الأقصى : الأبعد ، ذهبت قضا فلان ، أي : ناحيته ، وأقصيته : أبعدته ، وقصوت البعير فهو مقصوٌّ ، قطعت طرف أذنه ، وناقاة قصواء ، ولا يقال : بعير أقصى ، والقصية من الإبل : المودعة الكريمة لا تُجهد ولا تُركب ، وقصوت عن القوم أقصو : إذ تباعدت . انظر : مجمل اللغة - لابن فارس - ٧٥٥/٣ .

(٥) سنن النسائي - كتاب الإمامة - باب التشديد في ترك الجماعة - ص ١٤٠ - رقمه ٨٤٧ - قال الألباني : حسن .

والإشارة بقوله : "أولئك" إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات ، "حزب الشيطان" أي جنوده وأتباعه ورهطه .

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي : في بيعهم ؛ لأنهم باعوا الجنة بجهنم ، وباعوا الهدى بالضلالة ، وقيل : الكاملون في الخسران ، حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران ؛ لأنهم باعوا الجنة بالنار ، والهدى بالضلال ، وكذبوا على الله وعلى نبيه ، وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة ، وفوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد ، وعرضوها للعذاب المخلد (١) .

المطلب الرابع : اتباع سوء الظن بالله

إن سوء الظن ليس من شيم المؤمنين المتقين ؛ لأنهم يحسنون الظن بالله ، قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أَرُءُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٢) .

أما غير المؤمنين فإنهم يقعون في هذا المحذور الذي نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿وَيُعَدِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣) .

وفي غزوة الأحزاب ظن المنافقون بالله ظنونا ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا تصدر إلا من منافق معلوم النفاق ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (٤) .

وفي صلح الحديبية ظن المنافقون في المدينة أن الرسول ﷺ والمؤمنين لن يعودوا إلى أهلهم أبداً ، قال تعالى : ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبِّينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (٥) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ١٧/١٩٨ ، فتح البيان في مقاصد القرآن - لصديق القفوجي - ٣٢/١٤ .

(٢) سورة الحاقة - الآيات (١٩-٢٢) .

(٣) سورة الفتح - الآية (٦) .

(٤) سورة الأحزاب - الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٥) سورة الفتح - الآية (١٢) .

وفي غزوة أحد كان للمنافقين دور في سوء الظن بالله ، مما دعاهم إلى أن يخذلوا ويتراجعوا عن مواجهة جيش قريش ، قال تعالى : ﴿ ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴾ (١) .

ولذلك نهى الله عباده المؤمنين أن يقعوا في كثير من الظن ، وكأنه قد أباح لهم ظن السوء بأهل السوء ، ونهاهم عن ظن السوء بالله وبأهل الخير .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... ﴾ (٢) .

ومع ذلك النهي من أبي إلا أن يسيء الظن بالله ؛ فقد خسر رضوان الله والجنة ، وخسر الدنيا والآخرة ، وخسر نفسه وأهله .

* قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

وجاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن مسعود قال : كان رجلان من ثقيف ، وختن^(٤) لهما من قريش ، أو رجلان من قريش ، وختن لهما من ثقيف في بيت ، فقال بعضهم : أترون الله يسمع نجوانا أو حديثنا ؟ فقال بعضهم : قد سمع بعض ولم يسمع بعض ، قالوا : لئن كان يسمع بعض لقد سمع كله ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

وبسند آخر عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : "كنت مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة أنفار ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، قرشي وختناه ثقيفان ، أو ثقيفي وختناه قرشيان ، فنكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال بعضهم : أترون الله سمع كلامنا هذا ،

(١) سورة آل عمران - الآية (١٥٤) .

(٢) سورة الحجرات - الآية (١٢) .

(٣) سورة فصلت - الآيتان (٢٢-٢٣) .

(٤) ختن : الختن كل من كان من قبل المرأة مثل الأب ، والأخ ، وهم (الأختان) هكذا عند العرب ، وأما العامة فختن الرجل عندهم : زوج ابنته . انظر : مختار الصحاح - لمحمد الرازي - ص ١٦٩ ، أساس البلاغة - للزمخشري - ص ١٠٣ .

(٥) انظر : لباب النقول في أسباب النزول - للسيوطي - ص ٢٩١ ، أسباب النزول - للنيسابوري - ص ٢٨٩ .

فقال الآخر : إذا رفعنا أصواتنا سمع ، وإذا لم نرفع لم يسمع ، وقال الآخر : إن سمع منه شيئاً سمعه كله ، قال : فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزل عليه : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وأما معنى الآية : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

هذه الآية تجوز أن تكون من قول الله - سبحانه وتعالى - وفيها تفرقة وتوبيخ للذين كانوا يظنون أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأعمال التي يفعلونها خفية ، وتجوز أن تكون من قول الجلود لأصحابها ، أي : ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة حذراً من شهادة الجوارح عليكم ، حيث إنهم كانوا يستترون بالجدران والحيطان ، ويحتجبون عند ارتكاب الفواحش ، ولم يخطر على بالهم أن هذه الجوارح ستشهد على فعلتهم يوم القيامة ، وما كنتم تستخفون من هؤلاء الشهود الذين يشهدون عملكم ، وارتكابكم الفواحش والمعاصي ، ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية ، وقيل : يعني الاستتار ، الاتقاء : أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة ، فتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة .

وقيل : إن الاستتار مضمن معنى الظن : أي وما كنتم تظنون أن تشهد ، وهو بعيد (٢) . وقوله : ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ "فيها إشارة إلى سوء ظنهم بالله ﷻ ، وأنهم كانوا يظنون أن الله سبحانه وتعالى لو كان يعلم ما يعملون في جهر ، فإنه لا يعلم ما يُسرون من أقوال ، وأعمال ، ولهذا استتروا وهم يأتون المنكرات من أعمالهم وأقوالهم ، ولكن الله أراهم كذب هذا الظن وبطلانه ، فأنتطق - سبحانه وتعالى - جلودهم التي لا يبدوا منها أي عمل ، وكانت ألسنة فصيحة ، تتطق بكل ما كان منهم من مشاعر وأحاسيس وخلجات ... " (٣) .

وقوله : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

هذه الآية فيها إشارة إلى الظن السيء الذي ذكرته الآية السابقة والمعنى : "أن ظنكم بأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أهلككم فأوردكم النار ، قال قتادة : الظن هنا بمعنى العلم ،

(١) أسباب النزول - للنيسابوري - ص ٢٩٠ .

(٢) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٥٨٦/٤ ، المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٨٣/٢٤ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب - ١٣٠٦/٢٤ - بتصرف .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله صلى الله عليه وسلم)^(١) ، فذلك قوله : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ .

وقال الحسن البصري : إن قوماً ألتهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ، ويقول أحدهم : إني أحسن الظن بربي وكذب ، ولو أحسن الظن لأحسن العمل ، وتلا قول الله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ... ﴾ ، وقال قتادة : من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل ، فإن الظن اثنان ، ظن يُنجي ، وظن يُردي ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية : هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ، ولا يتوبون منها ، ويتكلمون على المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس " ، ثم قرأ : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ... ﴾ " (٢) .

وقوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي : "الكاملين في الخسران ، أي : خسرتم الدنيا والآخرة ، وخسرتم السعادة ، وخسرتم أنفسكم وأهلكم" (٣) .

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت -

ص ١١٧٦ - رقمه ٧٢٣١ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب السنة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ٢٣٠/١٥ .

(٣) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ١٨٤/٢٤ .

الفصل الثالث

سبل الوقاية من الخسارة

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : تحقيق الإيمان والتوحيد .
- المبحث الثاني: القيام بالأعمال الصالحة .
- المبحث الثالث: اجتناب المنهيات .
- المبحث الرابع : الالتزام بالمأمورات .

المبحث الأول تحقيق الإيمان والتوحيد

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : الإيمان بالله وآياته ورسوله .
- المطلب الثاني : الإيمان بالبعث والحساب .
- المطلب الثالث : الإيمان بالغيب والقدر .
- المطلب الرابع : إخلاص النية لله .
- المطلب الخامس : دوام الاستقامة .

الفصل الثالث

سبل الوقاية من الخسارة

بعد أن انتهينا من بيان أسباب الخسارة بالشرح والتوضيح والبيان ، كان لا بد لنا من وقفة على سبل الوقاية التي هي بمثابة الذراع الحامي ، والواقى للإنسان من الوقوع في الخسارة ، وهذه السبل هي الطرق التي تصل بالإنسان إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ، وهي متمثلة في أربعة مباحث متنوعة بمطالبها ، منها ما يتعلق بالإيمان والتوحيد ، ومنها القيام بالأعمال الصالحة ، ومنها اجتناب المنهيات ، ومنها الالتزام بالمأمورات .

وستتناول هذه السبل بالشرح والبيان ، لتوضح للإنسان مدى أهميتها ، ويتخذها وقاية له من الوقوع في الخسارة ، ولذلك كان المثل المشهور : " درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج " (١) .

المبحث الأول

تحقيق الإيمان والتوحيد

أول سبيل من سبل الوقاية من الخسارة يدور حول تحقيق الإيمان والتوحيد ، وهذا المبحث من أخطر المباحث شأناً ، وأعظمها قدراً ؛ لأنه أصل الأصول في النظام العام لحياة المسلم بكاملها ، فالإيمان هو الذي أمرنا الله أن نلتزم به ، ونحققه في حياتنا ؛ لأنه السبيل إلى فلاحنا يوم القيامة ، ونجاتنا من نار جهنم - والعياذ بالله - لقول النبي ﷺ :
(... لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ...) (٢) .

والله - سبحانه وتعالى - حصر الإيمان فيمن التزم الدين كله باطناً وظاهراً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ .

(١) قالوا في المثل - موسوعة في الأمثال والحكم السائرة نثراً وشعراً - عيسى عطا الله - ١٥٥/١ .

(٢) سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - باب ومن سورة التوبة - ص ١٩٦٤ - رقمه

٣٠٩٢ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) سورة الأنفال - الآيات (٢-٣) .

(٤) سورة السجدة - الآيات (١٥ - ١٧) .

والإيمان الكامل هو الإيمان الشامل لكل من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقضاء خيره وشره ، والإيمان بالغيب ، والبعث ، والحساب ، عن ابن عباس ؓ قال : (إن وفد عبد القيس ... أمرهم النبي ﷺ بأربع ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : (أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ...) (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) .

فالإيمان فرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان (٣) .

"وكل أعمال الإسلام بمثابة الثمرة للتوحيد الذي هو - بمعناه العقدي - سبيل الفلاح ، وسعادة الأبد ، وأساس لقبول الأعمال ، ووسيلة لمغفرة الذنوب - وبمعناه العام - هو شرط في نجاح الأعمال ، وانطلاقها في همة وانتظام ، إذ الطائفة إن لم تتوحد قيادتها سقطت ، والسموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (٤) .

ومن تحقق الإيمان في قلبه حقاً فقد نال أجره كاملاً لقوله تعالى : ﴿ ... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) .

وفاز فوزاً عظيماً ، وكان من المفلحين ، ونال ما وعده الله - سبحانه وتعالى - به يوم القيامة من نيل رضوان الله ورحمته ، ودخول جنته ، لقوله تعالى : ﴿ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب أداء الخمس من الإيمان - ص ٦ - رقمه ٥٣ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) سورة البقرة - الآية (١٧٧) .

(٣) انظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - لحافظ حكمي - ٥٩٧/٢ ، ٦٠٠ .

(٤) شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة - عبد الكريم تتان ، ومحمد الكيلاني - ١٢١/١ .

(٥) سورة البقرة - الآية (٦٢) .

(٦) سورة الفتح - الآية (٥) .

الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ .

وتحقيق الإيمان والتوحيد ببرزه - إن شاء الله - من خلال المطالب التالية ليظهر لنا فوز المؤمن الموحد وفلاحه ، وبالتالي فإنه يتقي الخسارة في الدنيا والآخرة :

المطلب الأول : الإيمان بالله وآياته ورسوله

من رحمة الله بعباده أنه أنار لهم طريق الهداية ، ودعاهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار ، المستحق بالعبادة دون غيره ، والإيمان بآياته ، والإيمان برسوله جميعاً - صلوات الله عليهم وسلامه - لأنهم عباد الله المختارون من قبل الله ، لتبليغ رسالاته وبيانها لعباده ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

فالإيمان هو السبيل الوحيد لنجاة الإنسان من الوقوع في الخسارة ، والنجاة يوم القيامة مما هو أشد وأهول لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

والمؤمن إيماناً حقاً هو الذي يستجيب لدعوة ربه ، ويسارع إليها ، ويخلص في إيمانه ودينه ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (٦) .

لأنه يدرك أن الإيمان هو سبيل نجاته في الدنيا والآخرة ، وبه ينال الفلاح والفوز يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى ... ﴾ (٧) .

(١) سورة البقرة - الآية (٢٥) .

(٢) سورة المائدة - الآية (٦٧) .

(٣) سورة المائدة - الآية (٦٩) .

(٤) سورة يونس - الآية (١٠٣) .

(٥) سورة الأنفال - الآية (٢٤) .

(٦) سورة الشورى - الآية (٢٦) .

(٧) سورة الرعد - الآية (١٨) .

وستتناول الآيات التي تبين لنا أن من يؤمن بالله وآياته ورسله سيكون جزاءه الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة منها ما نفسره ونبينه ، ومنها ما نستشهد به - إن شاء الله - وفي ذلك كمال النجاة من الخسارة في الدنيا والآخرة .

* قال تعالى : ﴿ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

شهادة وتخصيص من الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية لرسوله على صحة إيمانه ، وأنه حازم في أمره غير شك ، والمراد إيمانه بذلك إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام المذكورة ، وفائدة هذه الأخبار أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان ، حيث مُدح به رسوله ﷺ ، والمؤمنون جميعاً آمنوا بالله وحده من غير شريك له .
وتغير سبك النظم الكريم عما قبله ، لتأكيد الإشعار لما بين إيمانه ﷺ المنبئ عن المشاهدة والعيان ، وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان ، والإيمان بالملائكة ، من حيث إنهم عباد مكرمون ، معصومون ، ومطهرون : ﴿ ... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢) ؛ (٣) .

والإيمان بكتبه ورسله من حيث مجيئهما من عند الله تعالى ، على وجه يليق بشان كل منهما لإرشاد الخلق إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي ، من غير تفرقة بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان ، بل نؤمن بجميعهم (٤) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ "هذه الآية حكاية لامثالهم بالأوامر ، إثر حكاية إيمانهم ، فقالوا سمعنا بأذان قلوبنا ، وعلمنا صحته ، وتيقنا أن كل تكليف ورد بواسطة الرسول إلينا حق ، وأطعنا أمرك وقبلناه عن طوع ، واجتنبنا عن نهيك ، فنطلب غفرانك يا رب لذنوبنا ، فإليك الرجوع بالبعث والموت لا إلى غيرك" (٥) .

* قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٦) .

(١) سورة البقرة - الآية (٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة - الآية (٦) .

(٣) انظر : المقتطف من عيون التفاسير - المنصوري - ٢٩٥/١ .

(٤) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - ٤٧٨/١ ، التسهيل لعلوم التنزيل - الكلبي - ١٣٣/١ .

(٥) المقتطف من عيون التفاسير - المنصوري - ٢٩٦/١ .

(٦) سورة الجاثية - الآية (٣٠) .

يخبر الله تعالى عن حكمة في خلقه يوم القيامة فقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي : آمنت قلوبهم ، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة ، وهي الخالصة الموافقة للشرع) فيدخلهم في رحمته وهي الجنة ، عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (... فقال للنار ! أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت ، وقال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من شئت) (١) .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أي : البين الواضح ، إن عفا الله عنك بتلك الرحمة ستكون مسروراً مع المسرورين ، بأبدان قد طهرت ، ووجوه قد أشرفت وأنارت ، فهي كالبرد ، قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس ، ذلك هو الفوز المبين" (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يُذَوِّقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) .

إن كما نرى فهذا جزاء من آمن بالله - سبحانه وتعالى - وعمل ما يرضى الله عنه ويقبله ، فلم يخب الله ظنه ، فنال العبد ما تمنى دون أن ينقص شيئاً من أجره لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٤) .

وتستمر مكافأة الله - سبحانه وتعالى - لعباده المؤمنين يوم القيامة بالفوز وبمغفرة الله ، ورضوانه ، ودخول جنته .

* قال تعالى : ﴿ تَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥) .

تهتف الآيتان بالذين آمنوا ، تهتف بهم إلى أرباح تجارة في الدنيا والآخرة ، تجارة الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله .

(١) سنن الترمذي - كتاب صفة الجنة عن رسول الله - باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار - ص ١٩٠٩ - رقمه ٢٥٦١ - قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) في رحاب التفسير - لكشك - ٥٥٣٨/٦ - بتصرف .

(٣) سورة الدخان - الآيات (٥١-٥٧) .

(٤) سورة مريم - الآية (٦٠) .

(٥) سورة الصف - الآيتان (١١ ، ١٢) .

ثم يعقب الله على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والترزين بقوله :
﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

ثم يفصل هذا الخير الذي سينالونه ، بغفران ذنوبهم ، ودخول جنات تجري من تحتها الأنهار ، والعيش في قصور عالية مريحة في جنات إقامة ، فذلك فوز لهم لا فوز وراءه (١) .

وقال تعالى أيضاً : ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (٣) .

وتتوالى الآيات في بيان جزاء هؤلاء المؤمنين والمؤمنات الذين آمنوا وأطاعوا الله دون مماطلة أو تهرب لقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (٤) ، واستجابة الله لدعائهم وطلبهم ؛ لأنهم أخلصوا في إيمانهم وسارعوا لتلبية النداء ، وقوله تعالى : ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٥) .

فهذه أفضل مكافأة ينالها المؤمنون والمؤمنات بدخول الجنة ، والتتعم بنعيمها ، ومغفرة الله - سبحانه وتعالى - والتكفير عن سيئاتهم ، فهذا فوز عظيم لهم ما بعده فوز .
وكما ندرك بأن المفلحين في الدنيا والآخرة هم من يتبعون طريق الهداية ، ويؤمنون بالله - سبحانه وتعالى - ، وبما أنزله على رسله - عليهم الصلاة والسلام - إذن هؤلاء على

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٥٥٩/٢٨ .

(٢) سورة التغابن - الآية (٩) .

(٣) سورة البروج - الآية (١١) .

(٤) سورة آل عمران - الآيات (١٩٣-١٩٥) .

(٥) سورة الفتح - الآية (٥) .

هدى من ربهم ، لا يعصونه ، ويتبعون ما أمرهم به أن يتبعوه .
* قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

والمراد بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين يؤمنون بالنبى - عليه الصلاة والسلام - والقرآن ، من أهل الكتاب ، فيؤمنون بالقرآن الذي يُتلى ، المنزل على النبى ﷺ ويؤمنون بالتوراة والإنجيل ، وسائر الكتب السالفة ، إيماناً إجمالياً لا تفصيلاً ، ويؤمنون بالدار الآخرة ، وهي دار الجزاء على الأعمال ، والإيمان بها يتضمن الإيمان بكل ما ورد فيها بالنصوص المتواترة كالحساب ، والميزان ، والصراف ، والجنة ، والنار (٢) .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ذكر الحرف "على" في الآية يدل على تمكنهم من الهدى ، واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به ، بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه .

وقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : الظافرون بما طلبوا ، الناجون مما هربوا ، فالفلاح إدراك البغية ، والمفلح : الفائز بالبغية بعد سعي في الحصول عليها ، واجتهاد في إدراكها ؛ كأنه انفتحت له وجوه النظر ، ولم تستغل عليه (٣) .

* وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٤) .
تحدث الآية عن من تاب وآمن بالله - سبحانه وتعالى - وعمل صالحاً في دنياه ، وما ينتظره من الرجاء في الفلاح يوم القيامة (٥) .

قوله : ﴿ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ أي : "الفائزين بالمطلوب عنده تعالى ، و"عسى" للتحقيق على عادة الكرام ، أو للترجي من قبل الطالب ، أي : راجياً الفلاح من ربه الكريم" (٦) .

(١) سورة البقرة - الآيتان (٤ ، ٥) .

(٢) انظر : تفسير المراغي - ٤٣/١ .

(٣) انظر : الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ٦٨/١ .

(٤) سورة القصص - الآية (٦٧) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٧٠٦/٢٠ .

(٦) المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ١٥٨/٤ .

المطلب الثاني : الإيمان بالبعث والحساب

أركان الإيمان في الإسلام كثيرة ، منها الإيمان بالبعث والحساب ، والله - سبحانه وتعالى - أمرنا أن نؤمن بالبعث ، أي : إعادة بناء الأجساد بعد فنائها ، وإعادة الحياة لها بعد سلبها منها ، فالبعث أمر واقع لا محالة ، وليس ذلك ببعيد ولا مستغرب على قدرة الله الذي خلق السموات والأرض ، وخلقهنَّ أكبر من خلق الناس .

وأليس الذي ابتدع خلق الإنسان على غير مثال سابق ، بقادر على إعادة كل فرد من أفراد نوعه ، بعد موته وفناء جسده ؟ بلى إنه لقادر لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

فواجبنا نحن المؤمنين أن نسمع ونطيع ، ونؤمن بالبعث ، الذي تعود فيه الحياة المادية للمخلوقات الحية التي قرر الله عودة الحياة إليها ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٣) . وذلك استكمالاً لأنظمة الله في الخلق ، وليقم الله في هذه الحياة الثانية عدله ،

ويتم فضله ، ويحقق الثمرة الفضلى للابتلاء الذي جعل ميدانه الحياة الأولى الفانية ، ولقد تمت إرادة الله المرافقة لعلمه وحكمته بأن يخلق عالمين : عالماً فانياً ، وهو عالم الدار الدنيا التي نحن الآن فيها ، وهي دار الامتحان ، وعالماً آخر خالداً ، هو عالم الدار الآخرة ، وهي دار الجزاء (٤) .

حيث يحاسب كل إنسان بعد بعثه ، وحشره بين يدي الله - سبحانه وتعالى - على أعماله التي فعلها في الحياة الدنيا الفانية بعد إخبار الله له بذلك لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا... ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٦) .

ويوم الحساب عبر القرآن عنه باليوم الآخر ، وأرشد إلى أنه خاتمة المطاف بالإنسان ، وأن إليه تنتهي الغاية من خلق الإنسان ، فنتعرض جميعاً لمرحلة الحساب من

(١) سورة الروم - الآية (٢٧) .

(٢) سورة البقرة - الآية (٥٦) .

(٣) سورة الحج - الآية (٧) .

(٤) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن الميداني - ص ٦٤٩ .

(٥) سورة المجادلة - الآية (٦) .

(٦) سورة التغابن - الآية (٧) .

قبل الله ، وذلك للفصل بين الخلائق ، وإقامة الحكم بالعدل ، ولتقرير مرتبة الإكرام والفضل ، تمهيداً لمقتضى الجزاء المقرر بموجب قانون الجزاء الرباني ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (١) .

فمن أحسن فأمن بالله وأطاع ، واستقام على شريعته في الدار الدنيا - دار الامتحان - فقد أعد الله له في الدار الآخرة - دار الجزاء - السعادة الأبدية الخالدة ، والنعيم المقيم ، مكافأة منه وفضلاً ، ومن أجرم فكفر بالله وعصى في دار الامتحان ، فقد أعد الله له في الدار الآخرة العقوبة والانتقام ، جزاءً منه وعدلاً ، لقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٣) ، (٤) .

إذن واجبنا أن نؤمن بالبعث والحساب ، لنكون من الفائزين المفليحين يوم القيامة ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

هاتان الآيتان تذكر بعض صفات المتقين ، منها أنهم يؤمنون بما أنزل على النبي ﷺ ألا وهو القرآن ، ويؤمنون بما أنزل على الأنبياء من قبله وهي الكتب السالفة .

ومنها أنهم يؤمنون بالآخرة في قوله : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي : يوقنون بالبعث والنشور ، وسائر أمور الآخرة من دون شك .

وقد أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي : يصدقونك بما جئت به من الله ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم ، ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ إيماناً بالبعث ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والحساب ، والميزان (٦) .

(١) سورة الغاشية - الآيتان (٢٥ ، ٢٦) .

(٢) سورة الشورى - الآية (٢٠) .

(٣) سورة الزلزلة - الآيتان (٧ ، ٨) .

(٤) انظر : الإسلام عقيدة وشريعة - لمحمود شلتوت - ص ٤١ ، العقيدة الإسلامية وأسسها - لعبد الرحمن الميداني - ص ٦٥٠ .

(٥) سورة البقرة - الآيتان (٤ ، ٥) .

(٦) انظر : فتح القدير - للشوكاني - ٣٦/١ .

وخاتمة الآية ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ "هي التي تربط الدنيا بالآخرة ، والمبدأ بالمصير ، والعمل بالجزاء ، والتي تشعر الإنسان أنه ليس مهملاً ، وأنه لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدى ، وأن العدالة المطلقة في انتظاره ، ليطمئن قلبه ، وتستقر بلابله ، وفيء إلى العمل الصالح ، وإلى عدل الله ورحمته في نهاية المطاف ، واليقين بالآخرة بلا تردد ولا تأرجح في هذا اليقين ، الذي هو مفرق الطريق بين مَنْ يعيش بين جدران الحصن المعلقة ، ومَنْ يعيش في الوجود المديد الرحيب ، بين مَنْ يشعر أن حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود ، ومَنْ يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء ، وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك ، وراء هذا الخير الصغير المحدود" (١) .

وقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي : "هؤلاء الموصوفون بتلك الصفات الحميدة على هدى عظيم من ربهم ، وأي هداية أعظم من تلك الصفتين المذكورتين في الآيتين المتضمنة للعقيدة الصحيحة ، والأعمال المستقيمة ، وهل الهداية في الحقيقة إلا هدايتهم ، وما سواها مما خلفها ، فهي ضلالة .

وأتى بـ "على" في هذا الموضع من الآية ، للدلالة على الاستعلاء ؛ لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى ، مرتفع به ، وصاحب الضلالة منغمس فيه محتقر ، فلذلك يؤتى في الضلالة بـ "في" وليس "على" كما في قوله تعالى : ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) .

ثم قال : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، وحصر الفلاح فيهم ؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلك سبيلهم ، وما عدا تلك السبيل فهي سبل الشقاء والهلاك ، والخسارة التي تفضي بسالكها إلى الهلاك " (٣) .

وهؤلاء المؤمنون المتقون دائماً يكونون حريصين على الإتصاف بالصفات الحميدة التي توصلهم إلى الفوز والفلاح يوم القيامة ، فيؤمنون بكل ما أمرهم الله به كما أخبر الله بذلك عنهم في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ *
﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤) .

وكذلك اهتدوا وكذلك أفلحوا ، والطريق للهدى والفلاح هو الطريق المرسوم .

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٤١/١ - بتصرف .

(٢) سورة سبأ - الآية (٢٤) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص ٢٤ .

(٤) سورة لقمان - الآيتان (٤ ، ٥) .

المطلب الثالث : الإيمان بالغيب والقدر

القرآن الكريم تحدث عن عالم آخر غير العالم المعروف والمدرك لدينا ، ألا وهو عالم الغيب الذي لا نراه بحواسنا في الحالات العادية .

وكل ما غاب عن حواسنا جميعاً أو إدراكنا ، نعلم به من خلال إخبار الله - سبحانه وتعالى - عنه في القرآن الكريم ، وإخبار النبي ﷺ عنه في السنة النبوية ، فلذلك لا يجوز لنا إنكار العالم الآخر ، لكونه غير مرئي أو مدرك ، وإنما لا بد من الإيمان به إيماناً حقيقياً كما أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بذلك .

فمثلاً وجود الله : فإله - سبحانه وتعالى - غير مرئي ، ولكنه موجود ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

وأما الجنة والنار: فقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز بأن هناك جنة وناراً ، هناك نعيم للمتقين ، والمؤمنون هم الذين يستجيبون لما أمرهم الله به ، وهناك عذاب أليم للكافرين الذين أعرضوا عن أوامر الله .

فوصف الله للمؤمنين الجنة ، وبين ما يجدوا فيها ، لقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ وَلَئِن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(٥) .

وكذلك وصف النار وعذابها ، قال تعالى : ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾^(٦) ، وقال أيضاً : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾^(٧) .

(١) سورة العنكبوت - الآية (٦١) .

(٢) سورة آل عمران - الآية (١٩٠) .

(٣) سورة يونس - الآية (١٠١) .

(٤) سورة الرعد - الآية (٣٥) .

(٥) سورة الرحمن - الآيات (٤٦ - ٥٥) .

(٦) سورة الواقعة - الآيات (٤٢ - ٤٤) .

(٧) سورة الهمزة - الآيات (٤ - ٧) .

والمسلمون يعتقدون بوجود مخلوقات غيبية عنا ، لا نراها بحواسنا في الحالات العادية ، ومنها **الملائكة** ، فقرر القرآن الكريم فيهم أنهم عالم غيبي ، وليس مادياً من طبيعته أن يبرزَ في العالم المادي لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

والجن مخلوقات غيبية كذلك أخبر الله - سبحانه وتعالى - عنها في كتابه العزيز ، وكذلك النبي ﷺ إخباراً بشكل قاطع لا يحتمل التأويل ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ (٣) .

وقد خصص الله سورة كاملة ذكر فيها قصة نفر منهم استمعوا للقرآن من تلاوة الرسول ، فأمنوا ثم ولّوا إلى قومهم منذرين وهي " سورة الجن " (٤) .

" أما الروح التي بها حياة الإنسان ، فلم يرد عنها في القرآن سوى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٥) ، وقوله أيضاً : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ (٦) .

وغاية ما يدل عليه ذلك أنها شيء يبعثه الله في جسم الإنسان فتكون به حياته ، وإذا انتهى أجله خرج من جسمه فكان موته ، أما حقيقة ذلك الشيء فقد ترك القرآن بيانها ، ومع ذلك لا يمنع العلماء من البحث في أوصافها .

فالروح مما استأثر الله بعلمه ، وأنها ليست من عالم المادة التي يستطيع العقل البشري أن يدرك حقيقتها ببعثه ونظره " (٧) .

أما الإيمان بالقدر : إن من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ، عن أبي هريرة ؓ قال : كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه جبريل ، فقال :

-
- (١) سورة الإسراء - الآية (٩٥) .
(٢) سورة الأنبياء - الآيات (٢٦، ٢٧) .
(٣) سورة الذاريات - الآيات (٥٦، ٥٧) .
(٤) انظر : الإسلام عقيدة وشريعة - محمود ثلثوت - ص (٢٩) ، العقيدة الإسلامية وأسسها - لعبد الرحمن الميداني - ص (٢٨١) .
(٥) سورة الحجر - الآية (٣٩) .
(٦) سورة الواقعة - الآيات (٨٣، ٨٤) .
(٧) الإسلام عقيدة وشريعة - لثلثوت - ص (٣٣) .

(ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسوله ، وتؤمن بالبعث ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ^(١) ، حدثنا أبو داود عن شعبة عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر) ^(٢) .

وكما نعلم أن كل موجود سوى الله تعالى ، وصفاته الجليلة ، هو أثر من آثار قدرته جل وعلا ، خلقه وأبدعه على غير مثال سبق ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ^(٣) .

وهكذا فإن المؤمن العاقل متى صح فهمه لحقيقة القضاء والقدر ، وامتلاً قلبه عقيدة بأن كل ما يجري له من نعم ، وما ينزل به من مصائب ، هو أمر محتوم مرسوم ، وهو مراد الله تعالى ، مقضي بقضائه ، محدد بتقديره ، منفذ بقدرته ، وراقب مع ذلك صفات الله العظيمة التي منها : علمه وحكمته ، ورحمته وعدله ، ثم وضع بين عينه قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) .

إنه متى آمن بهذا وفهمه فهماً صحيحاً اطمأن قلبه لكل ما يجري في الكون مما لا كسب له فيه ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ ^(٥) .

ورضي بمراد الله مهما كان ذلك الأمر محزناً أو مرأ ، وانتقل من الأكوام إلى مكوئها ، فارتقي في سلم محبة الله والقرب منه ^(٦) .

والمسلمون واجبههم الإيمان بالغيب والقدر بالقدر الذي أخبر عنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية إخباراً لا يحتمل التأويل ، فإن تحقق الإيمان حقاً في قلوبهم ، فقد نالوا رضی الله تعالى ، والفوز والفلاح يوم القيامة .

(١) سبق تخريجه - ص (٦٢) .

(٢) سنن الترمذي - كتاب القدر عن رسول الله - باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره - ص ١٨٦٧ - رقمه ٢١٤٥ - قال أبو عيسى : حديث أبو داود عن شعبة عن علي أصح من حديث النظر - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) سورة القمر - الآيتان (٥٠،٤٩) .

(٤) سورة البقرة - الآية (٢١٦) .

(٥) سورة التوبة - الآية (٥١) .

(٦) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها - الميداني - ص (٨٠١) .

* قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

إن الله - سبحانه وتعالى - يكشف في هذه الآيات عن صفات المتقين الذين ينتفعون بالقرآن وهدية فيقول : هم الذين يؤمنون بالأمور الغيبية متى قام الدليل عليها ، ولا يقفون عند الماديات والمحسوسات ، يؤمنون بما وراء المادة ، وتشمل الجنة والنار ، والبعث بعد الموت ، وبيوم القيامة ، ولفائه ﷺ ، وعذاب القبر ، والحشر ، وغيرها ، وهؤلاء يسهل عليهم فهم القرآن والانتفاع به ؛ لأن نور الإيمان شع في قلوبهم ، فامتلت طاعة ورحمة ، ولذا كان من صفاتهم إقامة الصلاة ، إذ هي مظهر الطاعة ، والإيتان بها كاملة مقومة بشروطها وآدابها ، والإنفاق في سبيل الله من زكاة ، وصدقة ، مظهر من مظاهر الرحمة بالإنسان ، وركن من أركان الإسلام .

وهم يؤمنون بالله وما أنزل على النبي ﷺ وما أنزل على الأنبياء والمرسلين من قبله ، وآمنوا كذلك بالآخرة إيماناً يقينياً لا شبهة فيه ولا شك .

إذن لا غرابة في أن يكون هؤلاء ذوي مكانة عالية عند الله يشار إليهم ، متمكنين من هدايتهم ، وأولئك البعيدون في مرتبة الكمال هم الفائزون في الدارين (٢) .

"فمدحهم الله تعالى وبشرهم بالثواب العظيم ، والفوز ، وخلوهم في الجنة ، فهم على رشاد وبيان وبصيرة من الله - سبحانه وتعالى - وهم الفائزون عند الله لأعمالهم العظيمة وإيمانهم المتين بالله وكتبه ورسوله" (٣) .

ويقول محمد أبو زهرة : "أكد - سبحانه وتعالى - ذلك الفلاح الذي ينالونه بالجملة الإسمية ، فالتعبير بالجملة الإسمية يدل على دوام الفلاح ، وأنه دائم بدوام من يعطيه ، وهو رب العالمين ، وأكد بتعريف الطرفين ، وهما اسم الإشارة ، الذي يدل على القصر ، أي : أنهم هم المفلحون وهدم دون غيرهم ، فهم قد خلصت قلوبهم وعقولهم ، وكل مداركهم للحق جل جلاله ، وفاضوا بخيرهم ، وتحملوا المشاق في سبيلهم ، وآمنوا بكل الرسالات ، ولم يطمعوا بغير أن يعُدُّوا أنفسهم لحكم ربهم" (٤) .

(١) سورة البقرة - الآيات (٣ - ٥) .

(٢) انظر : التفسير الواضح - لحجازي - ١٤/١ .

(٣) المبصر لنور القرآن - نائلة صبري - ٥٤/١ .

(٤) زهرة التفاسير - ١١٤/١ - بتصرف .

المطلب الرابع : إخلاص النية لله

من الإيمان تحقيق الإخلاص في الأقوال والأفعال ، والإنسان المؤمن مطالب من الله - سبحانه وتعالى - بتحقيق الإخلاص في أقواله ، وأفعاله ، وعباداته ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾^(١) ، وجاء في أكثر من آية من سورة الزمر يأمر الله - سبحانه وتعالى - فيها المؤمنين بالإخلاص في العبادة لله - سبحانه وتعالى - لقوله تعالى : ﴿ ... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾^(٤) ، وما دام هذا أمر من الله ، إذن لا بد من الأخذ به وتنفيذه سمعاً وطاعة منا .

والنية جزء أساسي في كل ما يقوم به الإنسان ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنما الأعمال بالنيات ...) ^(٥) ، فكل إنسان يعطى على قدر نيته ، كما قال أبو العباس وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - "إنما يعطى الرجل على قدر نيته" ، فإن أخلص النية فاز ونال ، وكافأه الله فحماء ووقاه من أن يكون للشيطان عليه سبيل وسلطان لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾^(٦) .

واعترف الشيطان بهذه الحقيقة لقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾^(٧) ، ^(٨) .
وقوله : ﴿ ... وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٩) .

(١) سورة البينة - الآية (٥) .

(٢) سورة الزمر - الآية (٢) .

(٣) سورة الزمر - الآية (١١) .

(٤) سورة الزمر - الآية (١٤) .

(٥) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - باب بدء الوحي - ص ١ - رقمه ١ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب السنة .

(٦) سورة الإسراء - الآية (٦٥) .

(٧) سورة ص - الآية (٨٢) .

(٨) انظر : خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة - د. فضل عباس - ص ٥٧٣ .

(٩) سورة النساء - الآية (١٤٦) .

وندرك أن الشوائب المكدرة للإخلاص متفاوتة ، ومنها الرياء وغيرها من حظوظ النفس ، ويصعب تنقية القلب من هذه الشوائب ؛ لأن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب التقرب إلى الله تعالى ، لذلك قيل : من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا ، وذلك لعزة الإخلاص ، ومن لم يخلص النية لله تعالى فقد خسر وخاب (١) .

إذن فواجب المؤمنين طاعة الله - سبحانه وتعالى - وتحقيق الإخلاص في حياتهم الدنيا لينالوا الأجر ، ويحوزوا على الفوز والفلاح يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ قَاتِ دَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .
والخطاب في هذه الآية موجه للنبي ﷺ والمراد به أمته ، فيأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه ، ومن تبعه من المؤمنين بإعطاء القرابة حقوقهم من الصلة والعطف عليهم ومساعدتهم ، وإعطاء المعدم الذي لا مال له ، أو له شيء ولكن لا يقوم بكفايته ، وإعطاء المسافر المحتاج نفقة سفره ، فهذه هي أخلاق الإسلام في المؤاخاة والتكافل والتراحم والتعاون (٣) .

وكل ذلك خير للذين يريدون ذات الله - سبحانه وتعالى - أو جهة القرابة منه بإخلاصه في الإعطاء ، فإن من أنفق ألوفاً رياء وسمعة ، لم ينل درجة من أفق رغيماً لوجه الله - سبحانه وتعالى - ، فهؤلاء هم المفلحون الفائزون بالنعيم المقيم ، وبمطلوبهم من الثواب في الآخرة (٤) .

المطلب الخامس : دوام الاستقامة

الاستقامة جزء من الدين ، حيث إن الدين الإسلامي له جانبان : جانب نظري وهو الإيمان إذا وقر في القلب ، وجانب عملي وهو تنفيذ التكليف أمراً ونهياً ، إذن نصل من ذلك إلى أن الاستقامة هي العمل بأعمال الشريعة ، أو لزوم منهج الله الذي بينه في كتابه أو بينه النبي ﷺ في سنته .

والآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية خير شاهد على ذلك لقوله تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) انظر : منهاج المؤمن - د. مصطفى مراد - ص ٣٥٠ .

(٢) سورة الروم - الآية (٣٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم - لشحاتة - ٤١٥٣/٢١ .

(٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد - للنيسابوري - ٢٦٩١/٢١ .

(٥) سورة فصلت - الآيتان (٣٠ ، ٣١) .

يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ ، وقول النبي ﷺ وقد سأله أحد أصحابه - رضوان الله عليهم -
يا رسول الله : قل لي قولاً في الإسلام لا أسأل عليه أحداً غيرك ، فيقول ﷺ : (قل آمنت بالله
ثم استقم) (٢) .

ولكون الاستقامة هي الجانب العملي لهذا الدين فقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى -
بالاستقامة وتحقيقها في حياتنا لقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمُّوا كَمَا أُمِرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكُمْ ... ﴾ (٣) ،
وقوله : ﴿ ... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ... ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمُّوا كَمَا أُمِرْتُمْ وَلَا
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾ (٥) ، (٦) .

إذن نسمع ، ونطيع ، وننفذ ، لنيل الفلاح والفوز يوم القيامة ، وسوف أشرح آية
ليبين جزاء من أطاع الله بالأخذ بالاستقامة وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ (٧) .

"هذه الآية تبيِّن حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة وذلك جزاء
ما فعلوه من الاعتراف بربوبية الله تعالى ، والإقرار بوحديته ، ثم استقاموا
ومنها خمسة أوجه :

أحدها : ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده ، وهو قول أبي بكر ﷺ ومجاهد .

الثاني : استقاموا على طاعته وأداء فرائضه ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة ﷺ .

الثالث : على إخلاص الدين والعمل إلى الموت ، قاله أبو العالية والسدي .

الرابع : ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم .

الخامس : ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً .

ويحتمل سادساً : أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي ؛ لأن

التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ، ونهي عن معصية يدعو إلى

الرهبة" (٨) .

(١) سورة الأحقاف - الآيتان (١٣ ، ١٤) .

(٢) مسند أحمد - ١٤٢/٢٤ - رقمه ١٥٤١٧ - قال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٣) سورة هود - الآيات (١١٢ - ١١٥) .

(٤) سورة فصلت - الآية (٦) .

(٥) سورة الشورى - الآية (١٥) .

(٦) انظر : خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة - د. فضل عباس - ص ١٤٦ .

(٧) سورة فصلت - الآيتان (٣٠ ، ٣١) .

(٨) النكت والعيون - للماوردي - ١٧٩/٥ - بتصرف .

فجزاؤهم أنهم تنتزل عليهم الملائكة ، قيل : عند الموت ، قاله مجاهد وزيد ابن أسلم ^(١) والسدي ، وقيل : عند خروجهم من قبورهم للبعث ، وقيل : تنتزل عليهم يمدونهم فيما يعين ، ويطراً لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام ، فلا تخافوا على ما أمامكم ، ولا تحزنوا على ما خلفكم ، أو لا تخافوا الموت ، ولا تحزنوا على أولادكم ، فإله يذهب عنهم الخوف والحزن كما جاء أيضاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(٢) ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدونها في الدنيا على السنة الرسل عليهم السلام ، وقوله : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ أي : أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق ، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم .

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ نمدكم بالشفاعة ، ونتلقاكم بالكرامة ، ولكم في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من فنون الملاذ ، وما تتمنونه ، أو تدعي أنه لك ، فهو لك بحكم ربك ^(٣) .

(١) زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني ، ابن عم ثابت بن أقرم ، شهد بدرأ ، وقيل : قتله طليحة بن خويلد الأسدي يوم بُراخة أول خلافة أبي بكر . انظر : أسد الغابة - لابن الأثير - ١٣٥/٢ .

(٢) سورة الأحقاف - الآية (١٣) .

(٣) انظر : روح المعاني - للألوسي - ١٨٦/١٣ ، النكت والعيون - للماوردي - ١٨٠/٥ .

المبحث الثاني القيام بالأعمال الصالحة

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول: أداء العبادات .
- المطلب الثاني : حسن المعاملات .
- المطلب الثالث : الجهاد بالمال والنفس واللسان .
- المطلب الرابع : التزام الأخلاق والسلوكيات الصالحة .
- المطلب الخامس : فعل القربات .

المبحث الثاني القيام بالأعمال الصالحة

الإنسان الذي يعيش على سطح الأرض لا بد أن يقوم بعدة أعمال ، والأعمال نوعان : منها الأعمال السيئة ، ومنها الأعمال الصالحة الحسنة .

وأى عمل من هذين العملين يقوم به الإنسان سوف يحاسب عليه يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

ولا يستويان أبداً من قام بفعل الأعمال الصالحة ، ومن قام بفعل الأعمال السيئة ، فشتان بين هذا وهذا ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤) .

وعلى الإنسان أن يخلص أثناء قيامه بأعماله الصالحة ، وأن يبتغي بها وجه الله - سبحانه وتعالى - ، أما إذا كان الأمر غير ذلك فإنه لا يقبل منه ، قال رسول الله ﷺ : (من تعلم علماً يبتغي به وجه الله ﷻ ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ، يعني ربحها) (٥) .

ولكن الإنسان المؤمن التقي حريٌّ به القيام بالأعمال الصالحة ، بل هو حريصٌ على أن يقوم بها سواء أكانت عبادات ، أم معاملات ، أم أخلاقيات ، أم فعل القربات ، التي تقربه من الله - سبحانه وتعالى - ؛ لأنه يعلم بأنها أعمالٌ يرضى عنها الله ﷻ ، بل سوف يكافئه الله - سبحانه وتعالى - على تلك الأعمال وهذه المكافئة بمثابة الفوز والفلاح له في الدنيا والآخرة .

(١) سورة فصلت - الآية (٤٦) .

(٢) سورة الجاثية - الآية (١٥) .

(٣) سورة غافر - الآية (٥٨) .

(٤) سورة الجاثية - (٢١) .

(٥) سنن أبو داود - كتاب العلم - باب في طلب العلم لغير الله تعالى - ص ٥٥٤ - رقمه ٣٦٦٤ - قال الألباني : صحيح .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (٣) .

وكما قلنا سابقاً بأن الأعمال الصالحة كثيرة ومتنوعة ، لذا سوف نبرزها من خلال المطالب التالية ، ونبين الفوز والفلاح والثواب الذي يناله من يقوم بذلك ، وبالتالي فإنه يتقني الخسارة في الدنيا والآخرة .

المطلب الأول : أداء العبادات

حقاً على الإنسان أن يفهم أنه قد جيء به على هذه الأرض ؛ ليكون عابداً لله ، وليمارس ضروب العبادة الواعية المشروعة ، فهو ما جيء به عبثاً ليمر في الحياة بغير حساب ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤) .

وهذه الآية تعني : أن الله ما خلق الثقلين " الجن والإنس " إلا ليكفهم بعبادته ، وعبادته هي : طاعته بفعل المأمور ، وترك المحذور ، وتلك هي حقيقة دين الإسلام ؛ لأن معنى الإسلام هو الاستسلام له المتضمن غاية الانقياد ، في غاية الذل والخضوع (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦) ، والعبادة لا تكون إلا لوجه الله - سبحانه وتعالى - ومهمة الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - دعوة جميع البشر إلى عبادة الله وحده ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٨) ، وغيرها الكثير من الآيات القرآنية التي تبين المهمة التي قام بها الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - على أكمل وجه في

(١) سورة الجاثية - الآية (٣٠) .

(٢) سورة القصص - الآية (٦٧) .

(٣) سورة الكهف - الآيتان (١٠٧، ١٠٨) .

(٤) سورة الذاريات - الآية (٥٦) .

(٥) انظر / تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - لسليمان عبد الوهاب - ص (٤٧) .

(٦) سورة التوبة - الآية (٣١) .

(٧) سورة الأنبياء - الآية (٢٥) .

(٨) سورة المؤمنون - الآية (٢٣) .

الدعوة إلى الله وحده لا شريك له .

وهناك نقطة مهمة لا بد من التركيز عليها ، وهي أن العبادة في مفهومها الشامل ليست محصورة في بعض الممارسات مثل الصلاة والصيام والحج والزكاة ... إلخ ، بل العبادة ذات مفهوم بعيد شامل واسع ، لا يقتصر على بعض الجوانب في الإسلام دون غيرها ، وذلك يعني : شمول العبادة لكافة التصرفات ، والممارسات إذا كانت تقترب بالنوايا المبيته الهادفة ، ذلك أن أي عمل مهما كان في ظاهره عظيماً ، فإنه في ميزان الإسلام يعتبر هباءً بغير وزن ، وضياعاً بغير اعتبار إذا لم يقترن بالقصد والنية المبيتين طلباً لمرضاة الله - سبحانه وتعالى - ، فقال الله في عمل الكافرين الذين يعملون الأعمال لغير وجهه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّاهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (٢) ، عن عمر بن الخطاب ؓ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ...) (٣) .

فالعبادة في حقيقتها وجوهرها قمة الرقي ، وإن من أرقى الممارسات في الحياة أن يعبد الإنسان ربه ، وأن يهتدي بهديه سبحانه ، فهذا الرقي الذي تسمو به النفس البشرية ، لتعلو على الأهواء والنوازع والشهوات ، ورقي يحفظ للمسلم توازنه ، وليمضي في الحياة متكاملًا لا يطغى فيه جانب على جانب (٤) .

والمؤمن لا بد أن يداوم على العبادات ، ويحرص على أدائها على أكمل وجه ، ويخلص نيته في ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ، من أجل أن ينال الفوز والفلاح يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ

(١) سورة النور - الآية (٣٩) .

(٢) سورة الفرقان - الآية (٢٣) .

(٣) سبق تخريجه - ص (١٢٩) .

(٤) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية "مدخل إلى الدين الإسلامي" - د. أمير عبد العزيز - ص (٢٨٥، ٢٩١)

(٥) سورة البينة - الآية (٥) .

(٦) سورة غافر - الآية (٦٥) .

لِلزَّكَاةِ فَاعْلَمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأُوجُهِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ ،
وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ،
وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣﴾ وغيرها من الآيات .

وسوف نتناول آية بالشرح والبيان لمعرفة الثواب والأجر الذين ينالهما من يحرص
ويداوم على العبادة .

* قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ ،
تتحدث هذه الآية عن صفات المؤمنين الذين زكت نفوسهم ، وطهرت سرائرهم ، وما أعده
لهم من الثواب الدائم ، والنعيم المقيم .

فقال الله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ﴾ ، يعني : المؤمنون تجمعهم الأخوة ،
وتؤلف بينهم المودة ، والتعاون ، يلتقون على الإيمان بالله ، والولاء له ، والاستجابة
لرسوله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فنلك سبيل المؤمنين ، وذلك هو حبل الله الذي يعتصمون به ، ويشدّون
أيديهم عليه .

ثم ذكر الله ما يكون لهم من حسن العاقبة وعظيم الجزاء على جميل أعمالهم فقال :
﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : أن الله - سبحانه وتعالى - يتعهدهم برحمته في الدنيا والآخرة ،
باستمرارهم على طاعته ، وطاعة رسوله ، ولجئوا إلى الله ، والتمسوا مرضاته ،
وأخلصوا القول والعمل له ، فلذلك المؤمن محفوف برحمة الله دائماً ، ولولا هذه الرحمة لما
كان من المؤمنين ، الذين دعاهم الله إلى الإيمان ، وهداهم إليه ، وأمسك بهم على طريقه .

(١) سورة المؤمنون - الآيات (١-١١) .

(٢) سورة الحج - الآية (٧٧) .

(٣) سورة لقمان - الآيتان (٤،٥) .

(٤) سورة التوبة - الآية (٧١) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : أنه تعالى عزيز لا يمتنع عليه شيء من وعده ولا وعيده ، " حكيم " في قضائه بين عباده ، وحكمه فيهم ، فيجزي المحسنين بإحسانهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم ، ويأخذ المسيئين بما عملوا إن شاء ، أو يتوب عليهم ، كل ذلك عن قدرة متمكنة ، وعزة غالبية ، وحكمة بالغة ، سبحانه عزّ فحکم ، لا معقب لحكمه ، ولا منازع لسلطانه (١) .

المطلب الثاني : حسن المعاملات

التعامل بين الناس جميعاً واقعٌ ضروريٌّ لا محالة منه ، ولوجوب التعامل بينهم بيّن الله - سبحانه وتعالى - الأسس التي لا بد أن يقوم عليها هذا التعامل ، فقرر الله تعالى أن يدور التعامل بينهم على أساس المحبة والتعاون والرحمة والألفة ... إلخ ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) .

إذا يدعو الإسلام إلى حسن المعاملة بين الناس جميعاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) (٣) ، فإفشاء السلام يولد المحبة والتآلف ، والاطمئنان بينهم ، وحسن المعاملة تُعدُّ من الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في حياته الدنيا ، ويثاب عليها يوم القيامة بنيل الأجر والفلاح والفوز على ذلك .

والمعاملات الحسنة شاملة لجوانب عدة ، فقد تكون في : البيع والشراء ، والإقراض وحسن الأداء ، وترك الربا .

وحسن المعاملة أيضاً تكون : بين الزوج والزوجة ، والأبناء ، والأرحام ، والأقارب ، والوالدين ، والجيران ... الخ .

وعلى سبيل المثال : نورد الآيات القرآنية الشاملة للحديث عن الإحسان للوالدين ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ... ﴾ (٥) ،

(١) انظر : تفسير المراغي - ١٦٠/٤ ، التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب - ٨٤٢/٣ .

(٢) سورة المائدة - الآية (٢) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها - ص ٦٨٩ - رقمه ١٩٤ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب السنة .

(٤) سورة الإسراء - الآية (٢٣) .

(٥) العنكبوت - الآية (٨) .

وقال : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : (من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك) (٢) .

وعن حسن المعاملة مع الأقارب بزيارتهم ، ومودتهم ، ومساعدتهم في السراء والضراء ، والإنفاق عليهم ، قال تعالى : ﴿ ... وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ... ﴾ (٣) .
وقوله تعالى : ﴿ فَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

يوجه الله - سبحانه وتعالى - الخطاب إلى النبي ﷺ في هذه الآية ، والمراد بها أمته ، فيأمره بإعطاء القريب على حسب قربه وحاجته حقه الذي أوجبه الشارع له ، أو يحض عليه ، من النفقة الواجبة ، والصدقة ، والهداية ، والبر ، والسلام ، والإكرام ، والعفو عن زلته ، والمسامحة عن هفوته ، وكذلك آت المسكين الذين أسكنه الفقر والحاجة ما تزيل حاجته ، وتدفع به ضرورته ، من إطعامه وسقيه وكسوته ، وكذلك الغريب المنقطع في غير بلده ، الذي هو مظنة شدة الحاجة ، وأنه لا مال معه ، ولا كسب يدبر نفسه به في سفره ، وإيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل خير عزيز ، وثواب كثير ؛ لأنه من أفضل الأعمال الصالحة ، والنفع المتعدى ، الذي وافق محله ، المقرون به الإخلاص .
والذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله هم الفائزون بثواب الله ، الناجون من عقابه (٥) .

المطلب الثالث : الجهاد بالمال والنفس واللسان

الله - سبحانه وتعالى - من رحمته بالعباد ، حتى يكونوا أعزة ، وتكون لهم مكانة ، ورهبةً عند أعداء الإسلام ، وحتى يتخلصوا من الذلة المضروبة عليهم من قبل أعداء الإسلام

(١) سورة لقمان - الآية (١٥) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب من أحق الناس بحسن الصحبة - ص ٥٠٦ - رقمه ٥٩٧١ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) سورة البقرة - الآية (١٧٧) .

(٤) سورة الروم - الآية (٣٨) .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص ٥٨٦ .

والمسلمين ، لذا أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بالجهاد ، لقوله تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴾^(٢) ، وقوله أيضاً : ﴿ ... اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣) .

وعلى المؤمن أن يسمع ويطيع وينفذ أمر الله لتتحقق له العزة على الكافرين والمنافقين ، وأن يجاهد في سبيل الله بيده ولسانه وبماله ، وبكل وسيلة مشروعة ، ويمضي حتى يستشهد في سبيل الله ، وهو لا يخاف في الله لومة لائم ، فهو إذن من المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم مع الله لقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾^(٤) .

وليكون جهاده خالصاً لا بد أن يتحرر من حب الحياة ، ويزهد في الدنيا ، وتكون لديه جراءة على الموت في سبيل الله حتى يتحقق الجهاد .

وأنواع الجهاد عديدة منها : جهاداً باللسان ، جهاداً تعليمي ، جهاداً باليد والنفس ، جهاداً سياسي ، جهاداً مالي .

وسنركز على ثلاثة أنواع من الجهاد (بالمال ، والنفس ، واللسان) ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)^(٥) .

فالجهد المالي من أهم أنواع الجهادات ؛ لأن الجهاد بدون مال يتعطل ، لذلك قرن الله الجهاد بالمال بالجهاد بالنفس فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ﴾^(٦) .

ومن أنفق ماله في سبيل الله فله أجر عظيم عند الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف)^(٧) .

(١) سورة التوبة - الآية (٤١) .

(٢) سورة التوبة - الآية (٧٣) .

(٣) سورة المائدة - الآية (٣٥) .

(٤) سورة الأحزاب - الآية (٢٣) .

(٥) سنن أبو داود - كتاب الجهاد - باب كراهية ترك الغزو - ص ٣٨٠ - رقمه ٢٥٠٤ - قال الألباني : صحيح .

(٦) سورة التوبة - الآية (١١١) .

(٧) سنن الترمذي - كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله - باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله - ص ١٨١٩ - رقمه ١٦٢٥ - قال أبو عيسى في الباب عن أبي هريرة : هذا حديث حسن - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

والمسلمون درجات ، فمنهم من يستطيع أن يجاهد بماله فقط ، ومنهم من يستطيع أن يجاهد بنفسه فقط ، ومنهم من يستطيع أن يجاهد بلسانه فقط ، ومنهم بعلمه فقط ، ومنهم من يستطيع أن يجاهد بكل أنواع الجهاد ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها (١) .

ومن جاهد بأي نوع من الأنواع فقد نال أجراً عظيماً عند الله ، وحاز على الفلاح والفوز يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلِبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وسوف نشرح آية تبيين من خلالها فوز وفلاح المجاهد في سبيل الله يوم القيامة .
* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

يأمر الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية عباده المؤمنين بتقواه ، أي : اتقوا سخط الله وعقابه بامتنال أمره ، واجتناب نهيه ، فإن عذاب الله لا يتقى إلا بالتقوى ، وأن يطلبوا إليه القربة ، أي : تقربوا إليه بفعل ما يحب ، وترك ما يكره ، تفوزوا بالقرب منه ، والظفر بثوبته في الجنة (٥) .

"ولما أمر الله تعالى المؤمنين بترك المحارم ، وفعل الطاعات ، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم ، والتاركين للدين القويم ، فقال : "جاهدوا في سبيله" والجهاد من الجهد : وهو المشقة والتعب ، وسبيل الله : هي طريق الحق والخير والفضيلة ، والحرية للأمة ، والجهاد في سبيل الله يشمل جهاد النفس بكفها عن أهوائها ، وحملها على العدل في جميع الأحوال ، وجهاد الأعداء الذين يقاومون دعوة الإسلام ، وغيره .

ورغبهم الله تعالى بما أعدده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة ، فقال : "لعلكم تفلحون" أي : إن جاهدتم وتقربتم إلى الله بطاعته ، حققتم

(١) انظر : جند الله ثقافة وأخلاقاً - لسعيد حوى - ص ٤١٣ .

(٢) سورة الصف - الآيتان (١١ ، ١٢) .

(٣) سورة الأنفال - الآية (٤٥) .

(٤) سورة المائدة - الآية (٣٥) .

(٥) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٥٠٧/١ .

الفوز والفلاح ، وسعادة الدنيا والآخرة ، والمسلم مطالب دائماً بالجهاد بمختلف أنواعه ؛ لأن فعل الحسنات ، وترك السيئات شاق على النفس" (١) .

المطلب الرابع : التزام الأخلاق والسلوكيات الصالحة

من الأعمال الصالحة التي لا بد أن يقوم بها الإنسان ، التزام الأخلاق والسلوكيات الصالحة ، والأخلاق قسمان : أخلاق كريمة ، وأخلاق ذميمة .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى تزكية النفوس وتطهيرها ، حتى تكون كريمة الأخلاق ، نبيلة السجايا ، فلم تدع خلقاً كريماً إلا رغبت فيه ، كالصدق ، والوفاء بالعهد ، والجد ، والصبر ، والتقوى إلى غيرها من الأخلاق الكريمة ، ولم تدع خلقاً ذمياً إلا حذرت منه كالكذب والبخل والتجسس والنميمة إلى غيرها من الأخلاق الذميمة ، بل إن جميع الأحكام الشرعية تدور مع الأخلاق حيث دارت ، فلا ترى حكماً شرعياً يعارض الأخلاق ويصادمها ، وحسبك أن الله أثنى على عبده ورسوله محمد ﷺ بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) .

فالنبي ﷺ أحسن الناس خلقاً ، فهو الأسوة والقوة ، لنا جميعاً حيث بلغ بأخلاقه الكريمة منازل عالية .

والأخلاق الكريمة تدعو إليها الفطرة السليمة ، فالبشر كانوا ولا يزالون يعدون الصدق والوفاء بالعهد والجد والشجاعة والصبر أخلاقاً فاضلة ، يستحق صاحبها الثناء والتكريم ، ولا يزالون يعدون الكذب والغدر والجبن أخلاقاً سيئة ، ترفضها العقول السليمة وتذم صاحبها ، والشريعة جاءت داعية إلى المعروف من الأخلاق والسلوكيات الصالحة ، وتتهى عن المنكر منها ، فدعا الحق عباده إلى المبادرة إلى رحمته وجنته التي أعدها للمتقين من عباده ، وأول صفاتهم تحليهم بالأخلاق الفاضلة ، من الإنفاق في حال اليسر والعسر ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس في قوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٤) .

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - للزحيلي - ١٧١/٦ .

(٢) سورة القلم - الآية (٤) .

(٣) سورة آل عمران - الآيتان (١٣٣ ، ١٣٤) .

(٤) سورة البقرة - الآية (١٧٧) .

وكذلك رغب النبي ﷺ باتباع الأخلاق الحميدة ، وحذر من كل خلق ذميم ، فالخير الحقيقي في ميزان الرسول ، الخلق الحسن ، عن النواس بن سمعان الأنصاري قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطَّلع عليه الناس) (١) .

والخلق سبيل الارتقاء إلى مدارج الكمال ، عن النبي ﷺ : (إن من خيركم أحسنكم خلقاً) (٢) ، وأيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وأطفهم بأهله) (٣) .

وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة أحسن المؤمنين خلقاً ، فعن النبي ﷺ : (إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إليّ ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة : الثرثارون ، والمتشدقون (٤) ، والمتفهبون ، قالوا : يا رسول الله ؟ قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفهبون ؟ قال : المتكبرون) (٥) .

والمؤمن هو من يلتزم بأوامر الله - سبحانه وتعالى - ويتحلى بالأخلاق الحميدة ، ويبتعد عن نواهيه ، ويتجنب الأخلاق الذميمة (٦) .

فإن صار على ذلك فقد فاز وأفلح يوم القيامة ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - أخبرنا بذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ ... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٨) .

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والأدب - باب تفسير البر والإثم - ص ١١٢٦ - رقمه ٦٥١٦ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً - ص ٥١٠ - رقمه ٦٠٢٩ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٣) سنن الترمذي - كتاب الإيمان - باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان - ص ١٩١٥ - رقمه ٢٦١٢ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) المتشدقون : أصلها من شَدَقَ ، ويقال : هو أشدق : أي واسع الشدقين ، ومن المجاز : خطيب أشدق : أي مفوه كليم ، وتشدق في كلامه : أي تشبه بالأشدق تفصلاً ، انظر : أساس البلاغة - للزمخشري - ص ٢٣١ .

(٥) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في معاني الأخلاق - ص ١٨٥٣ - رقمه ٢٠١٨ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٦) انظر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة - د. عمر الأشقر - ص ٢٥٠ .

(٧) سورة المؤمنون - الآية (١) .

(٨) سورة البقرة - الآية (١٨٩) .

وسأتناول آية بالشرح والبيان والتفصيل لإظهار الفوز والفلاح والثواب الذي يناله من يلتزم بالأخلاق الفاضلة ، وفي ذلك الوقاية من الخسارة في الدنيا والآخرة .

* قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(١) .

تبين هذه الآية الجزاء الذي يليق بالصدق والصادقين ، الذين التزموا بهذا الخلق الحميد ، فيقول الله تعالى يوم القيامة عقب جواب عيسى عليه السلام مشيراً إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمريتهم ، "قال الله هذا يوم" أي : يوم القيامة "ينفع الصادقين صدقهم ، ومعنى نفع الصدق صاحبه في ذلك اليوم ، أن ذلك اليوم هو يوم الحق ، فالصادق ينتفع فيه بصدقه ؛ لأن الصدق حسن ، فلا يكون له في الآخرة إلا الأثر الحسن .

والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون إلى ذلك ، والأمم المصدقون لهم ، المعتقدون بهم قولاً وعملاً ، لهم نعيم دائم ، وثواب خالد ، وهو الفوز الكبير ، رضي الله عنهم بالطاعة ، ورضوا عنه بنيل الكرامة والرضوان ، وهو فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ، ولذلك قال تعالى : " ذلك " أي : نيل الرضوان " هو الفوز العظيم " أي : النجاة الوافرة ، وحقيقة الفوز نيل المراد ، وقد عظم الفوز لعظم شأن المطلوب ، الذي تعلق به الفوز ، وهو الرضى الذي لا مطلب وراءه أصلاً^(٢) .

المطلب الخامس : فعل القربات

القربات هي كل ما يتقرب به العبد إلى الله - سبحانه وتعالى - من أجل نيل رضوانه والفوز برحمته وجنته لقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾^(٣) ، والقربات شاملة لأصناف عديدة من الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٤) .

(١) سورة المائدة - الآية (١١٩) .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير - لابن عاشور - ١١٨/٧ ، روح البيان في تفسير القرآن - لإسماعيل البروسوي - ٤٧٤/٢ .

(٣) سورة الإسراء - الآية (٥٧) .

(٤) سورة التغابن - الآية (٩) .

والمؤمن هو أشد الناس حرصاً على فعل ما يتقرب به إلى الله - سبحانه وتعالى - للفوز والفلاح يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِئِدِ خَلُّهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ومن يريد أن يتقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بأي شيء من الطاعات والأعمال الصالحة لا بد أن يخلص في قرباه لتقبل منه ، فابني آدم ﷺ كانا أول من قرباً قرباناً إلى الله - سبحانه وتعالى - فتقبل من أحدهما لأنه أخلص في قرباه ، ولم يتقبل من الآخر ، قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن رسول الله ﷺ أنه قال : (قال الله ﷻ : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ، والله ! الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهراً) (٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحببته ، فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله الذي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ...) (٤) .

وسأشرح آية المائدة التي تبين الفلاح والفوز الذي يحققه من تقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بطاعته وأعماله الصالحة .

* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

(١) سورة التوبة - الآية (٩٩) .

(٢) سورة المائدة - الآية (٢٧) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في الحز على التوبة والفرح بها - ص ١١٥٣ - رقمه ٦٩٥٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب التواضع - ص ٥٤٥ - رقمه ٦٥٠٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٥) سورة المائدة - الآية (٣٥) .

يأمر الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين بأن يتقوه في كل ما يأتون ، وما يذرون ، وأن يطلبوا لأنفسهم ثوابه والزلفى منه ، وكل ما يتوسلون به إلى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي ، والوسيلة : ما يتوسل ويتقرب به إلى الغير ، توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل ، وفي القرآن الكريم اسم لكل ما يتوصل به إلى مرضاة الله تعالى ، من علم ، وعمل .
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (... ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)^(١) ، وهي منزلة في الجنة ، فقال عطاء : الوسيلة أفضل درجات الجنة^(٢) .

" والبشر حين يشعرون بحاجتهم إلى الله ، وحين يطلبون عنده حاجتهم يكونون في الوضع الصحيح للعبودية أمام الربوبية ، ويكونون بهذا في أصلح أوضاعهم ، وأقربها إلى الفلاح " ^(٣) .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾ بمحاربة أعدائه البارزة والباطنة بما أمكنكم في طاعته تعالى ، وبكف أنفسهم عن الأهواء الفاسدة .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ بنيل النعيم المؤبد والخالص من كل نكد ^(٤) .

إن تقوى الله ، وطلب القربة منه بفعل الطاعات ، والأعمال الحسنة ، والجهاد في سبيله مما يوصل الإنسان إلى الفوز والفلاح يوم القيامة ، بنيل رضوان الله ، والحصول على رحمته ، ورجنته ، فذلك لا بد على المؤمن أن يحرص على فعل هذه الأمور ، وفعل كل ما يقربه من الله - سبحانه وتعالى - ، وهذا مما يقي الإنسان خسارة الدنيا والآخرة .

(١) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأل الله له الوسيلة - ص ٧٣٨ - رقمه ٨٤٩ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) انظر : روح البيان في تفسير القرآن - لإسماعيل البروسوي - ٣٩٣/٢ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٣٤/٢ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٨٨١/٦ .

(٤) المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٣٥/٢ .

المبحث الثالث

نماذج من اجتناب المنهيات

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول: اجتناب الشرك بالله .
- المطلب الثاني : اجتناب الفساد .
- المطلب الثالث : اجتناب الظلم .
- المطلب الرابع : اجتناب أكل الربا .
- المطلب الخامس : اجتناب الشح .

المبحث الثالث نماذج من اجتناب المنهيات

لقد نهى الله ﷻ عن أمور لا يرضاها لعباده ، فحذرهم منها وتوعدهم على فعلها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ... ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ... ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾ (٣) .

وقد وعد الله الذين يجتنبون المنهيات بتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنته ، قال تعالى : ﴿ إِنْ مَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٤) .

ولذلك أمر الله باجتنباب الشرك ، والفساد ، والظلم ، وأكل الربا ، والشح وغيرها مما

سنبينه فيما يلي :

المطلب الأول : اجتناب الشرك بالله

"أفزع أنواع الأمراض التي تبلى بها الحياة البشرية الشرك بالله ؛ لأنه إعطاء الروبوية لغير مستحقها ، وتقديم أنواع من العبودية لمن لا يستأهلها ، ثم هو تمزيق وتشنيت للقلب البشري ، فلا يتوجه بعد ذلك إلى جهة واحدة في العبودية والتلقي ، ولا ينطلق في الحياة عن مشكاة واحدة ، ولا بصيرة شاملة ، فتراه يتعبد لحجر أو شجر أو كون أو إنسان أو مجتمع ، ثم تتابع حلقات الانحراف" (٥) .

ولعظم الإشراك بالله - سبحانه وتعالى - نهانا الله من الوقوع فيه ، وأمرنا باجتنبابه بعبادة الله وحده لا شريك له ، لقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ (٦) ، وقال أيضاً : ﴿ ... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ ... قُلْ إِنَّمَا أُمرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ ﴾ (٨) ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ، لقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

(١) سورة غافر - الآية (٦٦) .

(٢) سورة الممتحنة - الآية (٩) .

(٣) سورة المجادلة - الآية (٨) .

(٤) سورة النساء - الآية (٣١) .

(٥) المستخلص في تركية النفوس - لسعيد حوى - ص (١٨٨) .

(٦) سورة النساء - الآية (٣٦) .

(٧) سورة البقرة - الآية (٢٢) .

(٨) سورة الرعد - الآية (٣٦) .

بَعِيدًا ﴿١﴾ ، وقوله تعالى : ﴿... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢) .

وكذلك حذرنا النبي ﷺ منه ، حيث قال النبي ﷺ : (اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقيل له : كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ فقال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه) (٣) .

وعد النبي ﷺ الشرك من أكبر الكبائر ؛ لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، وحجب متلاطمة لا يقر لها قرار ، فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق ، وهو لا يعبد المخلوق إلا جلباً لفائدة أو دفعاً لضرر .

واعتبر النبي ﷺ الشرك من السبع الموبقات ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) ، قيل : يا رسول الله ! ، وما هن ؟ قال : (الشرك بالله ...) (٤) .

والحياة التي يهيمن عليها الشرك وظلمات الإلحاد ، لهي حياة بهيمية ، تعافها النفوس الزكية ، وتأنفها الطباع الإنسانية ، وهذه المخلفات التي تتركها وراءها رواسب الشرك والوثنية تعوق مسيرة الحياة ، وتخالف السنن الكونية (٥) ، لذلك نهى الله - سبحانه وتعالى - والنبي ﷺ من الوقوع في الشرك بأنواعه المختلفة لما له من مفسد وأضرار كثيرة تعود على الإنسان ، والمؤمن هو الذي يكون حريصاً على نفسه من الوقوع في الشرك لنيل الثواب والأجر بقاء الله يوم القيامة ، والحصول على رحمته ورضوانه ، ومغفرته والفوز بجنته .

* قال تعالى : ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٦) .
وسبب نزول هذه الآية : "قال ابن عباس : نزلت في جندب بن زهير العامري ، وذلك أنه قال : إني أعمل العمل لله ، فإذا أطلع عليه سرنى ، فقال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، ولا يقبل ما روي فيه) فأنزل الله تعالى هذه الآية .
وقال طاووس : قال رجل : يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني ! فأنزل الله تعالى هذه الآية .

(١) سورة النساء - الآية (١١٦) .

(٢) سورة المائدة - الآية (٧٢) .

(٣) مسند أحمد - ٣٨٣/٣٢ - رقمه ١٩٦٠٦ - قال الأرنؤوط : إسناده ضعيف والحديث صحيح .

(٤) سبق تخريجه - ص (٦١) .

(٥) انظر : مصرع الشرك والخرافة - لخالد علي الحاج - ص (١٧٤) .

(٦) سورة الكهف - الآية (١١٠) .

وقال مجاهد : جاء رجل إلى النبي فقال : إني أتصدق ، وأصل الرحم ، ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى ، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه ، فيسرنى ذلك ، وأعجب به ، فسكت رسول الله ، ولم يقل شيئاً صالحاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) .

وذكر في كتاب " لباب النقول في أسباب النزول " ، "عن طاووس^(٢) قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني أفف أريد وجه الله ، وأحب أن يرى موطني) ، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية .

وعن ابن عباس قال : قال جندب بن زهير : إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له ، فزاد في ذلك لمقالة الناس له فنزلت في ذلك ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾^(٣) .

قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾ ، فالخطاب موجه إلى النبي ﷺ فيأمر الله - سبحانه وتعالى - أن يقول لهم بعد ما بينه الله شأن كلمته إنما أنا بشر، لا أدعي الإحاطة بكلماته سبحانه ، فيوحي إلي من تلك الكلمات ، وبهذا تميزت عنكم ، وأمره أن يخبرهم أن الله إله واحد لا شريك له في الخلق ، ولا في سائر أحكام الألوهية ، فمن يرجو حسن لقاء ربه ، وقيل : رؤيته تعالى كما هو حقيقة اللفظ .

وقوله : ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي : خالصاً فيما بينه وبين الله تعالى ، لا يريد به إلا وجه الله ، وقوله : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي : لا يخلط ولا يرئى ، وقيل : لا يشرك إشراكاً جلياً ولا إشراكاً خفياً كما يفعله أهل الرياء ، وقال سعيد بن جبير : فمن كان يرجو أي : من كان يرجو ثواب ربه فلا يشرك به أحداً^(٤) .

فنسأل الله أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، أن يخصنا بالمغفرة ، والفضل في يوم الدين ، إنه ذو الفضل العظيم .

(١) أسباب النزول - للنيسابوري - ص(٢٣٠) .

(٢) طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم ، الفارسي ، يقال : ابن ذكوان ، وطاووس لقب ، ثقة فقيه ، فاضل ، مات سنة ست ومائة ، وقيل : بعد ذلك . انظر : تقريب التهذيب - ص ٢٨١ .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول - للسيوطي - ص(٢٨٧) .

(٤) انظر : بحر العلوم - للسمرقندي - ٣١٥/٢ ، المقتطف من عيون التفاسير - للمنصوري - ٢٨٧/٣ .

المطلب الثاني : اجتناب الفساد

إن الفساد جريمة عظيمة ، نهى الله عنها نهياً جازماً ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾^(٢) ، وقد جعل الله الفساد صفة للمنافقين الذين يظهرون بمظهر الصلاح ، وهم المفسدون حقيقة ، والفساد لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(٤) ، وقد جعل الله صفة الفساد لليهود أيضاً ، فقال تعالى : ﴿ ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٥) ، وقد نصح قوم قارون هذا الملك المفسد بترك الفساد ، قال تعالى : ﴿ ... وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٦) ، ولذلك جعل الله الدار الآخرة ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار والخسران للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

* قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٧) .

"عن علي ؓ أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال ، يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبقال والبيع ، فيفتح عليه القرآن ، ويقرأ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ ويقول : نزلت هذه في أهل العدل والتواضع ، في الولاية ، وأهل القدرة من سائر الناس ، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ؓ نحوه"^(٨) .

قوله : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ إشارة تعظيم كأنه قيل : تلك الجنة التي سمعت بخبرها ، وبلغك وصفها ، وتلك الدار نجعلها للذين لا يريدون ارتفاعاً ، وغلبة وتكبراً ، وتسلباً ،

(١) سورة الأعراف - الآية (٥٦) .

(٢) سورة الشعراء - الآيتان (١٥٢، ١٥١) .

(٣) سورة البقرة - الآيتان (١٢، ١١) .

(٤) سورة البقرة - الآية (٢٠٥) .

(٥) سورة المائدة - الآية (٦٤) .

(٦) سورة القصص - الآية (٧٧) .

(٧) سورة القصص - الآية (٨٣) .

(٨) الدر المنثور في التفسير المأثور - للسيوطي - ٤٤٤/٦ .

كما أراد فرعون ، حيث قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ أي : ظلماً ، وعدواناً على الناس كما أراد قارون ، حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح : ﴿ ... وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْئِدِينَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : الحميدة ، يعني للذين يتقون العلو والفساد ، وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال ، وقيل : عقاب الله المحمود بعمل الطاعات ، فعن علي ؓ أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه ، فيدخل تحتها ، يعني : أن من تكبر بلباس يعجبه ، فهو ممن يريد علواً في الأرض ^(٣) .

المطلب الثالث : اجتناب الظلم

الظلم ظلمات يوم القيامة لذلك حرم الله - سبحانه وتعالى - الظلم ، ونهانا عنه ، بل توعدهم بالعباب الشديدة في الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ ^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ^(٦) .

وكذلك حذرنا النبي ﷺ من الظلم ، ومن دعوة المظلوم ، قال عليه الصلاة والسلام : يقول الله تعالى : (يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته عليكم محرماً فلا تظالموا ...) ^(٧) ، وقوله أيضاً : (إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) ^(٨) ، عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال : (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) ^(٩) ، وكل ذلك لأن الظلم عاقبته وخيمة ، وآثاره ومفاسده كثيرة

(١) سورة يونس - الآية (٨٣) .

(٢) سورة القصص - الآية (٧٧) .

(٣) انظر : روح البيان في تفسير القرآن - للبروسوي - ٤٦٧/٦ ، تفسير الجلالين - للمحلي والسيوطي - ٤٠٦/٢٠ ، المصحف المفسر - لمحمد وجدي - ٥٢٣/٢٠ .

(٤) سورة إبراهيم - الآية (٤٢) .

(٥) سورة الشورى - الآيتان (٤٢، ٤١) .

(٦) سورة يونس - الآية (٥٢) .

(٧) سبق تخريجه ، ص (٤١) .

(٨) مسند أحمد - ٨٩/١٠ - رقمه ٥٠٨٣٢ - قال الأرنؤوط : حديث صحيح .

(٩) صحيح البخاري - كتاب المظالم والغصب - باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم - ص ٩٢ - رقمه ٢٤٤٨ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

فأمرنا الله سبحانه وتعالى باجتنابه وعدم الوقوع فيه ، والمسلم المؤمن مأمور بمقاومته ، وردده عنه ، والتوبة إلى الله - سبحانه وتعالى- إن وقع فيه ، فإن تاب غفر الله له ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ، ووعد الله بالنصر أيضاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٢) ، ومن يصبر على الظلم كذلك ، فقد وعده الله بالأجر والثواب .

* قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْأَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

يخبر الله تعالى في هذه الآية بفضل المؤمنين الممتحنين الذين هاجروا في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، "من بعد ما ظلموا" أي : من بعد ظلمهم بالأذية ، والمحنة من قومهم ، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك ، فتركوا الأوطان والخلان ، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن (٤) .

وقيل : أي : من بعد ظلمهم ، وقد كتب الله تعالى لهم الجزاء الحسن بصبرهم على الأذى ، ونزول الظلم بهم ، وهجرتهم ببعدهم عن الخلان والأحباب ، والديار والأموال ، وبيع أنفسهم لله تعالى حتى لا يطلبوا إلا مرضاته .

فذكر الله لهم ثوابين ، ثواباً عاجلاً في الدنيا في قوله : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ والحسنة في الدنيا التي نالت المؤمنين والمهاجرين من بعد هي العيش الحسن ، وأيضاً النصر على الشرك وأهله ، وغنائم النصر ، والتعاون ، والإخاء ، وإقامة حياة فاضلة في المدينة .

وثواباً آجلاً في الآخرة في قوله : ﴿ وَلَا جُزْأَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وأجر الآخرة أكبر ؛ لأنه نعيم مقيم ، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، فأكل الجنة دائم لا ينتهي ، وليتهم يعلمون ذلك علم العيان والرؤية ، لا علم الخبر والذكر ، وفي ذلك بيان لفضله ، وعظم شأنه (٥) .

(١) سورة المائدة - الآية (٣٩) .

(٢) سورة الحج - الآيات (٣٨ ، ٣٩) .

(٣) سورة النحل - الآية (٤١) .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص(٤١٩) .

(٥) انظر: زهرة التفاسير - لمحمد أبو زهرة - ٤١٨/٨ .

المطلب الرابع : اجتناب أكل الربا

الربا آفة خطيرة تصيب الإنسانية كما تصيب الاقتصاد ، وهي تحدث آثاراً هائلة في المجتمع والاقتصاد ، لا يمكن علاجها ما لم تجتث شجرته الخبيثة .

ولذلك حرم الله تعالى الربا ، وثبتت حرمة ، بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وبهذا رهب العليم الخبير أكلة الربا بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(٢) ، ولشدة حرمة الربا ، فقد طرد الله أكل الربا ، وموكله ، وشاهده ، وكتبه ، من رحمته ولعنه النبي ﷺ ، فعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : (لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله)^(٣) .

والحكمة الربانية من تحريم الربا ، ونهينا عن ارتكابه ، والتعامل معه لما فيه من الاستغلال ، والإرهاق للمحتاجين ، والقضاء على عوامل الرفق والرحمة بالإنسان ، ونزع فضيلة التعاون ، والتناصر في هذه الحياة ، وإلحاق الضرر العظيم بالأفراد والمجتمع ، ولما يترتب على التعامل به من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة^(٤) .

ولذلك فإن الأمة كلها مطالبة بأن تنقي الله في أنفسها وأموالها ، وأن تجتنب هذا الطريق الذي حرم الله سلوكه ، وإلا أصابها مزيد من البلاء .

فخذوا أيها المؤمنون لأنفسكم الوقاية من عذاب الله ، واقطعوا المعاملة به فوراً إن كنتم مؤمنين^(٥) ، فقد أفلح وفاز يوم القيامة من فعل ذلك ، وتجنب الربا .
* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦) .

(١) سورة البقرة - الآية (٢٧٥) .

(٢) سورة البقرة - الآيتان (٢٧٨، ٢٧٩) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب المساقاة - باب لعن أكل الربا وموكله - ص ٩٥٥ - رقمه ٤٠٩٢ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٤) انظر : دراسات في الفكر والثقافة والسلوك - لأحمد ملحم - ص (٤٥٩) .

(٥) انظر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة - لعمر الأشقر - ص (٣٣٤) ، في رحاب الإسلام - لمحمد محيسن - ص (٣١١) .

(٦) سورة آل عمران - الآية (١٣٠) .

ينهى الله - سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين عن تعاطي الربا ، وأكله أضعافاً مضاعفة ، ولقد قال عطاء : "كانت ثقيف تدلين بني المغيرة في الجاهلية ، فإذا حل الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخرون" (١) ، ولقد قال زيد بن ثابت : إنما كان ربا الجاهلية في التضعيف يكون للرجل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول : (تقضيني أو تزيدني) ، وهذا الربا المنصوص عليه في الآية هو ربا الجاهلية ، وهو الذي ذكره النبي ﷺ في خطبة الوداع ، إذ قال : (ألا إن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب) ، وربا الجاهلية المنصوص عليه في الآية يحرم كل زيادة قلت أو كثرت ، أيأ كان سبب الدين ، إذا يقول سبحانه في آخر سورة البقرة : ﴿ وَإِنْ تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك قال الله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي : اجعلوا بينكم وبين غضب الله وقاية ، فأطيعوه في أوامره ونواهيه ، ولا تحاولوا التخلص منها بما تزعمون من أوهام لا أصل لها ، فلا تأكلوا الربا ، ولا تعينوا عليه ، ولا تحرفوا الكلم عن مواضعه ، لعلمك تفلحون ، أي : لترجوا أن تتالوا الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، وهذا إشارة إلى أن تحريم الربا فيه صلاح الدنيا (٣) .

المطلب الخامس : اجتناب الشح

يعتبر الشح من الأمراض التي يستحيل معها الألفة ، والحياة الجماعية ، والتعاون ، فتستساغ بسببها العزلة ، فإن عم الشح ، فمن يجرؤ على الإقدام على مشروع خيري ، أو مشروع من مشاريع الخدمة ، أو يكون هناك جهاد ، أو تكون موساة ، أو تقوم دولة ، ولذلك نهانا الله - سبحانه وتعالى- عن الشح وأمرنا باجتنابه ، فمن يفعل غير ذلك فينتظر عذاب الله يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٥) ، والشح مهلك للمجتمعات ، فمن أجله سفكت الدماء ، واستحلت

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ٣١٤/٢ .

(٢) الآية (٢٧٩) .

(٣) انظر : زهرة التفاسير - لمحمد أبو زهرة - ١٤٠٧/٣ .

(٤) سورة آل عمران - الآية (١٨٠) .

(٥) سورة التوبة - الآيتان (٣٥،٣٤) .

المحارم ، قال النبي ﷺ : (اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم) ^(١) ، وقوله أيضاً : (... وإياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وبالبخل فبخلوا ، وبالفجور ففجروا ...) ^(٢) ولما كان مال الإنسان حبيباً إلى نفسه أثيراً عنده ، فقد جاءت النصوص واعدة بالثواب الجزيل ، والأجر الكبير على بذله وإنفاقه في المجالات التي يحبها الله تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ دَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ * الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٤)، ^(٥) .

ومن أطاع الله - سبحانه وتعالى - فتجنب الشح ، وابتعد عنه فقد أفلح في الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٦) .

* وقال أيضاً في سورة التغابن : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٧) .

تدعو هذه الآية إلى البعد عن الشح فهو بلاء النفس ، والوقاية منه فضل من الله .

والخطاب موجه للمؤمنين ، بدعوتهم لتقوى الله والخوف منه ، والحد من عقابه ، وأن يقبلوا على طاعته ، والإتياع والانقياد لأوامره سبحانه وتعالى ، عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (... فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) ^(٨) ، وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم على الفقراء ، والمساكين ، والمحتاجين فهذا يجلب لأنفسكم الخير والثواب .

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - ص ١١٢٩ - رقمه ٦٥٦٧ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

(٢) مسند أحمد - ٣٩٨/١١ - رقمه ٦٠٧٩٢ - قال الأرنؤوط : حديث صحيح .

(٣) سورة البقرة - الآية (٢٤٥) .

(٤) سورة آل عمران - الآيتان (١٣٣، ١٣٤) .

(٥) انظر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة - لعمر الأشقر - ص(٢٦١) ، المستخلص في تركية الأنفس - لسعيد حوى - ص(٢٤١) .

(٦) سورة الحشر - الآية (٩) .

(٧) سورة التغابن - الآية (١٦) .

(٨) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الاقتداء بسنن رسول الله - ص ٦٠٧ - رقمه ٧٢٨٨ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ يعني : من يسلم من الشح والبخل والطمع ، اللذين تدعو إليهما النفس ، ويخالفها فيما يغلب عليها من حب المال ، وبغض الإنفاق ^(١) .
والشح أخص من البخل ، وقيل : البخل : أن تظن بمالك ، والشح : أن يُظن بمال غيرك ، والواقع أن الشح منتهى البخل ، والشح من جبلة النفس فعلى المسلم أن يغالب بالقوة الروحية ما جبل عليه من قوة بشرية ، لينال الفلاح والفوز ^(٢) ، وقوله : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : من يسلم من البخل ، ويطهر نفسه منه ، فقد فاز وظفر بالثواب ، ويُعدُّ من المفلحين الفائزين بالأجر ، وحسن العاقبة ^(٣) .

(١) انظر : المبصر لنور القرآن -لنائلة صبري- ٢٧٣/٢٨ .
(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشنقيطي- ٣٤٥/٨ .
(٣) المبصر لنور القرآن -لنائلة صبري- ٢٧٤/٢٨ .

المبحث الرابع الالتزام بالمأمورات

وفيه ست مطالب :

- المطلب الأول : طاعة الله ورسوله .
- المطلب الثاني : الصبر والمصابرة .
- المطلب الثالث : تقوى الله .
- المطلب الرابع : التوبة إلى الله .
- المطلب الخامس : ذكر الله .
- المطلب السادس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الرابع الالتزام بالمأمورات

قد أمر الله عباده بأمر تدخلهم الجنة ، وتقربهم من رحمته ورضوانه ، وتسدد خطاهم على صراطه المستقيم ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ... ﴾^(٣) ، وقد أمر - سبحانه - بالاستقامة على أمره والثبات عليه ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٤) ، ومن هذه المأمورات طاعة الله ورسوله ، مع الصبر والمصابرة ، وتقوى الله ﷻ ، والتوبة إليه ، ودوام ذكره ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغيرها مما سنوضحه فيما يلي :

المطلب الأول : طاعة الله ورسوله

أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بطاعته ، من خلال الالتزام بأوامره ، واجتناب نواهيه ، وأمرنا بطاعة رسوله ﷺ بل جعل الله - سبحانه وتعالى - طاعتنا لرسوله ﷺ طاعة له سبحانه ، وذلك لأن رسوله يبلغ عنه ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٦) ، وعن النبي ﷺ : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ...) ^(٧) وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - من أطاعه ، وأطاع الرسول ﷺ مع النبيين

(١) سورة التوبة - الآية (٣١) .

(٢) سورة الأنعام - الآية (١٤) .

(٣) سورة المائدة - الآية (١١٧) .

(٤) سورة هود - الآية (١١٢) .

(٥) سورة النساء - الآية (٨٠) .

(٦) سورة الحشر - الآية (٧) .

(٧) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية - ص ١٧٠٠ - رقمه ٤٧٤٩ - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

والصديقين والشهداء والصالحين في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) ، ويستحق الأجر والثواب والفلاح من الله تعالى على ذلك لقوله تعالى : ﴿ ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) ، والمؤمن الذي يستجيب لأوامر الله وأوامر النبي ﷺ سماعاً وطاعةً فقد نال الأجر والثواب يوم القيامة ، وكان من الفائزين المفلحين ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

* قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦) .

قوله : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ فهي إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في الآيات التي سبقتها والمتعلقة بأحوال اليتامى والزوجات ، والوصايا ، والمواريث ، والله جعل هذه الشرائع حدوداً ، لأنها مؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتعدوها إلى غيرها ، ولما أشار الله إلى حدوده التي حدّها ذكر أن من عمل بها هو مطيع لله ورسوله في جميع الأوامر النواهي ، فإن الله يدخله الجنة تجري من تحتها الأنهار ماكتين فيها (٧) .

وقوله : ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي : "الظفر والفلاح الذي لا يذكر بجانبه الفوز بحظوظ الدنيا القصيرة المنغصة بالأكدار" (٨) ، وقيل : "الذي حصل به النجاة ، من سخطه وعذابه ، والفوز بثوابه ورضوانه ، بالنعيم المقيم ، الذي لا يصفه الواصفون" (٩) .

(١) سورة النساء - الآية (٦٩) .

(٢) سورة الأعراف - الآية (١٥٧) .

(٣) سورة النور - الآيتان (٥٢، ٥١) .

(٤) سورة الأحزاب - الآية (٧١) .

(٥) سورة التوبة - الآية (٧١) .

(٦) سورة النساء - الآية (١٣) .

(٧) انظر : البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان - ٥٥٠/٣ .

(٨) تفسير المراغي - ٢٠٣١/٢ .

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص(١٣٦) .

المطلب الثاني : الصبر والمصابرة

الصبر فضيلة من أمهات الفضائل ، وهو من أبرز الأخلاق التي عني بها القرآن العظيم ، ويعتبر من دلائل صدق الإيمان ، ووسيلة ضرورية يستعان بها في هذه الدنيا ، وهو الدواء الشافي لنفس المصاب حيث يخفف حزنها وآلامها ، فذلك الصبر ضروري للإنسان لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية ، فهو ضرورة لازمة له ليرقى مادياً ومعنوياً ، ويسعد فردياً واجتماعياً ، فلا ينتصر دين ، ولا تنهض أمة إلا بالصبر ، والصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر .

وهو ضرورة لازمة لأهل الإيمان ، لأنهم أشد الناس تعرضاً للأذى والابتلاء في أموالهم وأنفسهم ، وفي كل عزيز لديهم ، وكان أولوا العزم من الرسل أشد المرسلين ابتلاءً فكان صبرهم محل القدوة والأسوة ، كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١) ، ولأهميته أمرنا الله - سبحانه وتعالى - به ، في قوله : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) .

وأخبر الله أنه مع الصابرين في صبرهم في قوله تعالى أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) ، يعينهم الله على المشاق ، وما يواجهونه في حياتهم ، ويكافئهم على ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) ، وأنواع الصبر ثلاثة : الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية ، والصبر على المصيبة^(٥) .

والمؤمن الذي يستجيب لأمر الله - سبحانه وتعالى - فيتحدى بخلق الصبر ، ويصبر على ما يصيبه فقد أعد الله له الجزاء العظيم ، فأولاً يستحق البشرى ، قال تعالى : ﴿ ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(٦) ، وقال أيضاً : ﴿ ... وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾^(٧) ، وكذلك

(١) سورة الأحقاف - الآية (٣٥) .

(٢) سورة الأنفال - الآية (٤٦) .

(٣) سورة البقرة - الآية (٤٥) .

(٤) سورة النحل - الآية (٩٦) .

(٥) انظر : الأخلاق في الإسلام - د. كايد فرعوس وخالد القضاة وغيرهم - ص (١٢٣ ، ١٣٨) .

(٦) سورة البقرة - الآية (١٥٥) .

(٧) سورة النحل - الآية (١٢٦) .

يبين الله أنه يحب أهل الصبر في قوله تعالى : ﴿... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١) ، ويعددهم الله بمضاعفة الأجر ، فقال : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢) .

وبيّن الله أيضاً أن ثوابهم غير محدود ، بل هو موكول لفضل الله - تعالى - الذي لا حدود له ولا قيود ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣) ، ولهم الفوز والفلاح يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٤) .

* قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥) .

يحض الله - تعالى - المؤمنين في هذه الآية على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو : الفوز بالسعادة والنجاح ، والطريق الموصل إلى ذلك هو : لزوم الصبر ، الذي هو حبس النفس عما نكرهه ، من ترك المعاصي ، ومن الصبر على المصائب ، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس ، فأمرهم الله بالصبر على جميع ذلك ، وأمرهم بالمصابرة أيضاً وهي : لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه^(٦) .

وقيل : "اصبروا وصابروا بمعنى واحد للتأكيد ، وقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جريج : اصبروا على طاعة الله في تكاليفه ، وصابروا أعداء الله في الجهاد . ورابطوا في الثغور في سبيل الله ، وقيل : استعدوا للجهاد"^(٧) ، كما قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾^(٨) ، (واتقوا الله) أي : "خافوه فلا تعصوه ، واعملوا بما أنزل ، ولا تهملوه ، وارضوا بما قسم فلا تكفروه ، واستعدوا ليوم الرحيل فلا تنسوه ، ثم تأتي النتيجة بعد ذلك (لعلكم تفلحون) ، أي : لتفلحوا ، وتلك نتيجة أكيدة ويقينية ، فمن صبر ، وصابر ، ورابط ، واتقى الله ؛ نال السعادة في الدنيا ، ودار الكرامة في الآخرة ، وسعد برضوان من الله ذلك هو الفوز العظيم"^(٩) .

(١) سورة آل عمران - الآية (١٤٦) .

(٢) سورة القصص - الآية (٥٤) .

(٣) سورة الزمر - الآية (١٠) .

(٤) سورة المؤمنون - الآية (١١١) .

(٥) سورة آل عمران - الآية (٢٠٠) .

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للسعدي - ص(١٢٩) .

(٧) البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان - ٤٨٥/٣ .

(٨) سورة الأنفال - الآية (٦٠) .

(٩) في رحاب التفسير - لكشك - ٧٦٣/١ .

المطلب الثالث : تقوى الله

التقوى خلق إسلامي حميد ، وهي مرتبة سامية يتبوأها المسلمون الملتزمون بأوامر الله ونواهيه ، والمراقبون له في كل أعمالهم وأقوالهم ، إنها سفينة نجاة ، وشهادة نجاح وفلاح ، تمكن حاملها من رزق كريم في الدنيا ، ومن خير عظيم في الآخرة ، تجنبه العثرات ، وتحفظه من كل سوء ، وتكفل له السعادة التامة في الحياتين الدنيا والآخرة ، إنها بطاقة عبور خضراء إلى جنة الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (١) .

فالمتقون هم أولياء الله وأحباؤه ، يرعاهم برعايته ، ويحفظهم بحفظه ، أوليس هو القائل : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) ، والله دائماً معهم ينصرهم على أعدائهم ، ويبسر لهم أسباب النجاح ، ويجنبهم أسباب الزلل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٣) .

ويجنبهم أيضاً بنقواهم همزات الشياطين ، ويثبت أفئدتهم على الصراط المستقيم ، وينير لهم معالم الطريق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٤) .

ويقربهم الله - سبحانه وتعالى - إليه ليكرمهم أحسن تكريم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥)، (٦) .

فما على المؤمن إلا أن يسارع بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى ، فيلتزم التقوى في حياته ، ويجعل التقوى نوراً بين عينيه ؛ لينال جنات الخلد - إن شاء الله - قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ

(١) سورة النور - الآية (٥٢) .

(٢) سورة يونس - الآية (٦٢) .

(٣) سورة النحل - الآية (١٢٨) .

(٤) سورة الأعراف - الآية (٢٠١) .

(٥) سورة الحجرات - الآية (١٣) .

(٦) انظر : التقوى نمط مميز من التربية الإسلامية وبطاقة عبور خضراء إلى الجنة - لمحمود طافش - ص (٢٥) .

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١﴾ ، وقوله أيضاً : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٣﴾ .

ومن خلال عرض بعض النصوص القرآنية يخبرنا الله - تبارك وتعالى - بأن المنقين سيدخلون الجنة بعد أن تفتح لهم أبوابها ، وهم يستحقون ذلك عن جدارة (٤) ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥) .

* قوله تعالى : ﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

سبب نزول هذه الآية ، حدثنا شعبة قال : أنبأنا أبو إسحاق قال : سمعت البراء يقول : "كانت الأنصار إذا حجوا فجاجوا ، لا يدخلون من أبواب بيوتهم ، ولكن من ظهورها ، فجاء رجل فدخل من قبل باب ، فكأنه غير ذلك فنزلت هذه الآية .

وعن جابر قال : كانت قريش تدعى الحمس ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام ، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام ، فبينما رسول الله ﷺ في بستان ، إذ خرج من بابه ، وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري ، فقالوا : يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر ، وإنه خرج معك من الباب ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت ، فقال : إني أحمسي ، قال : فإن ديني دينك ، فأنزل الله : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ (٧) .

(١) سورة آل عمران - الآيات (١٣٣-١٣٦) .

(٢) سورة آل عمران - الآية (١٩٨) .

(٣) سورة الزمر - الآيتان (٧٣، ٧٤) .

(٤) انظر : مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة - لطفه العفيفي - ص (٣٣) .

(٥) سورة يونس - الآيتان (٦٣، ٦٤) .

(٦) سورة البقرة - الآية (١٨٩) .

(٧) أسباب النزول - للنيسابوري - ص (٤٨) .

فبيّن الله - سبحانه وتعالى - بأنه ليس البر بأن تدخلوا البيوت من ظهورها حين الإحرام ، ولكن البر الحقيقي هو التقوى ، وطاعة الله تعالى ، وتجنب محارمه ، وأداء فرائضه (١) .

قوله : (ولكن البر من اتقى) أي : "يتمثل فيمن اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، فاسألوا النبي ﷺ فيما يختص به ، وهو تبليغ رسالة الله تعالى ، حتى ترشدوا ، وتدركوا لعلمكم تفلحون ، أي : رجاء أن تفلحوا وتتالوا الفوز برضا الله تعالى ، وهو التواب الرحيم" (٢) .

المطلب الرابع : التوبة إلى الله

من رحمة الله تعالى بعباده ، أن شرع التوبة للعاصي ، لئلا ييأس من رحمة الله بمجرد المعصية ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (٤) ، وكذا يزداد العاصي انحرافاً وطغياناً ، فقد جعل له طريق الرجوع إلى الصواب ، وهي مبدأ طريق السالكين ، ومفتاح سعادة المرئيين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥) ، وقال أيضاً : ﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ (٦) ، وعن أنس ابن مالك ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله تعالى : يا ابن آدم : إنك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني ، غفرت لك ، يا ابن آدم : إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) (٧) .

قال الحسن البصري : التوبة النصوح : هي الندم بالقلب ، والاستغفار ، والترك بالجوارح ، والإضمار أن لا يعود .

(١) انظر : المبصر لنور القرآن - لنائلة صبري - ١١٤/٢ .

(٢) زهرة التفاسير - لمحمد أبو زهرة - ٥٧٥/٢ .

(٣) سورة الزمر - الآية (٥٣) .

(٤) سورة النساء - الآية (١١٦) .

(٥) سورة البقرة - الآية (٢٢٢) .

(٦) سورة النور - الآية (٣١) .

(٧) سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله - باب الحديث القدسي : "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ..."

ص ٢٠١٦ - رقمه ٣٥٤٠ - قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب - موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة .

ولهذا أوجب الله تعالى التوبة على عباده ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، وقال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) .

والتوبة تكون بالقلب واللسان والجوارح ، فبالقلب يكون التضرع ، والتذلل ، وباللسان الاعتراف بالظلم والاستغفار ، فعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يذنب ذنباً ، فيتوضأ ويحسن الوضوء ، ثم يصلي ركعتين ، ويستغفر الله صلى الله عليه وسلم ، إلا غفر له) ^(٣) ، ^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ^(٥) .
* وقوله تعالى ﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٦) ، أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين والمؤمنات بالتوبة ، وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى ، وفعل ما وجب فعله ، ومن ذلك غض البصر ، وحفظ الفرج ، والالتزام بالعفة ، والستر ، والنتزه عن الإثم صغيره وكبيره ، فأعلنوا توبتكم ، وارجعوا إلى الله بالطاعات ، وامتنثال أوامر الله صلى الله عليه وسلم لتتالوا رضاه ، وتتأهلوا للفلاح ، الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب ، والظفر بالمحبوب المرغوب "الجنة" والسعادة في الدنيا والآخرة ^(٧) .

المطلب الخامس : ذكر الله

أمرنا الله سبحانه وتعالى بذكره في كل حين وكل وقت ؛ لأنه بذكر الله يحيا القلب ، وتحيا العقيدة ، وتنمو معاني الإيمان ، ويطمئن القلب باليقين ، قال تعالى : ﴿ ... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ^(٨) ، ولن يحصل هذا الاطمئنان إلا إذا كان ذكر الله حاضراً في القلوب

(١) سورة النور - الآية (٣١) .

(٢) سورة التحريم - الآية (٨) .

(٣) سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في أن الصلاة كفارة - ص ٢٤٨ - رقمه ١٣٩٥ - قال الألباني : حسن .

(٤) انظر : قطوف دانية من الكتاب والسنة - لمحمود القيسية - ص(١٨١) ، كتاب الأربعين في أصول الدين - للغزالي - ص(١٤٣) .

(٥) سورة القصص - الآية (٦٧) .

(٦) سورة النور - الآية (٣١) .

(٧) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - للجزائري - ٥٦٧/٣ ، المبصر لنور القرآن - لناائلة صيري - ١٣١/١٨ .

(٨) سورة الرعد - الآية (٢٨) .

مشعاً في النفوس ، لا تبطره النعمة ، فهو الشاكر عند التقضل ، والذكر الذي يدخل القلب فيضيئه ، ويملاً جوانب النفس من شعاع الحق والخير ، ويزكو بالإنسان في رحاب الجمال والجلال ، هو الذي يتأثر به الباطن لا الجاري على اللسان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (١) .

فالذكر نعمة من الله - سبحانه وتعالى- فعلى المؤمن أن يغتنم تلك النعمة فيجعل قلبه عامراً بذكر الله ، ولسانه رطباً بذكر الله ، ونفسه مشرقة وضاءة بذكر الله ، وحريصاً على أن يذكر ربه في جميع أحواله ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ... ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٣)، (٤) .

فإن كان المؤمن بهذه الحالة ذاكراً لله في كل وقت ، فإن الله سيكافئه بالأجر والثواب العظيم ، بل سيكون ذكره لله سبباً لفوزه وفلاحه في الدارين ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧) .

يخاطب الله في هذه الآية المؤمنين تشريفاً لهم وتكريماً بصفة الإيمان ، ليعلموا أن إيمانهم يقتضي الإسراع في إجابة هذا الطلب وتحقيقه فيقول لهم إذا أذن لصلاة الجمعة من يوم الجمعة ، فالواجب عليكم أن تسعوا إلى ذكر الله سعياً ، يتحقق به شهود الصلاة ، وحضورها من أولها ؛ لتحصلوا على الثواب كاملاً ، والسعي إلى ذكر الله وترك البيع هو

(١) سورة الأنفال - الآية (٢) .

(٢) سورة آل عمران - الآية (١٩١) .

(٣) سورة الأحزاب - الآية (٤١) .

(٤) انظر : منهاج الهداية الإسلامية من خلال الخطب الجمعية - لمحمد السلامي- ص(٢٣٤) ، جند الله ثقافة وأخلاقاً - لسعيد حوى- ص(٢٣٧) .

(٥) سورة الأعلى - الآيتان (١٤ ، ١٥) .

(٦) سورة الأنفال - الآية (٤٥) .

(٧) سورة الجمعة - الآيتان (٩، ١٠) .

خير لكم إن كنتم تعملون^(١) ، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، مما يوحي بأن الانخلاع من شؤون التجارة والمعاش كان يقتضي هذا الترغيب والتحبیب ، وهو في الوقت ذاته تعليم دائم للنفوس ، فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش ، وجوانب الأرض ، ليخلو إلى ربه ، ويتجرد لذكره .

ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، كما في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا...﴾ ، وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي ، التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض ، من عمل وكد ، ونشاط ، وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو ، وانقطاع القلب ، وتجرده للذكر ، فذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش ، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة ، ومع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص ، والانقطاع الكامل^(٢) ، يعني : إذا قضيت الصلاة وفرغتم منها ، فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً رجاء أن تكونوا من الفالحين في الدنيا والآخرة ، بالفوز بسعادة الدارين ، ونيل رضوان الله وجنته^(٣) .

المطلب السادس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بكل حكمة ورزانة ؛ لأنه بهذا الأسلوب نستطيع أن نغير المنكر ، والأنبياء جميعاً - صلوات الله عليهم - أمروا البشرية بالمعروف بالكلام اللين ، ونهوهم عن المنكر بالأسلوب الطيب ، والكلام الحسن مما كان له الأثر البليغ في نفوسهم ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾^(٤) .

ودعا الله - سبحانه وتعالى - أن تكون هناك أمة تدعو إلى الخير وتأمراً بالمعروف وتنتهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥) .

(١) انظر : التفسير الواضح - لحجازي - ٤١/٢٨ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣٥٧٠/٢٨ .

(٣) انظر : التفسير الواضح - لحجازي - ٤١/٢٨ .

(٤) سورة الأعراف - الآية (١٥٧) .

(٥) سورة آل عمران - الآية (١٠٤) .

وقد وصف الله هذه الأمة لأنها نهضت بتلك المهمة ، بأنها خير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾ (١) .

إذن لابد أن يكون المؤمنون حريصين أشد الحرص على النهوض بهذه المهمة ؛ ليصلح حال المؤمنين جميعاً ، وليتم القضاء على كل ما يهدد الأمة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

فكل من شاهد منكراً ولم ينكره ، وسكت عنه ، فهو شريك فيه .
إذن لكي لا يصيبنا العذاب لكوننا لم نأخذ بأمر الله وننفذه ، فنأمر بالمعروف ، وننهي عن المنكر ، لا بد أن نهض بهذه المهمة ، حتى ننال الأجر والثواب يوم القيامة ، ونكون من الفائزين المفلحين إن شاء الله .

* قال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

قوله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ تحتمل معنيين : "الأول : أن تكون (من) للبيان ؛ أي : ولتكونوا أمة ، ويكون هذا أمر لجميع الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والثاني : أن تكون (من) للتبويض ، فيكون الأمر هنا لبعض الأمة أن يكون منها من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وتكون المسألة من باب فروض الكفايات" (٤) .

ويخاطب الله تعالى الأمة الإسلامية في هذه الآية بأسلوب الأمر الصريح فقال : ولتكن منكم أيها المسلمون أمة لها كيان ونظام ، أمة مؤتلفة الأعضاء ، موحدة الجهات لا ترهب أحداً ، ولا تخاف شيئاً ، وعلى هذه الأمة القيام بمهمة الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ورفع منارة الحق والعدل ، و"الدعوة إلى الخير" هي : الدعوة إلى الكتاب والسنة ، و"المعروف" : ما استحسنته الشرع ، والعقل الذكي لا يناقض الشرع ، أو ما وافق الكتاب والسنة ، أو هو الطاعة ، أو هو المباح والمندوب ، والواجب والفرض .

(١) سورة آل عمران - الآية (١١٠) .

(٢) سورة التوبة - الآية (٧١) .

(٣) سورة آل عمران - الآية (١٠٤) .

(٤) الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ٨٤٩/٢ .

و"المنكر" : ما استقبحه الشرع ، والعقل الموافق للشرع ، أو ما خالف الكتاب والسنة أو هو المعاصي ، أو هو المكروه والحرام ، ومن نهض بهذه المهمة ، فأولئك البعيدون في درجات الكمال في الدنيا والآخرة ، المفلحون الفائزون من الخسران في الدنيا والآخرة^(١) .
وبهذا ندرك أسباب الوقاية من الخسران في العاجل والآجل ، ولا يكون ذلك إلا من خلال أسباب الفلاح والفوز برضوان الله والجنة ؛ وذلك من خلال تحقيق الإيمان والتوحيد ، والقيام بالأعمال الصالحة ، واجتناب المنهيات ، والتزام الأمور .

(١) انظر : الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ٢٤٩/٢ ، التفسير الواضح - لحجازي - ١١/٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الرسالات ، سيدنا محمد، بلغ الأمانة ، وأدى الرسالة ، ونصح للأمة حتى قيام الساعة ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هديه ، واستن بسنته إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإني أحمد الله حمداً كثيراً ، أن وفقني ، وأعانني على كتابة وإتمام هذا البحث ، ومع مسك الختام لنقف على خلاصة الكلام في بحث بعنوان : (الخسارة : أسبابها وسبل الوقاية منها - دراسة قرآنية موضوعية) .

ويمكن الوقوف على أهم النتائج في النقاط التالية :

- ١- ظهر لنا المعنى اللغوي لخسر وذلك من خلال المعاجم اللغوية ، وقد اجتهدت في وضع تعريف اصطلاحي .
- ٢- ظهر لنا الاستعمال القرآني لخسر حيث وردت في أربع وستين مرة ، في اثنتين وستين آية ، في ثلاث وثلاثين سورة ، من كتاب الله ، وتم معرفة المكي والمدني منها ، والوقوف على الصيغ والاشتقاقات الواردة حول الموضوع .
- ٣- برز لنا أن أكثر ورود للفظه خسر في السور المكية ، لأن الناس لم يتعمقوا في الدين ، ولم يدركوا حقيقته ، لانشغالهم في الحياة الدنيا وشهواتها ، وبهذا ضيعوا ثواب أعمال الدنيا والآخرة ، ورغم ذلك لم يعدم ورود اللفظة في السور المدنية ، بل وجدت في ذلك العهد أيضاً .
- ٤- ظهر لنا أن لفظه خسر وردت في أغلب الصيغ إلا صيغة الأمر ، فلم ترد مطلقاً ، لأنه لا يُعقل أن يأمر الله عباده بالخسارة التي تؤدي بهم إلى الضياع والهلاك ، بل يحذرهم منها .
- ٥- برز لنا أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين موضوع الخسارة وواقعنا المعاصر ، ودليل هذا الارتباط ما يحصل في هذا الواقع ، وهذا دليل على أهمية موضوع الخسارة .
- ٦- اتضح لنا أن ميادين الخسارة في القرآن الكريم متعددة منها خسارة الأنفس والأهل ، وخسارة الدنيا والآخرة ، وخسارة الأعمال .
- ٧- برز لنا أن خسارة الأنفس والأهل متمثلة في ضياعهما يوم القيامة بدخول نار جهنم ، وخسارة منازلهم ، وأزواجهم في الجنة .

- ٨- ظهر لنا كيفية خسارة الإنسان لذيانه وآخريه ، فهو ميمثل في الشقاء الءائم ، وضياع العزة والكرامة والطمأنينة والرضا والهدوء ، وخسارة المال والولد والصحة ، وفقدان النعيم والثواب الءائم في الآخرة .
- ٩- ائضح لنا أن أسباب الخسارة في ضوء القرآن الكريم ميمثلة في ضلال السعي في الحياة الءنيا ، والكفر والجحود بأركان الإيمان ، واخل في الطاعة والاتباع .
- ١٠- ظهر لنا أن الله سبحانه وتعالى يعاقب من يقع في أسباب الخسارة ، بحرمانه من الجنة والتنعيم فيها ، بل ينال نار جهنم ، وغضب الله وسخطه .
- ١١- برز لنا أن أعظم مصيبة تحل بالإنسان في هذا الوجود وهي خسارة الإيمان ، لأنها أعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان .
- ١٢- برز لنا أن الصء عن سبيل الله مشكلة واقعية قءيماً وءءيئاً ، وهي سببٌ في خسارة الإنسان يوم القيامة .
- ١٣- ظهر لنا أن تحقيق الإيمان والتوحيد ، سواء تعلق بالله وآياته ورسله ، أو بالبعء والحساب ، أو بالغيب والقءر ، أو كان ذلك ميمثلاً في إخلص النية لله ، وءوام الاستقامة على دينه ، ومثل كل ذلك سببلاً رئيساً من سبل الوقاية من الخسارة .
- ١٤- برز لنا أن القيام بالأعمال الصالحة ، سواء تعلقت بالعباءات ، أو المعاملات ، أو كان ذلك جهاداً بالمال والنفس واللسان ، أو التزاماً بالأخلاق والسلوكيات الصالحة ، أو فعلاً للقربات ومثل كل ذلك سببلاً ثانياً من سبل الوقاية من الخسارة .
- ١٥- ائضح لنا أن اجئتاب المنهيات ، سواء كانت شركاً بالله ، أو فساداً ، أو ظلماً ، أو شحاً ، أو أكلاً للربا ، ومثل كل ذلك سببلاً ثالثاً من سبل الوقاية من الخسارة .
- ١٦- ظهر لنا أن الالتزام بالمأمورات من طاعة الله ورسوله ، وصبر ومصابرة ، وتقوى الله ، والتوبة إليه ، وذكره سبحانه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مثل كل ذلك سببلاً رابعاً من سبل الوقاية من الخسارة .

التوصيات :

- ١- أنصح طلاب العلم والمعرفة بالاهتمام بالموضوعات القرآنية ، والعناية بها ، لكونها ترتبط بكتاب الله ، وهي موضوعات مهمة تعالج قضايا بشرية ، وأءاء واقعية ، وهي ميمثل تفسيراً موضوعياً لكتاب الله تعالى .
- ٢- أنصح الجميع بالعمل للآخرة ، وترك الءنيا وشهواتها وملذاتها ، لأن ذلك هو سبيل النجاة من الخسارة في الءنيا والآخرة .

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم .
- رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... ﴾	٣-٥	١٢٦
٢-	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٤-٥	١١٩ ، ١٢٣
٣-	﴿ ... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٦	١١٦
٤-	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا... ﴾	١١-١٢	١٤٩
٥-	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى... ﴾	١٦	٤١
٦-	﴿ ... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٢	١٤٦
٧-	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ... ﴾	٢٥	١١٥
٨-	﴿ ... وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ... ﴾	٢٧	٤٦، ٢٦
٩-	﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٦٧
١٠-	﴿ ... فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٨	٩٤
١١-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴾	٤٥	١٥٩
١٢-	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٥٦	١٢٠
١٣-	﴿ ... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ... ﴾	٦٢	١١٤
١٤-	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ... ﴾	٨٦	٣٧
١٥-	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ... ﴾	١٢١	٦٢
١٦-	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً... ﴾	١٢٨	٥٢
١٧-	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ... ﴾	١٣٠-١٣١	٥٢
١٨-	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ... ﴾	١٣٢	٥٢
١٩-	﴿ ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٥	١٥٩
٢٠-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ... ﴾	١٦١	٧١

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
- ٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴾	١٦٨ - ١٦٩	١٠٢
- ٢٢	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ... ﴾	١٧٧	١١٤ ، ١٣٧ ، ١٤٠
- ٢٣	﴿ ... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... ﴾	١٨٩	١٤١ ، ١٦٢
- ٢٤	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا... ﴾	٢٠٥	١٤٩
- ٢٥	﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى... ﴾	٢١٦	١٢٥
- ٢٦	﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	١٦٣
- ٢٧	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ... ﴾	٢٤٥	١٥٤
- ٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى... ﴾	٢٦٤	٦١
- ٢٩	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ... ﴾	٢٧٥	١٥٢
- ٢٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا... ﴾	٢٧٨ - ٢٧٩	١٥٢
- ٣٠	﴿ ... وَإِنْ تَبُئْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ... ﴾	٢٧٩	١٥٣
- ٣١	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ... ﴾	٢٨٥	٨٦ ، ٩٤ ، ١١٦
سورة آل عمران			
- ٣٢	﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ... ﴾	٤	٧٧
- ٣٣	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾	١٩	٢٧ ، ٥٢ ، ٧٧
- ٣٤	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	٢٨	٩٨
- ٣٥	﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾	٥٤	٥٦
- ٣٦	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا... ﴾	٦٧	٥٢
- ٣٧	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... ﴾	٨٥	٢٦ ، ٥٢
- ٣٨	﴿ ... وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ... ﴾	٩٧	٥٢

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٩-	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾	١٠٤	١٦٦ ، ١٦٧
٤٠-	﴿ ... وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ... ﴾	١١٠	١٦٧ ، ٧٢
٤١-	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ... ﴾	١١٣-١١٥	٦٣
٤٢-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ... ﴾	١٣٠	١٥٢
٤٣-	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ... ﴾	١٣٣-١٣٤	١٤٠ ، ١٥٤
٤٤-	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... ﴾	١٣٣-١٣٦	١٦٢
٤٥-	﴿ ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾	١٤٦	١٦٠
٤٦-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	١٤٩	٩٩
٤٧-	﴿ ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ ... ﴾	١٥٤	١٠٨
٤٨-	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾	١٨٠	١٥٣
٤٩-	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... ﴾	١٩٠	١٢٣
٥٠-	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ... ﴾	١٩١	١٦٥
٥١-	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ ... ﴾	١٩٣-١٩٥	١١٨
٥٢-	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ... ﴾	١٩٨	١٦٢
٥٣-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... ﴾	٢٠٠	١٦٠
سورة النساء			
٥٤-	﴿ ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ... ﴾	١٣	٩٤ ، ١٥٨
٥٥-	﴿ إِنْ تَحْتَبْتُمْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ... ﴾	٣١	٩٦ ، ١٤٦
٥٦-	﴿ ... وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾	٣٦	١٤٦
٥٦-	﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ ... ﴾	٥٥	٧٢
٥٧-	﴿ ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ ... ﴾	٦٩	١٥٨
٥٧-	﴿ ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ ... ﴾	٦٩-٧٠	٩٤
٥٨-	﴿ ... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ... ﴾	٧٧	١٢

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٩-	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى... ﴾	٨٠	١٥٧
٦٠-	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ... ﴾	٩٣	٤٧
٦١-	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ... ﴾	١١٦	١٤٧ ، ١٦٣
٦٢-	﴿ ... فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾	١١٩	١٠٢ ، ٥
٦٣-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ... ﴾	١٣٦	٦٠ ، ٧٣ ، ٧٧
٦٤-	﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	١٣٩	٩٩
٦٥-	﴿ ... وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	١٤٦	١٢٧
سورة المائدة			
٦٦-	﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ... ﴾	٢	١٣٦
٦٧-	﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ... ﴾]	٥	٧٢ ، ٢٨
٦٨-	﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ... ﴾	٢١	٩٥
	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾	٢٧	١٤٣
٦٩-	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٣٠	٤٨
٧٠-	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾	٣٢	٤٧
٧١-	﴿ ... اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ... ﴾	٣٥	١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ،
٧٢-	﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ... ﴾	٣٩	١٥١
٧٣-	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ... ﴾	٥٣	٣٢ ، ١٠٠
٧٤-	﴿ ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ... ﴾	٦٤	١٤٩
٧٥-	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ... ﴾	٦٧	١١٥
٧٦-	﴿ ... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا... ﴾	٦٩	٧١ ، ١١٥
٧٧-	﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ... ﴾	٧٢	١٤٧
٧٨-	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ... ﴾	١١٧	١٥٧

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٩-	﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ... ﴾	١١٩	١٤٢
سورة الأنعام			
٨٠-	﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾	٤	٧٧
٨١-	﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ... ﴾	١٠-١٢	٩١
٨٢-	﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ... ﴾	١٢	١٦
٨٣-	﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾	١٤	١٥٧
٨٤-	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ... ﴾	٢٠	١٧
٨٥-	﴿ ... وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا... ﴾	٢٥	٧٧
٨٦-	﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾	٢٩-٣٠	٧٣
٨٧-	﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ... ﴾	٣١	٦١ ، ٨١
٨٨-	﴿ ... فَمَنْ أَمِنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٤٨	٦١ ، ٧١
٨٩-	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ... ﴾	١١٠	٧٦
٩٠-	﴿ ... سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ... ﴾	١٢٤	٥٥
٩١-	﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴾	١٤٠	٤٩ ، ٥٧
٩٢-	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ... ﴾	١٥١	٤٨
٩٣-	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ... ﴾	١٥٣	١٣
سورة الأعراف			
٩٤-	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ... ﴾	٩	٣ ، ٢٠ ، ٧٨ ، ٥٦
٩٥-	﴿ ... وَتَرَىٰ حَمْنَا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٢٣	٥٠ ، ٥
٩٦-	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ... ﴾	٥٣	٢١ ، ٨٣
٩٧-	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا... ﴾	٥٦	٤٥ ، ١٤٩
٩٨-	﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا... ﴾	٩٢	٨٧
٩٩-	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	٩٩	٥٥

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٠-	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١١٨	٥٤
١٠١-	﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا ... ﴾	١٤٥	٥١
١٠٢-	﴿ ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا ... ﴾	١٥٧	١٥٨ ، ١٦٦
١٠٣-	﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	١٧٨	٤٣
١٠٤-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ... ﴾	٢٠١	١٦١
سورة الأنفال			
١٠٥-	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	٢	١٦٥
١٠٦-	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	٢-٣	١١٣
١٠٧-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا ... ﴾	٢٠	٦٠
١٠٨-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا ... ﴾	٢٤	١١٥
١٠٩-	﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ ... ﴾	٣٧	٤٤
١١٠-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا ... ﴾	٤٥	١٣٩ ، ١٦٥
١١١-	﴿ ... وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	٤٦	١٥٩
١١٢-	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ ... ﴾	٦٠	١٦٠
سورة التوبة			
١١٣-	﴿ ... وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾	٣١	١٣٣ ، ١٥٧
١١٤-	﴿ ... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا ... ﴾	٣٤-٣٥	١٥٣
١١٥-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا ... ﴾	٣٨	٣٨
١١٦-	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ ... ﴾	٤١	١٣٨
١١٧-	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... ﴾	٥١	١٢٥
١١٨-	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ... ﴾	٦٥-٦٦	٩٠
١١٩-	﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ ... ﴾	٦٩	٣٣ ، ٥٨
١٢٠-	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾	٧١	١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ،

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢١-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ... ﴾	٧٣	١٣٨
١٢٢-	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾	٩٩	١٤٣
١٢٣-	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ... ﴾	١١١	١٣٨ ، ٧١
سورة يونس			
١٢٤-	﴿ وَيَوْمَ يُنْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ... ﴾	٤٥	٦٤
١٢٥-	﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ... ﴾	٥٢	١٥٠
١٢٦-	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ... ﴾	٦١	٣٠
١٢٧-	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٦٢	١٦١
١٢٨-	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ... ﴾	٦٣-٦٤	١٦٢
١٢٩-	﴿ ... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ... ﴾	٨٣	١٥٠
١٣٠-	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ... ﴾	٩٤	٧٩
١٣١-	﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٩٥	٧٨
١٣٢-	﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾	١٠١	١٢٣
١٣٣-	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا... ﴾	١٠٣	١١٥
سورة هود			
١٣٤-	﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا... ﴾	١٩	٧٣
١٣٥-	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ... ﴾	٢١	٧٤ ، ١٨
١٣٦-	﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴾	٢٢	٧٥ ، ١٩
١٣٧-	﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا... ﴾	١٩-٢٢	٨٩
١٣٨-	﴿ ... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي... ﴾	٨٥	٤٦
١٣٩-	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ... ﴾	١١٢-١١٥	١٥٧ ، ١٢٩
سورة يوسف			
١٤٠-	﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾	١٤	٤

سورة الرعد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤١-	﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ...﴾	١٨	١١٥
١٤٢-	﴿... أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	١٦٤
١٤٣-	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ النَّبِيِّ وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾	٣٥	١٢٣
١٤٤-	﴿... قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ...﴾	٣٦	١٤٦
سورة إبراهيم			
١٤٥-	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾	٤٢	١٥٠ ، ٤٠
سورة الحجر			
١٤٦-	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	١١	٩٠
١٤٧-	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٣٩	١٢٤
١٤٨-	﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا...﴾	٨٨	١٣
سورة النحل			
١٤٩-	﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ...﴾	١١	٧٧
١٥٠-	﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ...﴾	١٣	٧٧
١٥١-	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...﴾	٤١	١٥١
١٥٢-	﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ...﴾	٤٥	٥٥
١٥٣-	﴿... أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾	٧٢	٥٤
١٥٤-	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٨٨	٨٩
١٥٥-	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...﴾	٩١	٤٥
١٥٦-	﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...﴾	٩٦	١٥٩ ، ١٢
١٥٧-	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ...﴾	١٠٧-١٠٩	٣٧
١٥٨-	﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾	١٢٦	١٥٩
١٥٩-	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	١٦١

سورة الإسراء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٠-	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾	٢٣	١٣٦
١٦١-	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً ۖ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ... ﴾	٣١	٤٨
١٦٢-	﴿ ... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾	٣٤	٤٥
١٦٣-	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ... ﴾	٥٧	١٤٢
١٦٤-	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ... ﴾	٦٢	١٠٢
١٦٥-	﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ... ﴾	٦٣	٩٤
١٦٦-	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾	٦٥	١٢٤
١٦٧-	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾	٧٠	٤٧
١٦٨-	﴿ ... إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٥٤
١٦٩-	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ... ﴾	٨٢	٤١
١٧٠-	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مِطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا... ﴾	٩٥	١٢٧
سورة الكهف			
١٧١-	﴿ ... لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ... ﴾	١٩	٦٤
١٧٢-	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾	٤٦	٣٩
١٧٢-	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا... ﴾	١٠٣-١٠٤	١٣ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٩٠
١٧٣-	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا... ﴾	١٠٣-١٠٥	٣١
١٧٤-	﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي... ﴾	١٠٦	٩٠
١٧٥-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ... ﴾	١٠٧-١٠٨	١٣٣
١٧٦-	﴿ ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا... ﴾	١١٠	٦١ ، ١٤٧
سورة مريم			
١٧٧-	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ... ﴾	٦٠	٧١ ، ١١٧

سورة طه			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٨-	﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾	٤٧	٧٧
سورة الأنبياء			
١٧٩-	﴿ ... مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	٢٥	١٣٣
١٨٠-	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ ﴿...﴾	٢٦-٢٧	١٢٤
١٨١-	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ ... ﴾	٣٣-٣٤	٨٠
١٨٢-	﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴾	٧٠	٨٧
سورة الحج			
١٨٣-	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴾	٣-٤	١٠٢
١٨٤-	﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾	٧	١٢٠
١٨٥-	﴿ ... خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾	١١	٤ ، ٥ ، ٢٨ ، ٩٧ ، ١٠٠
١٨٦-	﴿ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ... ﴾	١٢-١٣	٩٧
١٨٧-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾	٣٨-٣٩	١٥١
١٨٨-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ... ﴾	٧٧	١٣٥
سورة المؤمنون			
١٨٩-	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... ﴾	١	١٤١
١٩٠-	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... ﴾	١-١١	١٣٥
١٩١-	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾	١٠	٤ ، ٤٣
١٩٢-	﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	١١	١٨ ، ٦٥
١٩٣-	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾	٢٣	١٣٣
١٩٤-	﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾	٣٤	٤
١٩٥-	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا ... ﴾	١٠٣-١٠٤	٢٢ ، ٧٨

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦-	﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا... ﴾	١٠٣-١٠٤	٧٩
١٩٧-	﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾	١١١	١٦٠
١٩٨-	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا... ﴾	١١٥-١١٦	٩٥
سورة النور			
١٩٩-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... ﴾	٢١	١٠٢
٢٠٠-	﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا... ﴾	٣١	١٦٣ ، ١٦٤
٢٠١-	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهَا الظَّالِمَانُ... ﴾	٣٩	٦١ ، ١٣٤
٢٠٢-	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ... ﴾	٥١-٥٢	١٥٨
٢٠٣-	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ... ﴾	٥٢	٩٤ ، ١٦١
سورة الفرقان			
٢٠٤-	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ... ﴾	٢١-٢٣	٣٠
٢٠٥-	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾	٢٣	٧٨ ، ١٣٤
سورة الشعراء			
٢٠٦-	﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ... ﴾	١٥١-١٥٢	١٤٩
٢٠٧-	﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾	١٨١	٥٠
سورة النمل			
٢٠٨-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ... ﴾	٤-٥	٧٥
٢٠٩-	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ... ﴾	٥١	٥٥

سورة القصص			
٢١٠-	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ... ﴾	٥٢-٥٤	٦٣
٢١١-	﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا... ﴾	٥٤	١٦٠
٢١٢-	﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ... ﴾	٦٧	١١٩ ، ١٣٣ ، ١٦٤ ،

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٣-	﴿... وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِدِينَ﴾	٧٧	١٤٩ ، ١٥٠
٢١٤-	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي...﴾	٨٣	١٤٩
٢١٥-	﴿وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ...﴾	٨٧	٨٩
سورة العنكبوت			
٢١٦-	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ...﴾	٨	١٣٦
٢١٧-	﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بِنِيَّ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾	٥٢	٦٥ ، ٥٤ ، ٧١
٢١٨-	﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ...﴾	٦١	١٢٣
سورة الروم			
٢١٩-	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾	٢٧	١٢٠
٢٢٠-	﴿فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ...﴾	٣٨	١٣٧ ، ١٢٨
سورة لقمان			
٢٢١-	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾	٥-٤	١٣٥ ، ١٢٢
٢٢٢-	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ...﴾	١٣	٥٧
٢٢٣-	﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا...﴾	١٥	١٣٧
سورة السجدة			
٢٢٤-	﴿... بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾	١٠	٦١
٢٢٥-	﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا...﴾	١٥-١٧	١١٣
سورة الأحزاب			
٢٢٦-	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾	١٢-١٣	١٠٧
٢٢٨-	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ...﴾	٢٣	١٣٨
٢٢٩-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	٤١	١٦٥
٢٣٠-	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٦٥
٢٣١-	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	٧١	١٥٨

سورة سبأ			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٢-	﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٢٤	١٢٢
٢٣٣-	﴿... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ...﴾	٣١-٣٣	٦٤
سورة فاطر			
٢٣٤-	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ...﴾	٣٩	٦٦
سورة يس			
٢٣٥-	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا...﴾	٣٠	٩٠
سورة الصافات			
٢٣٦-	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢٧	٦٥
سورة ص			
٢٣٧-	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ...﴾	٧٣-٨٣	١٠٢
٢٣٨-	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٢	١٠٢ ، ١٢٧
٢٣٩-	﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ...﴾	٨٤-٨٥	٩٤
٢٤٠-	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ...﴾	٨٥	١٠٦
سورة الزمر			
٢٤١-	﴿... فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	٢	١٢٧
٢٤٢-	﴿... إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	١٦٠
٢٤٣-	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	١١	١٢٧
٢٤٤-	﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾	١٤	٢٣ ، ٦٧ ، ١٢٧
٢٤٥-	﴿... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾	١٥	٣ ، ٥ ، ٢٣ ، ٦٧ ،
٢٤٦-	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾	٥٣	١٦٣
٢٤٧-	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٦٣	٧٩

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
- ٢٤٨	﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾	٦٤	٦٨
- ٢٤٩	﴿ ... لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٦٥	٦٨ ، ٦١ ، ٥
- ٢٥٠	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ... ﴾	٧٣-٧٤	١٦٢
سورة غافر			
- ٢٥١	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ... ﴾	٥٨	١٣٢
- ٢٥٢	﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾	٦٥	١٣٤
- ٢٥٣	﴿ قُلْ إِنِّي مُهَيِّتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾	٦٦	١٤٦
- ٢٥٤	﴿ ... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	٧٨	٨٨ ، ٤
- ٢٥٥	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... ﴾	٨٤	٦٩
- ٢٥٦	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ ... ﴾	٨٥	٦٩ ، ٤
سورة فصلت			
- ٢٥٧	﴿ ... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ... ﴾	٦	١٢٩
- ٢٥٨	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا ... ﴾	٢٣- 	١٠٨
- ٢٥٩	﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾	٢٥	١٠٤
- ٢٦٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٣٠-٣١	١٢٨ ، ١٢٩
- ٢٦١	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ ... ﴾	٤٦	١٣٢
- ٢٦٢	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ... ﴾	٥٣	٧٧
سورة الشورى			
- ٢٦٣	﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾	١٥	١٢٩
- ٢٦٤	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ... ﴾	٢٠	١٢١
- ٢٦٥	﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ ... ﴾	٢٦	١١٥
- ٢٦٦	﴿ وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ... ﴾	٤١-٤٢	١٥٠

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦٧-	﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ... ﴾	٤٥	٤٢ ، ٢٤
سورة الزخرف			
٢٦٨-	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ ... ﴾	٣٦	١٠٥
سورة الدخان			
٢٦٩-	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾	٣٤-٣٥	٧٣
٢٧٠-	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... ﴾	٥١-٥٧	١١٧
سورة الجاثية			
٢٧١-	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ... ﴾	١٥	١٣٢
٢٧٢-	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ ... ﴾	٢١	١٣٢
٢٧٣-	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ... ﴾	٢٤	٧٣
٢٧٤-	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ... ﴾	٢٤-٢٧	٨٤
٢٧٥-	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ ... ﴾	٣٠	١١٦ ، ١٣٦
سورة الأحقاف			
٢٧٦-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٣	١٣٠
٢٧٧-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٣-١٤	١٢٩
٢٧٨-	﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دَيْهِ أَفْ لَكُمْ أَنْتَ عِدَانِي ... ﴾	١٧-١٨	٨٥
٢٧٩-	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ بِمَا عَمِلُوا ... ﴾	١٩	٨٦
٢٨٠-	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ ... ﴾	٣٥	١٥٩
سورة محمد			
٢٨١-	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٢٢-٢٣	٤٥
سورة الفتح			
٢٨٢-	﴿ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ... ﴾	٥	١١٤ ، ١١٨
٢٨٣-	﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ ... ﴾	٦	١٠٧
٢٨٤-	﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ... ﴾	١٢	١٠٧

سورة الحجرات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٥-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ... ﴾	١٢	١٠٨
٢٨٦-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ ... ﴾	١٣	١٦١
سورة الذاريات			
٢٨٧-	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٣٣ ، ٢٦
٢٨٨-	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ .. * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ... ﴾	٥٨-٥٦	١٢٤ ، ٩٥
سورة القمر			
٢٨٩-	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ... ﴾	٥٠-٤٩	١٢٥
سورة الرحمن			
٢٩٠-	﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾	٩	٥ ، ٣
٢٩١-	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٦-٢٥	٨٠
٢٩٢-	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ... ﴾	٥٥-٤٦	١٢٣
سورة الواقعة			
٢٩٣-	﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾	٤٤-٤٢	١٢٣
٢٩٤-	﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَأْتِمَّتْ حَبِيبَتٌ تَنْظُرُونَ ﴾	٨٤-٨٣	١٢٤
سورة المجادلة			
٢٩٥-	﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ... ﴾	٦	١٢٠
٢٩٦-	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا ... ﴾	٨	١٤٦
٢٩٧-	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ... ﴾	١٩	١٠٦
سورة الحشر			
٢٩٨-	﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ﴾	٧	١٥٧
٢٩٩-	﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	٩	١٥٤
سورة الممتحنة			
٣٠٠-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... ﴾	١	٩٩

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠١-	﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلوْكُمْ فِي الدِّينِ ... ﴾	٩	٩٩ ، ١٤٦
٣٠٢-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٣	١٠٠
سورة الصف			
٣٠٣-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ ... ﴾	١١-١٠	٧١
٣٠٤-	﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ ... ﴾	١٢-١١	١١٧ ، ١٣٩
سورة الجمعة			
٣٠٥-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ... ﴾	١٠-٩	١٦٥
سورة المنافقون			
٣٠٦-	﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	٩	٥ ، ٢٦ ، ٣٩
سورة التغابن			
٣٠٧-	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي ... ﴾	٧	٨١ ، ١٢٠
٣٠٨-	﴿ ... وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ... ﴾	٩	١١٨ ، ١٤٢
٣٠٩-	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ ... ﴾	١٦	١٥٤
سورة الطلاق			
٣١٠-	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا ... ﴾	٩-٨	٩٨
سورة التحريم			
٣١١-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ ... ﴾	٨	١٦٤
سورة الملك			
٣١٢-	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾	٢	٢٩
سورة القلم			
٣١٣-	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	١٤٠
سورة الحاقة			
٣١٤-	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ ... ﴾	٢٢-١٩	١٠٧

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٥ -	﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ ... ﴾	٤٤-٤٧	٥٤
سورة المعارج			
٣١٦ -	﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾	١٠	٦٥
سورة نوح			
٣١٧ -	﴿ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ... ﴾	١٢	٣٨
٣١٨ -	﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّمِمْ عَصَوِي وَاتَّبِعُوا مَنِ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ ... ﴾	٢١	٢٦ ، ٤٠
سورة النازعات			
٣١٩ -	﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾	١٢	٣
سورة البروج			
٣٢٠ -	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي ... ﴾	١١	١١٨
سورة الأعلى			
٣٢١ -	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾	١٤-١٥	١٦٥
سورة الغاشية			
٣٢٢ -	﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾	٢٥-٢٦	١٢١
سورة البينة			
٣٢٣ -	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾	٥	٩٥ ، ١٢٧ ، ١٣٤
سورة الزلزلة			
٣٢٤ -	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ... ﴾	١-٨	٨١
٣٢٥ -	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ... ﴾	٧-٨	١٢١
سورة القارعة			
٣٢٦ -	﴿ وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا ... ﴾	٨-١١	٥٦

سورة العصر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣	٢-١	﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾	- ٣٢٧
٧٠، ٥	٢	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾	- ٣٢٧
سورة الهمزة			
١٢٣	٧-٤	﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ... ﴾	- ٣٢٨

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
١-	(... ثم سلوا الله لي الوسيلة ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٤٤
٢-	(... فإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٥٤
٣-	(... فقال للنار : أنت عذابي ...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	١١٧
٤-	(اتق دعوة المظلوم ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٥٠
٥-	(اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٥٤
٦-	(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات ... واتقوا الشح فإن الشح أهلك ...)	صحيح مسلم	صحيح	٤١
٧-	(اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى ...)	سند أحمد	إسناده ضعيف والحديث صحيح	١٤٧
٨-	(اجتنبوا السبع الموبقات ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٤٩ ، ٦٠
٩-	(الإشرak بالله وعقوق الوالدين ...)	صحيح البخاري	صحيح	٦٠
١٠-	(البر حسن الخلق)	صحيح مسلم	صحيح	١٤١
١١-	(الطهور شرط الإيمان ...)	صحيح مسلم	صحيح	٧١
١٢-	(إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله ...)	سنن النسائي	صحيح	٤٣
١٣-	(إن الدنيا حلوة خضرة ...)	صحيح مسلم	صحيح	٣٨
١٤-	(إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤٣
١٥-	(إن الله لا ينظر إلى صوركم ...)	صحيح مسلم	صحيح	٣٠
١٦-	(إن الله لما قضى الخلق ...)	صحيح البخاري	صحيح	٩٢
١٧-	(إن من أحبكم إليّ ...)	سنن الترمذي	حسن غريب	١٤١
١٨-	(إن من أخيركم أحسنكم ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤١
١٩-	(إن من أكمل المؤمنين إيماناً ...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	١٤١
٢٠-	(إن وفد عبد القيس ... أمرهم النبي بأربع ...)	صحيح البخاري	صحيح	١١٤
٢١-	(أنا سيد ولد آدم ولا فخر ...)	صحيح مسلم	صحيح	٨٠

م	الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
٢٢-	(إنما الأعمال بالنيات ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٢٧ ، ١٣٦
٢٣-	(أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره ...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	٣٠
٢٤-	(إياكم والشح فإنه أهلك ... ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وبالبلخ ...)	مسند أحمد	صحيح	١٥٤
٢٥-	(إياكم والظلم فإن الظلم ...)	مسند أحمد	صحيح	١٥٠
٢٦-	(آية المنافق ثلاث ...)	صحيح مسلم	صحيح	٤٥
٢٧-	(أيعرف أهل الجنة من أهل النار ...)	صحيح البخاري	صحيح	٣١
٢٨-	(جاهدوا المشركين بأموالكم ...)	سنن أبو داود	صحيح	١٣٨
٢٩-	(قال الله ﷻ : أنا الله وأنا الرحمن ...)	سنن الترمذي	صحيح	٤٥
٣٠-	(قال الله ﷻ : أنا عند ظن عبدي بي ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٤٣
٣١-	(قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ...)	سنن الترمذي	حسن غريب	١٦٣
٣٢-	(كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنتم أسأله عن الشر ...)	صحيح البخاري	صحيح	٣٦
٣٣-	(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه ...)	صحيح البخاري	صحيح	٢٧
٣٤-	(كم عدة الأنبياء ، قال : مائة ألف ...)	مسند أحمد	إسناده ضعيف والحديث صحيح	٨٨
٣٥-	(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٣٦
٣٦-	(لا تسبوا الدهر ...)	صحيح مسلم	صحيح	٨٤
٣٧-	(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع ...)	سنن الترمذي	حديث أبو داود أصح من حديث النضر	١٢٥
٣٨-	(لا يدخل الجنة إلا ...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	١١٣
٣٩-	(لا يموتن أحدكم إلا وهو ...)	صحيح مسلم	صحيح	١١٠

م	الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
٤٠-	(لتتبعن سنن من كان قبلكم ...)	صحيح البخاري	صحيح	٥٨
٤١-	(لزوال الدنيا أهون عند الله ...)	سنن الترمذي	أصح من حديث ابن أبي عدي	٤٨
٤٢-	(لعن رسول الله آكل الربا وموكله ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٥٢
٤٣-	(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ...)	سنن الترمذي	حسن غريب	١٢
٤٤-	(ما الإيمان ، قال الإيمان أن تؤمن ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٢٧ ، ٦١
٤٥-	(ما من ثلاثة في قرية ، ولا بدو ...)	سنن النسائي	حسن	١٠٦
٤٦-	(ما من رجل يذنب ذنباً ...)	سنن ابن ماجة	حسن	١٦٤
٤٧-	(ما منكم من أحد إلا له منزلان ...)	سنن ابن ماجة	صحيح	٤٣ ، ٤
٤٨-	(ما يبكيك فقالت : ذكرت النار فبكيت ...)	سنن أبي داود	ضعيف	٢١
٤٩-	(من أحق الناس بحسن صحابتي ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٣٧
٥٠-	(من أطاعني فقد أطاع الله ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٥٧
٥١-	(من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له ...)	صحيح الترمذي	حسن	١٣٨
٥٢-	(من تعلم علماً يعي به وجه الله ...)	سنن أبي داود	صحيح	١٣٢
٥٣-	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...)	صحيح البخاري	صحيح	٤٥
٥٤-	(من كانت الدنيا همه فرق الله عليه ...)	سنن ابن ماجة	صحيح	١٣
٥٥-	(نعم المال الصالح للرجل الصالح)	مسند أحمد	إسناده صحيح	٣٩
٥٦-	(يا رسول الله قل لي قولاً في الإسلام ... قل آمنت بالله ...)	مسند أحمد	إسناده صحيح	١٢٩
٥٧-	(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٥٢ ، ٤١

ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	العلم	م
٣٦	أبو إدريس الخولاني	- ١
٤٢	أبو الحجاج	- ٢
٢٦	الحارث بن سويد المخزومي	- ٣
١٣٠	زيد بن أسلم	- ٤
١٤٨	طاووس	- ٥
٢٧	طُعْمَة بن أُبَيْرِق بن حارثة	- ٦
٢٧	مرثد بن أبي مرثد الغنوي	- ٧
٢٧	مُقَيْس بن صُبَابَة القرشي	- ٨

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

- ١- إحياء علوم الدين - للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - طبعة جديدة مخرجة الآيات القرآنية - المكتبة التوفيقية .
- ٢- الأخلاق في الإسلام - د.كايد فرعوس وخالد القضاة وغيرهم - ط٤ / ٤٢٤هـ - دار المناهج / عمان ، الأردن .
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - تفسير أبي السعود - ضبط نصه / الشيخ محمد صبحي حسن حلاق - ط١ / ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٤- أساس البلاغة - لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق / عبد الرحيم محمود ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م - دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ، لبنان .
- ٥- الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ط١ / ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م - دار السلام / القاهرة .
- ٦- أسباب النزول - للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق / أيمن صالح شعبان - حقوق الطبع محفوظة / ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م - دار الحديث / القاهرة .
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي - تحقيق / علي معوض وعادل عبد الموجود - ط١ / ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة - لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري - ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٩- الإسلام - لسعيد حوى - راجعه / الأستاذ د. وهبي سليمان الفاجي - ط٣ / ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ١٠- الإسلام عقيدة وشريعة - للإمام محمود شلتوت - ط١٠ / ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م - دار الشروق / القاهرة .
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق / عادل عبد الموجود وعلي معوض - ط٢ / ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م - مكتبة ابن تيمية / القاهرة .

- ١٣ - الأعلام - خير الدين الزركلي - ط٥/١٩٨٠م - دار العلم للملايين / بيروت ، لبنان .
- ١٤ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - لأبي بكر جابر الجزائري - ط٢ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م - المكتبة العصرية / صيدا ، بيروت .
- ١٥ - البحر المحيط في التفسير - لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي طبعة جديدة بعناية / الشيخ زهير جعيد - ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ١٦ - بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز - لمحمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - تحقيق / أ.محمد علي النجار - ط٢ / ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م - لجنة إحياء التراث الإسلامي .
- ١٧ - بغية الطالبين من إحياء علوم الدين " مختصر عن إحياء علوم الدين " - للغزالي - للشيخ أحمد محمد عسّاف - ط٤ / ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م - دار إحياء العلوم / بيروت لبنان .
- ١٨ - تاج التفاسير - للإمام محمد عثمان عبد الله المرغني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٩ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحمد مرتضى الزبيدي - ط١ / ١٣٠٦هـ .
- ٢٠ - تاريخ أبي الفداء المسمى "المختصر في أخبار البشر" - لاسماعيل شاهنشاه - ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٢١ - التسهيل لعلوم التنزيل - للشيخ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي - ضبطه وصححه وخرج آياته / محمد سالم هاشم - ط١ / ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٢٢ - تفسير ابن وهب المسمى " الواضح في تفسير القرآن الكريم " - للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري - تحقيق / أحمد فريد - ط١ / ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٢٣ - تفسير البيضاوي " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " - للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله محمد الشيرازي البيضاوي - حققه / الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة - ط١ / ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٢٤ - تفسير التحرير والتوير - للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - دار سجنون للنشر والتوزيع / تونس .

- ٢٥- تفسير الجلالين - للإمامين الجليلين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - علق عليه / الشيخ حنفي الرحمن المباركفوري وخرج أحاديثه وصححه / بالمركز العلمي بدار السلام - ط ٢ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م دار السلام / المملكة العربية السعودية .
- ٢٦- تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " - لعلاء الدين علي بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م - دار الفكر .
- ٢٧- تفسير السمرقندي المسمى " بحر العلوم " - لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي - تحقيق / الشيخ علي معوض وآخرون - ط ١ / ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٢٨- تفسير الشعراوي - محمد متولي الشعراوي - أخبار اليوم / قطاع الثقافة ، القاهرة .
- ٢٩- تفسير القاسمي المسمى " محاسن التأويل " - للعلامة محمد جمال الدين القاسمي - وقف على طبعه وتصحيحه وعلق عليه - محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية / فيصل عيسى الحلبي .
- ٣٠- تفسير القرآن - للشيخ سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي - ط ١ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م - دار ابن حزام / بيروت ، لبنان .
- ٣١- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - لمحمد رشيد رضا - ط ٢ / ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م - دار المعرفة / بيروت .
- ٣٢- تفسير القرآن العظيم - للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - ط ٢ / ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م - مكتبة دار الفيحاء / دمشق - مكتبة دار السلام / الرياض .
- ٣٣- تفسير القرآن الكريم - د. عبد الله شحاته - دار غريب / القاهرة .
- ٣٤- تفسير القرآن الكريم المسمى " السراج المنير " - للإمام الخطيب الشربيني - ط ٣ - دار المعرفة / بيروت ، لبنان .
- ٣٥- التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي .
- ٣٦- التفسير الكامل وهو " تفسير آي القرآن الكريم " - للإمام تقي الدين العباسي أحمد بن عبد السلام الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية - تحقيق / أبي سعيد عمر بن علامة العمري - ط ١ / ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٣٧- التفسير الكبير - للإمام الفخر الرازي - ط ٢ - دار الكتب العلمية / طهران .

- ٣٨- تفسير المراغي - للإمام أحمد مصطفى المراغي - دار الفكر .
- ٣٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - للأستاذ وهبة الزحيلي - ط ١ / ١٤١١هـ ، ١٩٩١م - دار الفكر المعاصر / بيروت ، لبنان .
- ٤٠- تفسير النسفي المسمى " بمدارك التنزيل وحقائق التأويل " للإمام أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي - تحقيق / سيد زكريا - ط ١ / ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م - مكتبة نزار مصطفى الباز / مكة ، الرياض .
- ٤١- التفسير الواضح - للدكتور محمد محمود حجازي - ط ٣ / ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م - مطبعة الاستقلال الكبرى / شارع نجيب الريحاني .
- ٤٢- التقوى نمط مميز من التربية الإسلامية وبطاقة عبور خضراء إلى الجنة - لمحمود طافش - ط ١ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م - دار الفرقان / عمان ، الأردن .
- ٤٣- تهذيب التهذيب - للإمام شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بن حجر العسقلاني - تحقيق / خليل شيحا وغيره - ط ١ / ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م - دار المعرفة / بيروت .
- ٤٤- تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى - تحقيق / د. عبد السلام سرحان - مطابع سجل العرب / القاهرة .
- ٤٥- التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المنياوي - تحقيق / الدكتور محمد رضوان الداية - ط ١ / ١٩٩٠م - دار الفكر المعاصر / بيروت ، لبنان .
- ٤٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - ط ٣ / ١٣٩٧هـ ، المكتب الإسلامي / بيروت ، دمشق .
- ٤٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " تفسير السعدي " - للشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي - طبعة جديدة / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - المكتبة العصرية / بيروت ، صيدا .
- ٤٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للإمام محمد بن جرير الطبري - ضبط وتوثيق وتخريج / صدقي جميل العطار - ط ١ / ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م - دار الفكر / بيروت لبنان .
- ٤٩- الجامع لأحكام القرآن - للإمام أبو عبيد بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط ١ / ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٥٠- جند الله ثقافة وأخلاقاً - لسعيد حوى - ط ٣ - دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع / بيروت ، لبنان .

- ٥١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن - للإمام الشيخ سعدي عبد الرحمن الثعالبي -
حققه / أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني - ط ١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - دار
الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٥٢- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة - للدكتور فضل حسن عباس - ط ١ /
١٤١٠هـ ، ١٩٩٢م - دار البشير للنشر والتوزيع / عمان ، الأردن .
- ٥٣- داء ... ودواء - لسليمان نصيف الدحدوح - ط ١ / ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - دار
البشائر الإسلامية / بيروت ، لبنان .
- ٥٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين
السيوطي - ضبط النص والتصحيح بإشراف دار الفكر - حقوق الطبع محفوظة /
١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٥٥- دراسات إسلامية في الفكر والثقافة والسلوك - للدكتور أحمد سالم ملحم - ط ١ /
١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م - جمعية عمال المطابع التعاونية .
- ٥٦- دراسات في الثقافة الإسلامية " مدخل إلى الدين الإسلامي " - د. أمير عبد العزيز -
ط ٣ / ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م - مطبعة الخليل الإسلامية / عين سارة بجانب البلدية .
- ٥٧- الرائد معجم لغوي عصري - لجبران مسعود - ط ٣ / ١٩٧٨م - دار العلم
للملايين / بيروت ، لبنان .
- ٥٨- روح البيان في تفسير القرآن - للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي
ضبطه البروسوي - صححه وخرج آياته / عبد اللطيف حسن عبد الرحمن - ط ١ /
١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - صححه / محمد حسين العرب -
دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٦٠- زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق /
عبد الرزاق المهدي - ط ١ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م - دار الكتاب العربي / بيروت ،
لبنان .
- ٦١- زهرة التفاسير - للإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي / مدينة نصر ،
القاهرة .

- ٦٢- سنن ابن ماجة - لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة - حكم على أحاديثه وعلق عليها / محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد الراشد / الرياض .
- ٦٣- سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - حكم على أحاديثه وعلق عليها / المحدث محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد الراشد / الرياض .
- ٦٤- سنن الترمذي - الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح المعلوم وما عليه العمل - للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي - موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة " - ط ٣ / محرم ١٤٢١هـ ، إبريل ٢٠٠٠م - دار السلام للنشر والتوزيع .
- ٦٥- سنن النسائي - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي - حكم على أحاديثه وعلق عليها / محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع / الرياض .
- ٦٦- شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة - لعبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني - راجعه / عبد الكريم الرفاعي ووهبي سليمان الألباني - ط ١ / ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م - دار البشائر / دمشق .
- ٦٧- صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - ط ٣ / محرم ١٤٢١هـ ، إبريل ٢٠٠٠م - دار السلام للنشر والتوزيع .
- ٦٨- صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة " - ط ٣ / محرم ١٤٢١هـ ، إبريل ٢٠٠٠م - دار السلام للنشر والتوزيع .
- ٦٩- الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم - للدكتور عبد السلام اللوح والدكتور زكريا الزميلي - مجلة الجامعة الإسلامية - غزة - سلسلة الدراسات الإسلامية - المجلد الثاني عشر - العدد الثاني - ربيع آخر ١٤٢٥هـ ، حزيران ٢٠٠٤م .

- ٧٠- صفوة البيان لمعاني القرآن تفسير القرآن الكريم - للأستاذ حسنين محمد مخلوف -
دولة الإمارات العربية المتحدة ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف .
- ٧١- صفوة التفاسير - للشيخ محمد علي الصابوني - ط ١ / ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م -
دار السلام .
- ٧٢- العقيدة الإسلامية وأسسها - لعبد الرحمن حبنكة الميداني - ط ٤ ، دار القلم / دمشق .
- ٧٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ " معجم معاني كلمات القرآن الكريم " -
لأبي العباس شهاب الدين بن إبراهيم الحلبي الشافعي المعروف بالسمين - تحقيق /
محمود محمد السيد الدغيم - ط ١ / ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
- ٧٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد - للإمام نظام الدين الحسن بن
محمد بن الحسين القمي النيسابوري - ط ١ / ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م - دار الصفوة .
- ٧٥- فتح البيان في مقاصد القرآن - للإمام أبي الطيب صدّيق بن حسن بن علي الحسين
القنوجي البخاري - طبعه وراجعاه / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - ١٤١٠ هـ ،
١٩٨٩ م - طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي / بدولة قطر .
- ٧٦- فتح الرحمن في تفسير القرآن - لعبد المنعم أحمد تَعِيلِب - ط ١ / ١٤١٦ هـ ،
١٩٩٥ م - دار السلام للنشر والتوزيع .
- ٧٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد بن علي بن
محمد الشوكاني - ط ١ / ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م - دار الخير / بيروت ، دمشق .
- ٧٨- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - لسليمان بن عمر العجلي
الشافعي الشهير بالجمل - طبع بمطبعة / عيسى البابي الحلبي وشركاؤه / بمصر .
- ٧٩- الفقه الجنائي في الإسلام - للدكتور أمير عبد العزيز - ط ٣ / ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة ، الإسكندرية .
- ٨٠- فقه العمل للأخرة وجزاء الأعمال وموازينها - للدكتور محمد سليمان الأشقر -
ط ١ / ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م - دار النفائس للنشر والتوزيع / الأردن .
- ٨١- في رحاب الإسلام - لدكتور محمد سالم محيسن - ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م - مؤسسة
شباب الجامعة الإسكندرية .
- ٨٢- في رحاب التفسير - لعبد الحميد كشك - مكتب المصري الحديث .
- ٨٣- في ظلال القرآن - سيد قطب - ط ١٢ / ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م - دار الشروق /
بيروت .

- ٨٤ - قالوا في المثل "موسوعة في الأمثال والحكم السائرة نثراً وشعراً" - عيسى عطا الله -
جمعية الدراسات العربية / القدس .
- ٨٥ - قضاء الحدود والقصاص والدية - للقاضي حسن أحمد علي الحمادي - ط ٢ /
١٩٩٩م ، المجمع الثقافي / أبو ظبي ، الإمارات .
- ٨٦ - قطوف دانية من الكتاب والسنة - للدكتور محمود أحمد القيسية - ط ١ / ١٤٢٣هـ ،
٢٠٠٣م - مؤسسة النداء / أبو ظبي ، الإمارات .
- ٨٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين - للإمام الغزالي - دار الجيل / بيروت .
- ٨٨ - كتاب مصرع الشرك والخرافة - للشيخ خالد محمد علي الحاج - حققه / عبد الله بن
إبراهيم الأنصاري - من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر / ١٣٩٨هـ ،
١٩٧٨م .
- ٨٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جاد الله
محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - دار الفكر .
- ٩٠ - لباب النقول في أسباب النزول - للإمام جلال الدين السيوطي - تحقيق / د. حمزة
النشري وآخرون - المكتبة القيمة / القاهرة .
- ٩١ - لسان العرب - لابن منظور - تحقيق / أ. عبد الله علي الكبير وآخرون - دار
المعارف .
- ٩٢ - المبصر لنور القرآن - لنائلة هشام صبري - ط ١ / ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م - مطبعة
الرسالة المقدسية / القدس ، بيت حنينا .
- ٩٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن - للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي -
١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٩٤ - مجمل اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي - تحقيق / زهير عبد
المحسن سلطان - ط ٢ / ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م - مؤسسة الرسالة / بيروت .
- ٩٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن
عطية الأندلسي - تحقيق / المجلس العلمي بفاس .
- ٩٦ - مختار الصحاح - لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - دار القلم / بيروت ،
لبنان .
- ٩٧ - المستخلص في تزكية النفوس - لسعيد حوى - ط ١ / ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م - دار
الأرقم / عمان - ودار القبس / بيروت .

- ٩٨ - المستقصى في أمثال العرب - للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ط٢/١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٩٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل - حقه / شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد - ط١ / ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م - مؤسسة الرسالة / بيروت ، لبنان .
- ١٠٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للعلامة أحمد بن محمد بن المقرئ الضيحي - صححه / مصطفى السقا - دار الفكر .
- ١٠١ - المصحف المفسر - لمحمد فريد وجدي - صدر في سنة ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٣م - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر / بمصر .
- ١٠٢ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد - للشيخ حافظ بن أحمد حكيم - ضبط نصه / عمر بن محمود أبو عمر - ط١ / ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م - دار بن القيم / المملكة العربية السعودية ، الدمام .
- ١٠٣ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل - لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادي - ط١ / ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ١٠٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - لمحمد فؤاد عبد الباقي - ط١ / ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م - دار الحديث / القاهرة .
- ١٠٥ - المعجم الوسيط - لمجمع اللغة العربية - ط٣ / ١٩٨٥م .
- ١٠٦ - معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق / عبد السلام محمد هارون - ط١ / ١٤١١هـ ، ١٩٩١م - دار الجيل / بيروت .
- ١٠٧ - مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة - لطفه عبد الله العفيفي - دار الاعتصام / القاهرة .
- ١٠٨ - المفردات في غريب القرآن - لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق / محمد سيد كيلاني - دار المعرفة / بيروت ، لبنان .
- ١٠٩ - المقنطف من عيون التفاسير - للعلامة مصطفى الخيري المنصوري - حقه / محمد علي الصابوني - ط١ / ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م - دار السلام / القاهرة .
- ١١٠ - منهاج المؤمن - للدكتور مصطفى مراد - ط٢ / ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م - دار الفجر للتراث / القاهرة .
- ١١١ - منهاج المسلم " كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات " - لأبي بكر الجزائري - دار إحياء الكتب العربية / فيصل عيسى الحلبي .

- ١١٢ - منهاج الهداية الإسلامية من خلال الخطب الجمعية - لمحمد المختار السَّلَامي - دار الغرب الإسلامي .
- ١١٣ - موارد الظمان لدروس الزمان " خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان " - لعبد العزيز محمد السلطان - ط ٢٠ / ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م ، على نفقة جماعة من المحسنين .
- ١١٤ - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - للشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ، لبنان .
- ١١٥ - نحو ثقافة إسلامية أصيلة - للأستاذ عمر سليمان عبد الله الأشقر - دار النفائس للنشر والتوزيع / الأردن .
- ١١٦ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن بن عمرو البقاعي - خرج آياته وأحاديثه / عبد الرزاق غالب المهدي - ط ١ / ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ١١٧ - النكت والعيون " تفسير الماوردي " - لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري - راجعه وعلق عليه / السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - ط ١ / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ١١٨ - الوافي في معجم وسيط اللغة العربية - للشيخ عبد الله البُستاني - ١٩٨٠ م - مكتبة لبنان ، بيروت .
- ١١٩ - الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - للشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني - تحقيق / عربي عبد الحميد علي - ط ١ / ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ١٢٠ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق / صفوان عدنان داوودي - ط ١ / ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م - دار القلم / دمشق .
- ١٢١ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - تحقيق / الشيخ عادل عبد الموجود وعلي معوض وغيرهم - ط ١ / ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	إهداء
ب	شكر وتقدير
د - ط	المقدمة
٣٣ ، ١	الفصل الأول تعريف الخسارة وميادينها
٣	المبحث الأول: تعريف الخسارة لغة واصطلاحاً
٣	المطلب الأول: الخسارة لغة
٦	المطلب الثاني : معنى الخسارة اصطلاحاً
٨	المبحث الثاني : الخسارة ومشتقاتها في السياق القرآني
٨	المطلب الأول : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المكية
٩	المطلب الثاني : الخسارة ومشتقاتها في الآيات المدنية
١٦	المبحث الثالث : ميادين الخسارة في ضوء القرآن الكريم
١٦	المطلب الأول : خسارة الأنفس والأهل
٢٥	المطلب الثاني : خسارة الدنيا والآخرة
٢٩	المطلب الثالث : خسارة الأعمال
١١٠ ، ٣٤	الفصل الثاني أسباب الخسارة في ضوء القرآن الكريم
٣٦	المبحث الأول : ضلال السعي في الحياة الدنيا
٣٧	المطلب الأول : استحباب الدنيا على الآخرة
٣٨	المطلب الثاني : الانشغال بالأموال والأولاد
٤٠	المطلب الثالث : الظلم والضللال عن الهدى
٤٤	المطلب الرابع : نقض العهود وقطع الأرحام والفساد في الأرض
٤٧	المطلب الخامس : قتل النفس والأولاد
٥٠	المطلب السادس : فقدان مغفرة الله ورحمته

رقم الصفحة	الموضوع
٥٢	المطلب السابع : اتخاذ غير الإسلام ديناً
٥٣	المطلب الثامن : الإيمان بالباطل
٥٤	المطلب التاسع : عدم الحذر من مكر الله
٥٦	المطلب العاشر : التهاون في كسب الحسنات
٥٧	المطلب الحادي عشر : تحريم الحلال والخوض في محارم الله
٦٠	المبحث الثاني : الكفر والجحود
٦١	المطلب الأول : الكفر بالله ولقائه
٧١	المطلب الثاني : الكفر بالإيمان
٧٣	المطلب الثالث : الكفر بالآخرة
٧٦	المطلب الرابع : الجحود بآيات الله
٨٠	المطلب الخامس : الجحود بالبعث
٨٦	المطلب السادس : الكيد بالأنبياء
٨٨	المطلب السابع : الصد عن سبيل الله
٩٠	المطلب الثامن : الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم
٩٤	المبحث الثالث : خلل في الطاعة والإتباع
٩٥	المطلب الأول : عدم طاعة الله وعبادته
٩٨	المطلب الثاني : طاعة الكافرين وموالاتهم
١٠١	المطلب الثالث : إتباع الشيطان وحزبه
١٠٧	المطلب الرابع : إتباع سوء الظن بالله
١١١ ، ١٦٨	الفصل الثالث سبل الوقاية من الخسارة
١١٣	المبحث الأول : تحقيق الإيمان والتوحيد
١١٥	المطلب الأول : الإيمان بالله وآياته ورسله
١٢٠	المطلب الثاني : الإيمان بالبعث والحساب
١٢٣	المطلب الثالث : الإيمان بالغيب والقدر
١٢٧	المطلب الرابع : إخلاص النية لله

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٨	المطلب الخامس : دوام الاستقامة
١٣٢	المبحث الثاني : القيام بالأعمال الصالحة
١٣٣	المطلب الأول : أداء العبادات
١٣٦	المطلب الثاني : حسن المعاملات
١٣٧	المطلب الثالث : الجهاد بالمال والنفس واللسان
١٤٠	المطلب الرابع : التزام الأخلاق والسلوكيات الصالحة
١٤٢	المطلب الخامس : فعل القربات
١٤٦	المبحث الثالث : اجتناب المنهيات
١٤٦	المطلب الأول : اجتناب الشرك بالله
١٤٩	المطلب الثاني : اجتناب الفساد
١٥٠	المطلب الثالث : اجتناب الظلم
١٥٢	المطلب الرابع : اجتناب أكل الربا
١٥٣	المطلب الخامس : اجتناب الشح
١٥٧	المبحث الرابع : الالتزام بالمأمورات
١٥٧	المطلب الأول : طاعة الله ورسوله
١٥٩	المطلب الثاني : الصبر والمصابرة
١٦١	المطلب الثالث : تقوى الله
١٦٣	المطلب الرابع : التوبة إلى الله
١٦٤	المطلب الخامس : ذكر الله
١٦٦	المطلب السادس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٧٠ ، ١٦٩	الخاتمة والتوصيات
١٧١	الفهارس
١٧٢	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
١٩١	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
١٩٤	ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
١٩٥	رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٥	خامساً : فهرس الموضوعات
٢٠٩	ملخص الرسالة باللغة العربية
٢١٠	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

الخسارة : أسبابها - سبل الوقاية منها

(دراسة قرآنية موضوعية)

إن خسارة النفس والمال والأهل من أخطر ما يواجهه الإنسان في الدنيا والآخرة، ويكون ذلك بسبب ضلال السعي في الحياة الدنيا، أو بالكفر والجحود، أو بسبب خلل في الطاعة والاتباع.

ومن رحمة الله بالعباد أن حذرهم من الخسارة، وبيّن لهم سبل الوقاية من الخسارة بما يحقق الفلاح والفوز، سواء كان ذلك من خلال الإيمان بالله وتوحيده، أو من خلال الأعمال الصالحة من عبادات، معاملات، أخلاق، سلوكيات، قربات، جهاد في سبيل الله بالمال والنفس، أو من خلال ترك المنهيات كاجتناب الشرك، الفساد، الظلم، الشح، أكل الربا، أو من خلال فعل المأمورات من طاعة الله ورسوله، وصبر ومصابرة، وتقوى الله، والتوبة إليه، وذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حققت الدراسة أهم النتائج المرجوة والأهداف المقصودة حيث ظهرت لنا ميادين الخسارة المتعددة كما ذكرها القرآن الكريم. وأن الخسارة من أخطر ما يهدد حياة الإنسان في عاجل أمره وآجله، وأخطر أنواع الخسارة هي "خسارة الإيمان، لأنه أكبر نعمة أنعم الله بها على الإنسان".

وظهر لنا أن تحقيق الإيمان والتوحيد، والقيام بالأعمال الصالحة، واجتناب المنهيات، مع التزام المأمورات، هي أهم وأبرز سبل الوقاية من الخسارة. وقد حققت هذه الدراسة تفسيراً موضوعياً لموضوع قرآني، عالج قضايا واقعية، ومشكلات حياتية، فكتاب الله هو المخرج لكل ما نجد ونعاني، وهو سبيل النجاة من الخسارة في الدنيا والآخرة.

Loss: causes - ways to prevent them (Quranic Study objective)

The loss of soul, money and family are the most dangerous faced the man in this world and hereafter, and is due to the misguided quest in this life, this because to disbelief, ingratitude, and return to defeat in obedience and following.

The mercy of Allah to this servant warned them from loss, and Allah, declare the ways of prevent from loss which a achieve and win, whether it be through faith in Allah, or through good deeds of worship, transactions, behaviour, ethics, jihad in the path of Allah with money and self, or by leaving forbidden deeds for example shirk, corruption, in justice, scarcity usury, or by doing ordering of obedience to Allah and his messenger, patience, piety, repent and in vocation of Allah.

The study has achieved the most important results and their objectives have emerged in the fields of multiple loss, as described by the Koran. And that the loss of the most serious threats to human life in the emergency and ordered him to do, and the most dangerous types of loss is a "loss of faith, the greatest blessing bestowed by God on man."

Appeared to us that the achievement of faith and monotheism, and do righteous deeds, and avoid the forbidden things, with a commitment Almomurat, is the most important and ordering ways of preventing loss.

This had been an objective study of the Koran the subject, addressed the real issues and problems of life, recent book God is the way each and suffer from what we find, a matter of survival of the loss in this world and the Hereafter.